
سلوى يوسف المؤيد
ابني.. لا يكفي أن أحبك
رحلة إلى قلب الطفل وعقله
منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي
دار المعارف

سلوى يوسف المؤيد

إبني.. لا يكفي أن أحبك

رحلة إلى قلب الطفل وعقله



دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

الإهداء

إلى مَنْ تعلمتُ منهما معانى الحب والعطاء ،
والكبرياء والمثابرة .
إلى أمى وأبى
أهدى هذا الكتاب .

سلوى المؤيد

تقـديم
الكتاب والكاتبة

عرفنا سلوى المؤيد ، أول ما عرفناها ، صحافية ترنو إلى مجتمع الخليج العربى عبر نافذة الصحافة ، قلم نافذ ، ونهج يلتصق بالواقع . ثم عرفنا فيها فنانة تحاول أن تعبر بالألوان فى لوحاتها الفنية عما يعتلج فى أعماقها ، ولم تك ملكاتها المتميزة ، بقدر ما كانت أمومتها ونهجها فى تربية أولادها ، العنصر الفعال فى اجتذاب قرائها إليها ، وبناء شأوها الفكرى والاجتماعى .

وما كانت قدراتها لتظهر ما لم تكن قد دلفت بها إلى رحاب القارئ العريض عبر دروب الكتابة التى كشفت عن منحى تجريبى بالتربية ، وبصيرة نافذة تبدد حجب النظريات المحلقة والأحاجى الأكاديمية .

قامت سلوى المؤيد بتعريب كتابها التربوى « أب الدقيقة الواحدة » وسط انشغالها بالعمل فى وزارة الاعلام ، وتعاملها مع الصحف والمجلات ككاتبة حرة ، غير متفرغة . ثم خرجت بكتابها الثانى « إصرار على النجاح » فأوجزت فى بسط معالم سيرة أبيها الذى شق لنفسه فى الصخر الجلود سبيلاً إلى الثراء الواسع والنجاح الباهر ، ليكون قدوة لمن اختار لنفسه التجارة مهنة ومستقبلا .

كم قرأنا عن التربية من نظريات وألغاز ، وكم سمعنا من حكم الأولين وممارسات الأجداد ما قد يهدى وما قد يضل .. حسب أجواء ومتغيرات الثقافة فى خضم التطور الاجتماعى الحديث ، ولعل أقرب أساليب التربية العقلانية ، هى ما تتمخض عن تجربة ذاتية فى أطر معاصرة ، وهنا يقف

جهد الكاتبة البحرينية سلوى المؤيد على المحك محك التجربة ، وهى المقدمات ، والفائدة المباشرة ، وهى بمثابة النتائج .

وما أصعب المنحى التجريبى فى التربية ..على بساطته .. عندما تتجمع فى بوتقته عاطفة الأمومة ، وفراسة الكاتبة المفكرة ، وحكمة المرأة المجربة الواعية . تراءت المحصلة سلفًا لسلوى ، فهى نتاج تفاعل عقلانى يكبح جماح العاطفة ويطلق الطاقات الفكرية من كوامنها .

فالحرية فى التربية تخضع لحساب وإحساس .. حساب المدى البناء الذى تتربص خلفه هوة التيه والضياع ، وإحساس بحاجة الطفل ودوافعه وميوله ، وعلى الرغم من التعقديات البادية فى هذا المضمار ، فإن الكاتبة سلوى تؤكد الأسلوب البسيط الذى تنبثق منه قاعدة قابلة للتطبيق .

إنها عملية إرساء ركائز القيم ، ثم العمل على تنميتها بالتوجيه الحصيف والمراقبة الفطنة والمواجهة المرنة تارة والحاسمة تارة أخرى ، ربما تكون « روح المسئولية » هى الدعامة الأولى فى هذا البناء .. مسئولية الطفل تجاه نفسه وأسرته ووطنه . والكاتبة تراها بذرة تنمو بالرعاية إلى أن تلتصق تلقائيًا بطبائع الطفل .

يقينا لم تنطلق الكاتبة من فراغ . تمرست للتربية كأم فى بيتها ، وناصحة لمن يقصدها طالبًا رأيها فى مسألة تربوية تعينه على فهم أبنائه ، ثم ككاتبة شاركت قراءها من الآباء رحلة طويلة من خلال باب أسبوعى ، تناولت من خلالها معانى تربوية نفسية أثارت اهتمامات واسعة فى أوساطهم منها :

– كيف نتوجه بالنقد إلى الطفل دون أن نجرح كبرياءه لنصل إلى تعزيز قدراته الإيجابية .

– كيف نصل إلى عقل الطفل وقلبه لنحصل على تجاوبه ونرصد تطور شخصيته ؟ .

– كيف ندع الطفل يتولى بذاته تنمية قدراته ، مع الحيطة المحكمة ضد إهدار الطاقات أو الابتعاد عن جادة الصواب ؟

– كيف نستثمر طاقات الأطفال ونوجه غرائزهم ؟

– كيف نعدل بين أطفالنا ونخفف من حدة التنافس والغيرة والشجار بينهم ؟ .

– كيف نكبح جماح غضبنا ونتعامل تربويًّا مع أطفالنا عند الشطط ؟

وغيرها من الأسئلة التى ماعتمت تشغل بال المربين والآباء والأمهات .

لم تزل سلوى بقلمها تفرز مدلولات واعية ، وحجة تلزم المربين ، فاستطاعت فى مدة وجيزة أن تستأثر بقلوب القراء والأصدقاء وتهيج ملكة التربية فى نفوسهم ، وهى فى محاولتها ، لم تبرم بتناقضات البيت والشارع والمدرسة .. وما هربت من جفاف الواقع وقسوته ، وما لاذت بظلمة الماضى التى أقسمت أن تقبس من مثالبها أنوار المستقبل .

الكاتبة هنا كمن تفتح منافذ الخليج العربى لأمواج محيط علمى عالمى .. كتاب قد يكون لبنة فى صرح الفكر التربوى العربى ، الذى ضرب بجذوره يومًا فى تربة الفكر الإنسانى فكان كالسدرة بين أشجار العلم العالمى .

وأخيرًا .. كتاب سلوى المؤيد « ابنى ..لا يكفى أن أحبك » نتاج مخلص ، وإضافة مشكورة للمكتبة العربية التربوية النفسية .

د . على محمود
مدير وكالة الأنباء الأمريكية
«أشوسيتدبرس» بالخليج العربى

مقدمة المؤلفة

لا يكفى أن نحب أبناءنا ...

لا يكفى أن نوفر لهم احتياجاتهم المادية .. فهم بحاجة إلى أكثر من ذلك .. إلى جهد تربوى نبذله كآباء لكى نفهم نفسياتهم ، وندرك قدراتهم ، ونحترم شخصياتهم ..لكى يكونوا راغبين فى تطوير سلوكهم بأنفسهم .. وقادرين على تحمل مسئولياتهم .. ليصلوا إلى السعادة والنجاح .. بروح إنسانية محبة للخير ..وبنفس تدرك واجبها نحو ذاتها وأسرتها وتقدم مجتمعها .

فإذا استطعنا أن نهتم بالاطلاع على نظريات كبار علماء نفس الطفل .. أو بتجارب الآباء الناجحة التى نتعرف عليها من خلال مراكز إرشاد الآباء التى يشرف عليها فى الدول المتقدمة ، منذ سنوات طويلة .. أشخاص متخصصون فى تربية الطفل تربويًا ونفسيًا ، أو أن نستعين بمواقف ناجحة لآباء يمتلكون الحس التربوى الفطرى المدعوم بالثقافة فى مجال علم نفس الطفل ، أو ما يطل علينا من حكم تربوية رائعة مصدرها التراث العربى .. فإننا نكون بذلك قد نجحنا فى مهمتنا كآباء .

وهو الهدف الرئيسى الذى سعيت من أجله لإنجاز هذا الكتاب التربوى النفسى « ابنى ، لا يكفى أن أحبك » الذى تعمدت صياغته بأسلوب بسيط وعملى ، لكى يتمكن أكثر

الآباء من قراءته والاستفادة من النماذج العملية التى طرحتها من خلاله لمواجهة المواقف التربوية النفسية التى تمر عليهم مع أبنائهم وهم يقومون بتربيتهم .

لعلى أكون بهذا الجهد الفكرى المتواضع ، قد ساهمت مع بقية العاملين فى مجال الطفولة العربية على بناء شخصية الطفل المتوازنة السعيدة القادرة مستقبلاً على بناء مجتمع عربى أكثر إشراقًا وتقدمًا .

سلوى المؤيد

الفصل الأول

فهم الطفل .. الطريق إلى قلبه وعقله

كيف نفهم أطفالنا

لكى نصل إلى عقل وقلب الطفل .. علينا أن نقترب من مشاعره فهمًا ومشاركة .

« نانسى سمالن » ، كاتبة أمريكية ، ومديرة مكتب لإرشاد الآباء ، قامت بتأليف كتاب عالجت من خلاله المواقف التربوية اليومية التى يواجهها الوالدان مع الأبناء .

تطرقت هذه المؤلفة فى كتابها إلى هذا الموضوع الحساس الذى لا يدركه الكثير من الآباء أثناء تربيتهم لأبنائهم .

وأوضحته قائلة : لا يستطيع الطفل أن يخفى ما يشعر به ، وأكثر ما يؤلمه أن نستخف بمشاعره أو نتجاهلها ، فهو يريد من والديه أن يفهما شعوره ، عندما يكون غاضبًا أو غيورًا أو حزينًا أو خائفًا .. وعندما لا يجد ذلك التجاوب ، فإنه يثور عليهما ، وربما لا يدرك الوالدان سبب ثورته ، إلا أن الآباء بشكل عام .. فى إمكانهم أن يتعلموا كيف يفهمون تصرفات أبنائهم ، وكيف يتعاملون معهم ، وبالصبر والتمرين سيمتلكون هذه المقدرة .

ثم استعرضت الكاتبة هذا الموقف بين ابنة فى التاسعة من عمرها وأمها .. لكى توضح كيفية استخدام هذا الأسلوب التربوى .

جاءت سارة من المدرسة غاضبة واشتكت لوالدتها سوء معاملة المدرسة لها قائلة :

– أكره مدرستى ، لقد صرخت فى وجهى لأنى نسيت دفتر الحساب .

سألتها أمها وهى تحاول احتواء غضبها :

– وهل ضايقك تصرفها كثيرًا ؟

أجابت الابنة : نعم ، لقد نسى أحد زملائى دفتره ، ولم تصرخ فى وجهه مثلما فعلت معى .

ردت الأم : وأنت شعرت أن تصرفها غير عادل .. أليس كذلك ؟ .

أجابت الابنة فورًا : بالطبع .. كنت أتمنى لو بإمكانى أن ألكمها على وجهها وأرميها فى القمامة .

أجابت الأم وهى تحاول امتصاص غضب ابنتها : كلامك يدل على أنك غاضبة جدًّا منها .

عند تلك اللحظة ، بدأ غضب سارة يخف حدَّة .. وبعد لحظات ذهبت إلى الخارج لتركب دراجتها مع شقيقها ، بعد أن نسيت غضبها من مدرستها .

إذن ، كانت سارة تريد من والدتها أن تفهمها وتعترف بما شعرت به نحو معلمتها ، وقد منحتها أمها ما أرادت ، لم تحاضرها ، وإنما احتوت غضبها بمهارة يستطع أى والدين أن يكتسباها بالمران والصبر .

إن ردة الفعل التلقائية لأى أم أمام هذا الموقف ستكون على الشكل التالى : إما أنها ستلوم طفلتها على إهمالها وستقول لها إنها تستحق عقاب مدرستها .. أو أنها ستقف إلى جانب ابنتها ضد المعلمة ، أو أنها لن تبدى اهتمامًا لما حدث لابنتها ..لكن والدة سارة ، لم تفعل ذلك .. وإنما اعترفت بمشاعر ابنتها عندما قالت لها : وأنتِ شعرت أن تصرفها غير عادل ، أليس كذلك ؟ وكذلك عندما قالت لها كلامك يدل على أنك غاضبة منها جدًّا .

كما أن الأم لم تحاول أن تحكم على ابنتها أو تحاضرها ، لأن المعلمة قد قامت بمهمة تأديبها فى المدرسة ولا فائدة من أن تعيد نفس تصرفها .

وهكذا وصلت الأم إلى النتيجة الإيجابية ، فقد ذهبت سارة لتلعب مع شقيقها بعد أن حصلت على التأديب المطلوب من مدرستها ، وأفرغت شحنة الغضب المتراكمة فى نفسها أثناء حديثها مع أمها .

اصغ لابنك ، وأعد مشاعره تمتص غضبه

ماذا يريد الطفل من والديه عندما يكون متذمرًا متضايقًا .. ليستعيد هدوءه وتوازنه النفسى ؟ .

يؤكد العالم الأمريكى النفسانى المعروف « فيتزوف ديدسون » فى كتابه الناجح « كيف تكون حازما بالحب » إن هناك طريقة حديثة ذات تأثير فعال فى امتصاص ضيق الطفل أو غضبه تقوم على ثلاثة أسس رئيسية هى :

١ - إصغاؤك باهتمام لما يقوله لك ابنك .

٢ - محاولتك تشكيل ما يريد أن يعبر عنه فى ذهنك .

٣ - إعادتك لمشاعره أمامه من خلال تعبيرك الخاص بك .

عندئذ سيدرك طفلك أنك فهمت مشاعره ، لأنه سيسمعها مرة أخرى صادرة منك ، وسيساعده ذلك على استعادة هدوئه النفسى ونظرته الموضوعية لما أثار ضيقه .

ولكى ندرك أهمية استخدام هذا الأسلوب فى تعاملنا مع أبنائنا ، سأورد مثالاً سأعيده مرتين ، فى المرة الأولى سأستعرض من خلاله الطريقة التقليدية السلبية التى يستخدمها أغلب الآباء ، وفى المرة الثانية ، سأوضح مدى تأثير هذه الطريقة الحديثة الإيجابية على امتصاص ضيق الابنة لتواجه مشكلتها بأسلوب موضوعى .

هناء ، فتاة فى العاشرة من عمرها ، كانت خائفة وقلقة من امتحان الرياضيات الذى ستقدمه فى اليوم التالى ، وكانت تريد أن تتحدث مع والدتها حول ما يضايقها ، لكن والدتها استخدمت الأسلوب السلبى ، فكيف دار الحوار ؟ وكيف كان تأثيره على نفسية الابنة ؟ .

سألت هناء والدتها : أمى ، هل أستطيع أن أتحدث معك عن شىء يضايقنى ؟ .

أجابت الأم : طبعًا ، هيا أخبريني .. ماذا يضايقك ؟ .

ردت الابنة : لدينا غدًا اختبار حساب .. وأنا خائفة منه جدًّا .. أخاف أن أرسب فى هذه المادة .

قالت الأم : ما هذا التفكير السخيف يا هناء ، لقد قدمت من قبل العديد من هذه الاختبارات وكانت علاماتك جيدة ، أتذكر أن أسوأ درجة حصلت عليها لم تكن أقل من ٨٠٪ .. هل حصلت قط على علامة أقل من هذه ؟ .

ردت هناء : لا يا أمى ، ولكن .

أجابت الأم : ولكن ماذا ، لقد مررت بنفس مشاعرك هذه عندما كنت فى سنك ، كنت أتصور أن كل الأشياء السيئة ستقع لى .. اتركى عنك الأنين والشكوى واتجهى إلى التفكير الإيجابى ، قولى لنفسك : إنك قادرة على أن تجتازى هذا الامتحان بشكل جيد ، لأنك لم تفشلى فى امتحان للرياضيات من قبل .. وتصورى نفسك وأنت تحلين مسائل الحساب بسهولة ويسر ، فكرى بإيجابية وادرسى جيدًا ، ستؤدين الامتحان بتفوق .

قالت هناء بعد أن يئست من توصيل ما يضايقها لأمها : إذا كنت تعتقدين ذلك ، سأحاول .

لو استعرضنا المثال السابق سنجد أن والدة هناء كما يفعل أغلب الآباء ، لم تحاول أن تعرف سبب مشاعر الخوف من الامتحان عند ابنتها ، ولماذا هى يائسة هذه المرة .

وإنما بدلاً من ذلك قدمت لها أفكارًا ونصائح اعتقدت أنها ستساعدها ، لكنها مع الأسف لم تساعدها ، وإنما جعلتها تفكر هكذا [طريقة حل مسائل الحساب مختلفة هذه المرة ، لكن أمى لا تفهم حقيقة شعورى] .

ولو عدنا للمثال السابق نفسه على أساس الأسلوب الحديث الذى يطرحه

العالم النفسانى « فيتزوف ديدسون » لوجدنا مدى تأثيره الإيجابى على نفسية الابنة ، وكيف امتص ضيقها ، وجعلها تواجه مشكلتها بطريقة موضوعية سليمة .

سألت هناء والدتها : أمى ، هل أستطيع أن أتحدث معك عن أمر يضايقنى ؟ .

أجابت الأم : طبعًا ، هيا أخبرينى ، ماذا يضايقك ؟ .

ردت الابنة : لدينا غدًا اختبار حساب ، وأنا خائفة منه جدًّا ، أخاف أن أرسب فى هذه المادة .

أجابت الأم (متبعة الأسلوب الحديث فى معالجة مثل هذا الموقف) : هل يمكنك أن تخبرينى أكثر ، لماذا أنت خائفة من الفشل هذه المرة فى تلك المادة ، رغم أنى أتذكر أن أسوأ درجة حصلت عليها من قبل لم تكن أقل من ٨٠٪ .

أجابت هناء : أعلم أنى كنت أحصل على علامات جيدة فى هذه المادة من قبل ، لكن الامتحان هذه المرة مختلف ، علينا أن نحل مسائل الكسور بطرق جديدة لم نطبقها من قبل ، لأنها تتبع طريقة جديدة فى حل مسائل الحساب ، وأنا خائفة جدًّا من ذلك .

قالت الأم (وهى تعيد نفس عبارات ابنتها وقد صاغتها بطريقتها) : هذا الامتحان يخيفك لأنه مختلف عن أى امتحان قمت به من قبل ، لأنه يتبع طريقة جديدة فى حل مسائل الحساب ، وعليك أن تحلى الكسور بهذه الطريقة المختلفة تمامًا ، وهذا الأمر يخيفك .

أجابت هناء بحماس بعد أن شعرت أن أمها فهمت سبب خوفها : هذا ما أشعر به بالضبط ، لقد درست طريقة حل هذه الكسور ٤ مرات ، لكنى مع ذلك لم أفهم كيف تحل .

ردت الأم : خوفك أمر طبيعى ، لأنك درست طريقة الحل عدة مرات لكنك لم تفهميها بعد .

قالت الابنة : هل يمكنك يا أمي أن تساعدينى فى حل المسائل الصعبة ، لو فهمت المبادئ الرئيسية حول كيفية حلها ، سأطمئن .

ردت الأم : إذن ما يضايقك أنك لم تفهمى بعد المبادئ الرئيسية فى حل هذه المسائل ، أليس كذلك ؟ .

أجابت هناء : هذا ما يضايقنى بالضبط .

قالت الأم : وأنا يسعدنى أن أساعدك ، بالطبع لم أجرب من قبل طريقة حل المسائل الحسابية بهذه الطرق الجديدة ، لذلك قد أجد صعوبة فى فهمها فى البداية ، لكن سنحاول معًا ، وسنصل إلى نتيجة جيدة .

لاحظنا إذن أن الأم فى المثال الثانى كانت تقوم بإعادة مشاعر ابنتها لكى تشعرها أنها تشاركها مشاعرها ، وتريد أن تستمع إلى المزيد منها عما يضايقها حول امتحانها القادم لتصل إلى حل عملى يساعدها ، بدل أن تقدم لها أفكارًا ونصائح وتأكيدات حول مقدرتها على التفوق ، دون أن تعلم ماذا يضايق ابنتها ، مثلما فعلت الأم فى المثال الأول .

لقد أخذت الأم فى المثال الثانى مشاعر الخوف لدى ابنتها بجدية ، لم تحاول أن تقلل من شأنها ، وإنما أعادتها لابنتها بعباراتها الخاصة ، الأمر الذى جعلها تدرك أن أمها فهمت سبب ضيقها ، وعندما عبرت هذه الابنة عن تلك المخاوف وجدت تجاوبًا وتعاونًا من أمها لكى تساعدها على فهم القواعد الجديدة الصعبة فى امتحان الرياضيات الذى ستقدمه فى اليوم التالى ، وارتاحت بذلك نفسية الابنة ، وواصلت دراستها بروح متفائلة إيجابية راغبة فى التفوق .

اقبل مشاعر ابنك المتناقصة واعكسها أمامه

يحدث أحيانا أن يحب الأطفال آباءهم ويكرهونهم فى نفس الوقت .. إلا أن الآباء قد لا يتقبلون مثل هذه المشاعر المتناقضة من أبنائهم .. ولا يستطيعون اعتبارها من حقائق الحياة ، بل إنهم لا يتقبلون ذلك بالنسبة لأنفسهم عندما يحبون أبناءهم ويكرهونهم فى بعض اللحظات فيؤنبهم ضميرهم ، إلا أنهم مخطئون فيما يعتقدون .. لأننا يجب أن نقبل بوجود هذا التناقض أو الصراع فى مشاعرنا ومشاعر أبنائنا ، وهذا يتطلب منا أن نؤكد لهم أن ما يشعرون به من تناقض أمر طبيعى حتى لا يصابوا بالقلق وتأنيب الضمير ، بل إن على الأب أن يعترف بمشاعر ابنه بأن يعبر عنها أمامه ، أى يكون له كالمرآة التى تعكس تفكيره ، فيقول له مثلاً :

– يبدو أنك تحمل لأخيك الكبير شعورين ، أنت معجب به ، لكنك تكرهه فى نفس الوقت .

أو يقول له عندما يراه محتارًا ين شعورين متناقضين :

– يبدو أنك محتار فيما تختار بالنسبة لما تريد القيام به ، فأنت تريد أن تذهب مع أصدقائك للتخييم ، لكنك أيضا تريد البقاء فى البيت .

هذه التعليقات الهادئة الصادرة من الآباء لأبنائهم تساعدهم على أن يدركوا أن مشاعرهم مفهومة وعادية ، بينما تخطئ الأم عندما تعلق على مشاعر ابنها المتناقضة قائلة :

– ماذا حدث لك ، الآن أنت تحب صديقك ، وفى الدقيقة الثانية أنت تكرهه ، قرر ماذا تشعر نحوه بالضبط ؟

فالأم هنا بتعليقها هذا لا تعترف بوجود التناقض فى مشاعر ابنها ، بينما لو كان لديها فهم واع للنفس الإنسانية ، لوضعت فى اعتبارها عدة احتمالات فى نفس الإنسان ، فإذا شعر بالحب لشخص فإنه قد يشعر بالكراهية له ،

وإذا شعر أنه معجب به فإنه قد يشعر نحوه أيضا بالحسد فى نفس الوقت ، وقد يشعر المرء بالحب نحو أبنائه لكنه يشعر أيضًا بالثورة عليهم ، وعندما ينجح الإنسان ، يشعر فى داخله بشعورين متناقضين ، هما السعادة والخوف.

إلا أننا كآباء قد نجد صعوبة فى تقبل المشاعر المتناقضة فى نفوسنا أو نفوس أبنائنا مثلما ذكرت ذلك من قبل .. لأننا تعلمنا منذ أن كنا صغارًا أن نخجل من مشاعرنا السيئة أو السلبية ولا نعترف بها .. إلا أن النظريات الحديثة فى التربية أثبتت أن الإنسان يستطيع أن يتحكم فى سلوكه العملى.. فيختار ما يراه صوابًا ويترك ما يراه خطأ .. لكنه لا يستطيع التحكم فى مشاعره العاطفية وخياله الإنسانى فيشعر بها رغمًا عنه .. والمشاعر هى جزء من جينات الإنسان الوراثية ..فنحن نعرف أن الانسان يشعر والسمك يسبح ، والطيور تطير .

إذن ، قد نشعر أحيانًا بأننا سعداء ، وأحيانا لا نكون ، إلا أننا قد نحس فى بعض الأوقات ببعض المشاعر المتناقضة فى نفوسنا ، فنشعر مثلا بالخوف والغضب فى نفس الوقت ، أو الحزن والفرح معًا ، أو الطمع والذنب نحو شيء ما ، أو يشعر الشخص عندما يرتكب فعلاً ما باللذة لكنه يحس أيضًا بالاحتقار لنفسه لأنه مارسه ، وبينما نحن غير أحرار فى اختيار المشاعر التى تتحرك فى داخلنا ، لكننا أحرار فى اختيار كيف ومتى نعبر عنها ، وواجبنا كآباء كما ذكرت فى بداية المقال أن نعكس أحاسيس أبنائنا المتناقضة أمامهم حتى يشعروا أنها أمر طبيعى ، وعندما يعرف الطفل مشاعره ويدركها ، لن يشعر بالحيرة فى داخله ، علينا أن نصبح مثل المرآة له ، نكرر لفظيًّا ما يشعر به من مشاعر متناقضة فيراها أمامه ، ويتعلم بذلك أنه غير مذنب عندما يشعر بهذه الأحاسيس ، ألا تعلمنا المرآة عن شكلنا بأن تعكس أجسامنا أمامنا ، هكذا يفعل الآباء مع أبنائهم عندما يكررون أمامهم مشاعرهم ، ليعلموا أنها لو تناقضت فإنها مقبولة لدى آبائهم وأنها جزء من حقائق الحياة .

كيف نفهم حديث الأطفال ؟

الحديث مع الأطفال فن فريد قائم على القواعد والرموز الخاصة به ، فالأطفال نادرًا ما يطرحون أسئلتهم بسذاجة ، لأنهم يقصدون من ورائها معانى تتطلب من آبائهم مهارة خاصة لفهمها ، يمكنهم تعلمها لكى يصلوا إلى إدراكها وإشباعها ، فترتاح نفوس أبنائهم الحائرة .

طرح هذه النظرية الخبير التربوى الدكتور « هيم . ج . جينو » مؤلف كتاب « بين الآباء والأبناء » الذى تم بيع أكثر من خمسة ملايين نسخة منه حتى الآن - يؤكد هذا الدكتور نظريته بذكر بعض الأمثلة التى أقوم بتلخيصها وعرضها .

سأل طفل فى الثامنة من عمره والده عن عدد الأطفال المشردين فى مدينة « نيويورك » ، سُرَّ الأب بسؤال ابنه وظن أنه راغب فى معرفة بعض المشاكل الاجتماعية ، وبدأ يلقى عليه محاضرة بما يعلمه عن هذه المشكلة .

ولكن ابنه سأله مرة أخرى عن عدد الأطفال المنبوذين فى ولاية « فلوريدا » ، عندئذ شعر الأب أن ابنه غير راغب فى معرفة أرقام إحصائية حول هذه المشكلة ، وإنما هو خائف من إمكانية أن يكون مصيره مثل هؤلاء الأطفال ، فطمأنه قائلاً له بأنه يحبه كثيرًا ، لذلك لن يصبح أبدًا مثلهم ، وعندما اطمأن الطفل توقف عن التساؤل حول هذا الموضوع .

ويطرح الدكتور جينو فى كتابه مثالاً آخر ليدعم نظريته .

دخل طفل فى الخامسة من عمره الحضانة مع أمه ، نظر إلى رسوم الأطفال المعلقة فوق الحائط وسألها بنبرة عالية :

- من الذى رسم هذه الرسوم القبيحة ؟ .

خجلت أمه من سؤاله وقالت له :

- عيب أن تصف هذه الرسوم بالقباحة وهى جميلة جدًا .

لكن المدرسة كانت حاضرة وفهمت بالضبط ماذا يعنى الطفل بسؤاله ، فقالت له :

– ليس من الضرورى ألا ترسم فى الحضانة رسومًا جميلة ، باستطاعتك أن ترسم أيضًا رسومًا قبيحة إذا شعرت أنك تريد ذلك .

وارتسمت على وجه الطفل ابتسامة كبيرة ، لأنه حصل على الإجابة التى يريدها من وراء سؤاله ، فهو يريد أن يعلم : هل يضرب الطفل الذى لا يرسم بشكل جيد ؟ ، واطمأنت نفسه بعد إجابة المدرسة .

ثم سار فى أرجاء الحضانة ، وعندما رأى لعبة مكسورة سأل أمه : من كسر هذه اللعبة ؟ .

أجابت الأم : لا تَقُلْ : مَنِ الذى كسر هذه اللعبة ؟ فأنت لا تعرف أى طفل فى هذه الحضانة كسر اللعبة ، وإنما سَلْ عَمَّا سيحدث له لو أنه كسر لُعبةً بالمصادفة فى هذه الحضانة ، لذلك قالت له :

– الألعاب هنا للعب ، وهى معرضة أحيانًا للكسر .

وبدا الارتياح واضحًا على وجه الطفل ، لأنه حصل على الإجابة التى تمنحه المعلومات الضرورية التى يريدها لتطمئن نفسه خلال الفترة التى يقضيها فى الحضانة ، ومن المؤكد أنه قال لنفسه : (تبدو هذه المرأة طيبة ، لا تزعل بسرعة وتعاقب الأطفال هنا إذا رسموا رسومًا قبيحة ، أو عندما يكسرون لعبة من الألعاب المتواجدة ، فلماذا الخوف إذن ؟ ، المكان آمن بالنسبة لى) ، ثم لوح الطفل إلى أمه ، ودخل مع المدرسة ليبدأ أول يوم من أيامه فى الحضانة .

إذن ، يتضح لنا من حديث الدكتور « جينو » أن الأطفال يهدفون إلى معانى معينة من أسئلتهم لا كما نراها نحن ، وهذا يتطلب منا مهارة خاصة نكتسبها من القراءة حول نفسية الأطفال وأسلوب تفكيرهم .

مهارة التعامل مع الأبناء

قد تمدح أم سلوك صديقة ابنتها دون أن تقصد مقارنته بسلوكها ، لكن الابنة تمتص هذا المديح بطريقة سلبية ، لأنها تعتقد أن أمها تقول لها بطريقة غير مباشرة : إن صديقتك أفضل منك ، فكيف تعالج الأم مثل هذا الموقف حتى لا ينعكس بصورة سلبية على شخصية ابنتها ؟ .

كانت ليلى فى زيارة صديقتها هدى .. وعندما غادرت البيت قالت الأم لابنتها البالغة من العمر تسع سنوات :

– صديقتك ليلى تتمتع بصفات جميلة ، لقد لاحظت أنها لا تطلب شيئًا قبل أن تستأذن ، وعندما يعطيها أحد شيئًا تشكره دائمًا .

أخذت هدى حديث أمها بمعنى أنها تقارنها بصديقتها فقالت :

– هل تقصدين أنى لا أتمتع بصفات جميلة ؟ .

أجابت الأم : أنت حساسة جدًا يا هدى ، لم أقصد ذلك بالطبع ، لا أستطيع حتى أن أمدح صديقاتك أمامك .

قالت هدى : أليس هذا ما تقصدين ؟ .

وكانت الأم ماهرة فى التعامل مع ابنتها عندما أجابتها قائلة : طبعًا لا ، لم أقصد ذلك قط ، ألا تذكرين كيف كنت لطيفة ومؤدبة مع جدتك فى الأسبوع الماضى عندما جاءت لزيارتنا ؟ ، أتذكر أنك ركضت لجلب كوب الماء لها عندما طلبته منك .. وعندما أرادت أن تقرأ ، وسألتك أن تجلبى نظارتها ، أسرعت إلى شنطتها لتأتى بها ، هل تذكرين أيضا أنك قبلتها عندما حان وقت رحيلها ؟ ، ثم ذهبت إلى الحمام لتستحمى دون أن أذكرك بوقت استحمامك .

وبدت علامات الراحة على وجه هدى لأنها تتمتع فى نظر أمها بصفات جميلة أيضًا لا صديقتها فقط .

وأنتقل إلى طريقة أخرى خاطئة ، يستخدمها بعض الآباء ، تتلخص فى تحذيرهم لأبنائهم عن فعل أشياء يخشون منهم ارتكابها أثناء غيابهم ، وكأنهم يوجهون أطفالهم إلى التفكير فيها ، رغم أنها قد تكون غائبة عن أذهانهم ، مثلما فعل والد أحمد الذى لا يزيد عمره عن ست سنوات ، وهو فى طريقه إلى باب البيت ليسهر مع زوجته ، عندما قال لابنه :

– أحمد ، أريدك أن تكون لطيفا مع أختك .. لا تتحرش بها وتدفعها إلى البكاء ، مثلما تفعل أحيانًا أثناء غيابنا .

إذن ، كان والد أحمد يتوقع سوء سلوك ابنه قبل أن يرتكبه ،ربما يكون لديه أساس لذلك نابع عن تصرفات صدرت من ابنه من قبل ، لكن أحمد سمع الرسالة هكذا (أبى يتوقع منى أن أتحرش بأختى ، إذن سأفعل ما يتوقعه منى) وهكذا لم يترك أحمد أخته ترتاح لكثرة ما تحرش بها حتى نامت .

الإحساس + المشاركة = طفل يطور نفسه

تناولت من قبل أسلوب مشاركة الوالدين لمشاعر طفلهما بعد الاعتراف بها .. إلا أنى أريد أن أوضح بعض الأمور الهامة فى تطبيق ذلك الأسلوب وأهمها ..عدم تكرار الآباء لعباراتهم مع أبنائهم بصورة آلية .. لأن الأطفال أذكياء ..وسيكتشفون عدم إحساس آبائهم بمشاعرهم .. وسيشكون فى إخلاصهم وهم يجيبونهم .. وبالتالى لن يفيد ذلك الأسلوب فى تطوير سلوكهم .

علينا إذن أن نكون مقنعين فى تكرارنا لجملهم .. أو نستخدم كلمات أخرى تناسب عباراتهم ..

فإذا قال الطفل لوالده : أنا خائف قليلاً .

يستطيع الأب أن يقول له : أنت خائف من أمر ما ؟ .

وقد يكون فى إمكان الأم أن تدير الحوار على شكل سؤال .. فإذا جاءت الابنة إلى أمها قائلة : لقد مزقت مدرستى ورقتى أمام جميع الطلبة فى الفصل .

فإن على والدتها أن ترد عليها بنفس عبارتها متسائلة : هل مزقت المدرسة ورقتك أمام كل شخص ؟ .

فالأم هنا تريد معلومات أكثر حتى تعلم المزيد عما يضايق ابنتها .. أو تستطيع أن تعلق بجملة مختصرة قائلة : أوه ، هل فعلت مدرستك معك ذلك ؟ .

أو تهز رأسها متجاوبة مع ابنتها .

إن عباراتنا هذه تشعر أطفالنا بأننا نصغى إليهم .. وندعوهم للإفصاح عما يضايقهم ، وقد نبدؤ أننا أكثر تجاوبًا معهم عندما نعبر عما يضايقهم بجمل تعبر عن المعنى الذى يريدون التعبير عنه .

مثال على ذلك ، هذه النماذج الواقعية التى تحدث لأكثر الآباء ، قد يأتى طفل إلى والده ليشتكى أن صديقه قد استهزأ بنظارته الجديدة ، إن الإجابة المناسبة لهذه الشكوى أن يقول الأب لابنه :

– لابد أنك تضايقت مما فعل صديقك .

أى أنه شاركه شعوره .

وعندما تشتكى ابنة لأمها أن صديقتها دعت جميع صديقاتها إلا هى ، عندئذ على الأم أن ترد على ابنتها معبرة عن اعترافها بشعورها قائلة :

– أعتقد أنك شعرت بخيبة أمل .. أو أنك غاضبة لأنها لم تدعك مع بقية الصديقات .

إذن ، أبناؤنا يريدون منا مشاركتهم لأحاسيسهم .. لا أن نقلل من شأن الأمور التى تضايقهم ، أو نلومهم على تقصيرهم ، لقد استفادت والدة محمد من هذا الأسلوب التربوى ، عندما جلس ابنها البالغ من العمر عشر سنوات ليحل واجباته الدراسية فى غرفة المعيشة .

كان قد مضى عليه ربع ساعة وهو يعض قلم الرصاص ، ويتأفف من صعوبة المسائل الحسابية التى يقوم بحلها ، وفجأة رمى دفتر الواجبات على الأرض قائلاً بغضب :

– ما أكره هذا الواجب الثقيل ، طرح وجمع وضرب ، لا أدرى متى أنتهى منه ؟ .

أجابت الأم بمهارة تدل على إدراكها لأسلوب فهم مشاعر الطفل والاعتراف بها قائلة : إنك تتعب كثيرًا فى المدرسة .. ثم عليك أن تؤدى واجباتك الدراسية عندما تعود إلى البيت .. وهذا أمر صعب .. أعلم ذلك .

نظر إليها ابنها فى دهشة ، لأنه كان يتوقع منها محاضرتها المعتادة التى تبدؤها قائلة :

– والآن اجلس واهدأ وابدأ فى العمل ، الشكوى ستجعلك تشعر بالضجر فقط ، وسيكون أداؤك لواجبك أسوأ .

لذلك شعر محمد بالارتياح لتجاوب أمه مع مشاعره .. وأمسك بالقلم ليكتب وهو يقول :

– سأحاول أن أركز أكثر فى حل المسائل .

لاحظنا إذن ، أن حديث الأم مع ابنها الذى عكس إحساسها بما يشعر به وما يضايقه امتص غضبه وضيقه ، وجعله يحاول أن يؤدى عمله بنفسه .. لقد ساعدته والدته فى دراسته ، دون أن تشاركه فى حل مسألة حسابية واحدة ، وبالطبع لا نتوقع أن تكون ردود الأفعال كلها متشابهة ، لأن لكل طفل شخصيته وصفاته التى يتميز بها ، لكننا علينا أن نفهم أبناءنا ، ونحاول أن نواصل تجاربنا بهذا الأسلوب لأن نتائجه ستكون إيجابية .

كيف يكون حوار الآباء مع الأبناء ؟

يتضايق الآباء كثيرًا عندما يشعرون أن أبناءهم يقاومون أى فرصة للحوار معهم .. فالأبناء عادة يعتقدون أن آباءهم يتكلمون كثيرًا ..لذلك نراهم يلجئون إلى الإجابات السلبية القصيرة .. حتى لا يجد آباؤهم أى ثغرة يدخلون من خلالها للومهم ونصحهم .. وتعبر إجابة هذا الطفل البالغ من العمر ٨ سنوات عن هذا الشعور عندما أجاب والدته قائلاً :

– لا أدرى لماذا ، عندما أسألك سؤالاً قصيرًا .. تجيبين بهذه الإجابة الطويلة ؟ .

ولو تعمقنا أكثر فى علاقة الآباء بالأبناء التقليدية .. سنجد أن كلا الطرفين لا يصغى إلى الآخر .. وأن أصواتهما تسير فى اتجاهين مختلفين .. أحدهما أى الآباء يصر على الانتقاد وإصدار الأوامر .. والثانى أى الأبناء ينكر ما فعل ، أو يتوسل للحصول على شىء من أحد والديه .

إلا أن هناك طرقًا حديثة يقوم عليها حوار الآباء مع الأبناء تقوم على :

١ – احترام الطفل لوالديه .

٢ – فهم الآباء للأبناء واحترام شخصياتهم ، والابتعاد قدر الإمكان عن اللوم والانتقاد وإصدار الأوامر إليهم .

ولنأت بمثال عملى يوضح لنا كيفية استخدام هذا الأسلوب التربوى ، عندما يكون أحد أطفالنا متضايقًا :

عاد على من المدرسة والضيق باد بوضوح على ملامحه ، لأن المعلمة ألغت رحلة ، كان متشوقًا إليها ، بسبب نزول المطر .

قالت له أمه [وهى تحاول اتباع الأسلوب الجديد] : تبدو مستاء لأن أملك قد خاب بسبب إلغاء معلمتك للرحلة .

هز على رأسه موافقا

قالت الأم : كنت راغبًا جدا فى هذه الرحلة .

رد على : نعم ، كنت أنتظرها طوال الأسبوع .

قالت الأم [وهى تتعمد وصف شعوره] : لقد جهزت كل شىء لهذه الرحلة .. وفجأة نزل هذا المطر اللعين .

أجاب على : هذا ما حدث ، وقد أغاظنى هذا كثيرًا .

سكت قليلاً ثم قال مستسلمًا للواقع :

– لكنى لماذا أتضايق ، هناك أيام أخرى لرحلات قادمة .

إذن ، كان على غاضبًا عندما جاء من المدرسة ، وينوى إثارة غضب من حوله فى البيت ، لأنه وسط مشاعر ضيقة لا يريد أن يصغى إلى أحد ، ولا يريد أمه أن تنصحه أو تنتقده بأن تقول له أن انفعاله لا يتناسب مع تفاهة ما حدث له ، كان كل ما يريده هو أن تفهم أمه ضيقه ، دون أن تتجاهل الحدث الذى أثار عنده ذلك الضيق ، على أن يفضفض هو بالقليل ، وتخمن أمه الباقى ، وتشاركه* مشاعره ليرتاح ، وهذا ما فعلته هذه الأم .

لنفترض أن طفلا قال لأمه بعد عودته من المدرسة :

– أكره مدرستى .. لقد ضربتنى اليوم أمام الطلبة .

إذا اتبعت أمه الأسلوب القائم على فهم الطفل واحترام مشاعره .. فإنها لن تسأله عن سبب ضرب المدرسة له .. ولا عن تفاصيل ما حدث له .. كل ما ستفعله يتلخص فى فهم مشاعره الغاضبة واحترامها بأن تصغى إليه لتعلم منه كيف يشعر الطفل عندما يهان أو يعاقب أمام الطلبة .. ثم تعلق على ما قاله لها بإحدى هذه التعليقات :

– لقد جرحت المدرسة شعورك كثيرًا أليس كذلك ؟ .

أو أن تقول له : كان يومًا سيئًا بالنسبة لك .

أو ترد عليه قائلة : لقد ضايقك وأغضبك تصرف مدرستك معك أليس كذلك ؟ .

إذ أن مشاعر الطفل القوية الغاضبة لن تزول إذا قالت له أمه :

- عليك أن لا تشعر بهذا الضيق لما فعلته المدرسة معك .

أو إذا حاولت إقناعه قائلة :

- ليس لديك سبب يستدعى هذه المشاعر الغاضبة فى نفسك .

لكن ضيق الطفل سيتضاءل ويزول عندما تبتعد الأم عن الانتقاد والنصح ، وتقترب من التعاطف والفهم لمشاعره ، وهذا لا ينطبق على الأطفال فقط ، وإنما على الكبار وهو ما سأتحدث عنه فى موضوع آخر ، لندرك أن فى إمكان الأزواج تطبيق العديد من وسائل التربية الحديثة للأبناء على علاقاتهم فى البيت ، ليكونوا أكثر تفاهمًا وسعادة .

رفض الطفل كيف نواجهه ؟

جلست الأم مع ابنتها عائشة البالغة من العمر عشر سنوات .. تعد قائمة صديقاتها المدعوات فى عيد ميلادها .. وفجأة قالت الابنة لأمها :

– لا أريد صديقتى رجاء أن تأتى إلى عيد ميلادى

ردت الأم : لكنك تعلمين أن رجاء صديقتك .

أجابت ابنتها بغضب : لا رجاء ، ليست صديقتى .

قالت الأم : أنا أعلم أنك قريبة منها .. وأنكما تتزاوران كثيرًا .. كيف تقولين الآن : إنها ليست صديقتك ؟ ..

ردت الابنة باحتجاج : لكنى لا أريدها أن تأتى إلى حفلة عيد ميلادى .

وبدأت الأم تفقد أعصابها فهددت ابنتها قائلة :

– أنت لا تستحقين حفلة عيد ميلادك .. سألغيها لك .

لقد أخطأت الأم فى هذا الموقف ، عندما أنكرت شعور ابنتها نحو صديقتها رجاء من خلال قولها :

– لكنك تعلمين أن رجاء صديقتك .

ولم تحاول اكتشاف سبب ما تشعر به نحو صديقتها عندما قالت لها :

– لا أريدك أن تتحدثى عن صديقتك هكذا ، بماذا ستشعر لو سمعتك تقولين ذلك .

وكان رد الفعل الطبيعى عند عائشة لذلك الرفض والوعظ من والدتها ، أن ترد عليها بلا مبالاة قائلة :

– لا يهمنى ، لا أريدها أن تأتى .

وهنا يتضح الخطأ الذى ارتكبته أم عائشة ، عندما هددتها بسبب تافه وهى غاضبة أنها ستلغى حفلة عيد ميلادها .

لقد وضعت الأم نفسها فى مأزق ، لم تعرف كيف تخرج منه ، فهى إن لم تلغ الحفلة فإن ابنتها لن تهتم بتهديدها مرة أخرى ، لأنها ستعلم أنه مجرد كلام ، وإذا نفذت تهديدها فإن الموضوع لا يستحق أن تعاقب من أجله ابنتها بأن تحرمها من عيد ميلادها ، إذن لو كانت الأم ماهرة فى التحكم بأعصابها ، لما ردت بذلك الرد وإنما سيكون ردها هادئًا ومنطقيًا .

لكن الأم عندما أدركت الخطأ الذى وقعت به ، عادت مرة أخرى وتداركت خطأها بأن استخدمت طرقًا أكثر إيجابية لحل هذه المشكلة ، وهى اعترافها بشعور ابنتها نحو صديقتها والبحث عن سبب غضبها منها إذ قالت :

- يبدو لى أن رجاء فعلت شيئًا أغضبك .

ردت عائشة : نعم ، رجاء تريد أن تلعب بألعابى ، وهى تفعل ذلك فى كل مرة تأتى لزيارتى .

قالت الأم : وهذا يضايقك أليس كذلك ؟

أجابت عائشة : يضايقنى كثيرًا ، ولا أريدها أن تفعل ذلك .

أجابت الأم : لماذا لا نفكر فى طريقة نحل بها هذه المشكلة ، حتى لا تلعب رجاء بألعابك فى عيد ميلادك ؟

فكرت عائشة قليلاً ، ثم قالت وقد بدا الارتياح على وجهها :

- لدى فكرة يا أمى ، سأضع ألعابى فى غرفتى وأقفلها ، وسنلعب فى الطابق السفلى

أجابت الأم : والآن هل تريدينها فى عيد ميلادك ؟ .

ردت الابنة : بهذه الطريقة لا أمانع .

لو حللنا هذا الموقف الذى عالجته الأم بحكمة وإيجابية ، لوجدنا أن الأم اعترفت أولاً بشعور ابنتها نحو صديقتها ووضعته فى اعتبارها ، وهى

تحاول إيجاد حل للمشكلة ، وقد فتح كلامها المجال أمام ابنتها لتعبر عما يضايقها من تصرف صديقتها رجاء .

وعندما قالت الأم لابنتها : إنها محقة فيما تشعر به من خلال قولها لها :

- وهذا يضايقك أليس كذلك ؟ .

شعرت عائشة أن أمها اعترفت بشعورها ، وبدأت المعلومات تخرج من فمها واستطاعت الأم أن تدرك سبب المشكلة ، وتحاول حله بالمشاركة مع ابنتها .. وتعلمت الابنة بذلك كيف تكتسب قدرة ذاتية على التفكير وإيجاد الحل لمشكلتها ، وحتى لو لم تجد عائشة الحل لمشكلتها ، ستضع الأم عدة حلول ، وستدع عائشة تختار واحدة منها ، وبذلك لم تعدم الأم ثقة الابنة بنفسها فقط ، وإنما جعلت ابنتها راغبة فى تنفيذ الحل لأنها ساهمت فى إيجاده ، ولم يفرض عليها ، إلا أن علينا كآباء ألا ننسى أن كل طفل يختلف عن الآخر ، وقد يستجيب طفل لموقف ولا يستجيب له الآخر ، لذلك على الأب والأم استخدام أساليب أخرى ، لا تثير العنف والشجار بينهما وبين أطفالهم ، لأن تفاهمهما معهم بهدوء وحزم سينعكس بصورة إيجابية على بناء شخصياتهم مستقبلاً .

كيف تقنع الأم ابنتها بقبول زوجها الجديد ؟

كانت عائشة قد انفصلت عن زوجها منذ أن كانت ابنتها هدى فى الرابعة من عمرها ، ومنذ ذلك الوقت تعودت أن تقضى معظم وقتها معها ، إلا أنها بعد عدة سنوات التقت بالشخص المناسب وتزوجت ، لكنها لاحظت تأفف هذه الابنة من وجود زوجها ، لأنها تعودت أن تكون أمها لها وحدها ، ووجدت الأم الفرصة المناسبة ذات مساء لتجلس مع ابنتها وتحاول معالجة ذلك الموقف على أساس مشاركتها لمشاعرها ، فكيف دار الحوار ؟ وإلى أين انتهى ؟ .

سألت عائشة ابنتها هدى : ما بك ، تبدين متضايقة ؟ .

أجابت الابنة : أنا متضايقة .

ردت الأم : من ماذا ؟

قالت الابنة فورًا : من زواجك ، لم أعد أجد وقتًا أقضيه معك منذ أن تزوجت .

أجابت الأم : لكننا لانخرج عنك إلا قليلا ، وأكثر أوقاتنا نقضيها معك .

ردت هدى : إلا أنك لا تجلسين معى وحدى مثلما كنت تفعلين فى السابق .

قالت عائشة وهى تبدى اهتمامًا بمشاعر ابنتها :

– معك حق ، لقد تعودنا أن نكون مع بعضنا البعض دائما منذ أن انفصلت عن والدك ، والآن صعب عليك أن تقبلى بوجود شخص آخر معنا بعد أن كنا وحدنا عدة سنوات .

أجابت هدى بعد أن بدأ ضيقها يخف عندما شعرت أن أمها تشاركها مشاعرها : فى البداية كان ذلك صعبًا ، إلا أن ما يضايقنى الآن هو أنى لم أعد أجلس معك وحدى ، مثلما كنت أفعل من قبل .

ووجدتها الأم فرصة لتقترح على ابنتها أن تجد حلاً لهذه المشكلة .

فأجابت الابنة : تجلسين معى قبل أن أنام كل ليلة ، لنتحدث أو نلعب بألعابى .

ردت الأم بمرح : فكرة رائعة ، سأخصص لك نصف ساعة قبل نومك لنجلس ونتحدث أو نلعب معًا ، هل أنت راضية الآن ؟ .

أجابت هدى وهى تلف عنق أمها بذراعيها : راضية جدًّا ، وأحبك كثيرًا .

قالت الأم وهى تقبل ابنتها : وأنا أيضًا ، أحبك كثيرًا ، وسأظل أحبك دائمًا .

لو استعرضنا ذلك الموقف لوجدنا أن الابنة كانت بحاجة إلى أن تشاركها أمها مشاعرها وتعترف بها ، وهذا ما فعلته عائشة عندما قالت لابنتها هدى :

– والآن صعب عليك أن تقبلى بوجود شخص آخر معنا بعد أن كنا وحدنا عدة سنوات .

ثم نلاحظ ارتياح هدى من اعتراف أمها بمشاعرها ، وإفصاحها لأمها عما يضايقها بقولها :

– فى البداية كان ذلك صعبًا ، إلا أن ما يضايقنى الآن ، هو أنى لم أعد أجلس معك وحدى مثلما كنت أفعل سابقًا .

وقد أحسنت الأم عندما طلبت من ابنتها مساعدتها فى إيجاد الحل ، لأنها سترغب فى تنفيذه ، وخصوصًا عندما شعرت بالطمأنينة والارتياح عندما أكدت لها أمها بأن حبها لها لن يتغير أبدًا .

انقذونى من أمى

هل يمكن لأم مسيطرة ومتسلطة أن تُنشئ أبناء سعداء واثقين من أنفسهم ؟ ، بالطبع لا ، فالأم بهذا الأسلوب التربوى المتحكم تعيق نمو شخصياتهم واستقلالها ، وقدرتهم على اتخاذ أى قرار هام فى حياتهم .

ورسالة هذا الشاب التى أرسلها لى تعبر أصدق تعبير عن المعاناة التى يعيشها صديقه فى ظل أم مسيطرة تتحكم وتتسلط على كل شأن من شئون حياته اليومية باسم الحب ، بينما هى فى الواقع تنخر بهذه المعاملة كالسوس فى بناء شخصيته، لتصبح مهلهلة وضعيفة لاتعرف الطريق إلى السعادة والنجاح. يقول :

- رأيت أحد الشباب الناضج قد تحول إلى شبه مستعمرة محرم فيها أن يلفظ بكلمة لا ، إذ كلما أجاب بنعم فإنه بذلك يرضى مستعمرته أى (أمه) ، قد أتجاوز حدودى عندما أصف مربية الأجيال بهذا الوصف القبيح ، ولكن ما العمل ؟ وهى تصر على أن تجعل ابنها ذا شخصية محطمة ، وتريد أن تجعله يذهب ويأتى (بالريموت) وهو صامت لا ينطق ببنت شفة .

لقد رأيته وهو يصارع بقاء شخصيته ، وألم الخروج على المألوف ، وهى الطاعة العمياء التى فرضتها عليه هذه الأم ، فأصبح كالبناء المهشم لا يهوى اللعب إلا مع الأطفال ، وبفضل ضغطها المتواصل ، تحول إلى إنسان لا رأى له ، ما إن يتلفظ بأنه سيخرج إلا وانهالت عليه بتحذيرها وتهديدها ، بل ربما رمت بالكتب والدفاتر فى وجهه لكى يطيعها لأنها تحبه وتريد مصلحته ، ولم تكتف هذه الأم بذلك وإنما أخذت تراقبه مع من يسير ومع من يجلس ، وتسلط عليه شبكة تجسس علمها أم لم يعلمها ، لأنها تعتقد أنه يجب أن لا يكون له أصدقاء إلا عن طريقها ، فهى التى تدرك أين مصلحته .

وماذا بعد ، يتخرج الابن على أحسن ما يرام ، ويريد أن يتنفس ، فهو

الآن رجل ، إلا أنه ما إن ينطق بذلك حتى يسمع الأمر العسكرى ، بالتوجه إلى قسم معين فى الجامعة دون أى اعتبار لرغبته ، ويستسلم الابن المطيع لأمه الجبارة ، ولا يملك إلا أن يقول سمعًا وطاعة ، وقد رفع الشعار الذى أقنعته أمه به وهو الآية الكريمة : ﴿فَلاَ تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾[1] ولو عقلت وفهمت الآية لما حطمت ابنها .

ولو أدرك هو الهدف من هذه الآية الكريمة لرفض تحكمها وأرشدها إلى الفهم الصحيح لها ، لكنه لم يفعل ذلك ، لم يعط نفسه فرصة للجلوس مع أحد رجال الدين ليفسر له تلك الآية تفسيرًا صحيحًا ، ولم يجلس مع أبيه المتفقه فى أمور الدنيا ليمنحه بعضًا من تجاربه ، حتى لا يخسر الوطن أحد أبنائه ، وتفقد الأسرة شخصية قد ترفع من مقامها عاليًا لو وجدت الأسلوب الصحيح فى التربية ، إلى جانب ما قد يورثه مثل ذلك الشخص الضعيف المنكسر من ذل إلى أبنائه ، وكيف لوطن بعد ذلك أن يتقدم بأشخاص يسيرون كالآلات لا رأى لها .

وبعد ، ذكر كاتب عربى يدعى « محمد الكاتب » فى كتابه الإسلامى التربوى القيم « كيف تسعد أبناءك » الذى طرح فيه موضوع التربية الصحيحة للأبناء فى ضوء ما جاء فى الدين الإسلامى ، قصة شاب جاء له طالبا معونته لكى يهتدى إلى التربية السليمة لأبنائه ، حتى لا يكن مستبدًّا معهم .

وعندما سأله الكاتب : هل كان والدك مستبدًّا فى معاملتك ؟ .

قال الأب الشاب : كان مستبدًّا جدا ، بل حاكمًا دكتاتوريًّا .

وعندما طلب منه الكاتب تفاصيل تجربته قال الشاب :

– كان والدى مستبدًّا برأيه فى كل الأمور الكبيرة والصغيرة ، إذ لم يكن يأخذ برأى واحد من أبنائه .. منذ أن كنا صغارًا ، وحتى أصبحنا

---

(١) سورة الإسراء : من الآية ٢٣ .

رجالاً ، لا أذكر أنه لبى لنا طلبا فى سنوات طفولتنا ، فهو الذى كان يصدر الأوامر ، وكان علينا التنفيذ دون نقاش كما أنه لم يكن يتنازل عن أى قرار يتخذه حتى توسلنا له وزدنا فى الإلحاح ، بل لم يكن يسمح لأى واحد منا أن يكرر طلبه ، لقد ذقنا مرارة استبداده طوال أيام الطفولة والكبر ، وكان هو بذلك يسىء معاملتنا أى إساءة .. كنا نشعر بالألم والحسرة عندما نرى أولاد بعض الجيران يتنعمون بالحرية ، ويرفلون فى أجواء الديمقراطية ، كم تمنينا أن يقتدى أبونا بآبائهم ، ولكن بلا جدوى .

ثم استعرض الكاتب النتائج السلبية لاستبداد الآباء بالأبناء قائلاً :

- ستمنع السيطرة الأبوية المستبدة الابن من تحقيق رغبته فى الاستقلال .. حتى يستطيع أن يأخذ مكانته كفرد ناضج ومستقل فى المجتمع ، كما سينتج عن هذا النوع من المعاملة مشاعر الحقد والكراهية فى نفوس الأبناء نحو آبائهم ، وستزداد رغبتهم فى التخلص منهم حتى أنهم قد يتمنون الموت لآبائهم المستبدين لا من أجل التركة وإنما من أجل التحرر والخلاص منهم .

ثم يؤكد الكاتب أن من حق الأب أن يمنع أبناءه من فعل بعض الأمور ، وأن يضع حدًّا لهم تجاه بعض القضايا التى يراها تضر أنفسهم ومصالحهم ولكن ، ليس من حق هذا الأب منعهم وفرض رأيه عليهم فى كل شىء ، بل ليس له الحق فى أن يفرض رأيه حتى بالنسبة لرغبتهم فى مخالفة بعض العادات والتقاليد إذا كانت رغباتهم لا تتعارض وتعاليم الدين الإسلامى ، وقد جاء بحديث للإمام على رضى الله عنه يؤكد به رأيه ، عندما قال : « لا تقسروا أولادكم على آدابكم ،فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » .

ثم جاء بهذا الحديث الشريف: « لاتكن يابسا فتكسر ولاتكن لينا فتعصر » ليثبت به أهمية استخدام الآباء سياسة اللين فى حين والشدة فى حين آخر ، حتى يتمكنوا من احتواء أبنائهم ، وامتصاص أى بوادر للنقمة فى نفوسهم .

كيف نشرح للطفل الحقيقة ؟

إلى أى حد يمكن أن نتحدث مع أطفالنا عن حقائق الحياة ؟ خبراء التربية يؤكدون على أهمية إخبار الطفل بهذه الحقائق ببساطة واختصار ، إلا أنهم يحذرون الآباء من إشراك أطفالهم فى مشاكلهم الزوجية لأنهم يسيئون بذلك إلى تشكيل شخصياتهم مستقبلاً – ولكى نكون أكثر وضوحًا سنأتى بمثال من واقع الحياة .

شعرت مدرسة هناء بالقلق عليها ، فقد بدت الطفلة التى لم تتجاوز الرابعة من عمرها شاحبة ، حزينة ، منطوية على نفسها ، فاتصلت بوالدتها لتحضر إلى الحضانة حتى تبحث معها عن أسباب تلك الأعراض المرضية التى بدت على ابنتها .

علمت المدرسة من الأم أن هناء تعيش فى جو أسرى مضطرب ، بسبب خلافات شديدة بين والديها وصلت إلى حد الطلاق ، وعندما سألت المدرسة الأم :

– هل أخبرت هناء باختصار عما بينك وبين والدها من مشاكل .. وأنكما تنويان على الطلاق ؟ .

نظرت الأم بدهشة إلى المدرسة وقالت : لا لم أخبرها بالطبع ، فهى أصغر من أن تفهم .

وكان واضحا للمدرسة عندما تحدثت مع سارة أنها كانت تعانى من اضطراب نفسى شديد بسبب خلافات والديها ، وأنها كانت تعتقد أنها هى السبب فى تلك المشاكل .

لقد كان من الأفضل لو شرحت الأم باختصار لابنتها حقيقة ما يجرى بينها وبين زوجها ، مؤكدة لها أن لا علاقة لها بهذه الخلافات ، وأنهما لن يتوقفا عن حبها ورعايتها حتى لو انفصلا بالطلاق ، إلا أن على الأم

أن لا تشرك ابنتها فى تفاصيل تلك المشاكل ، وجعلها طرفًا مؤيدًا لها ، إذ أنها تضر ابنتها كثيرًا بذلك التصرف ، لأنها ستكره والدها ، ومادام من الطبيعى أن تحب الابنة والدها ، فإنها ستسير بذلك فى طريق معاكس لما يجب أن تسير عليه مشاعرها ، وسيؤدى ذلك بها إلى أن تشعر بتأنيب الضمير ، وقد يجعلها ذلك الكره تنفر من الزواج مستقبلاً .

عبرت إحدى السيدات عما عانته فى طفولتها من مشاكل والديها .. عندما كانت أمها تشتكى لها عن خلافاتها مع والدها قائلة :

- تمنيت لو لم تشركنى أمى فى مشاكلها مع والدى ، لقد عرفت عنه صفات قبيحة وددت لو أنى لم أعرفها ، أصبحت مضطرة أن أعيش معها طوال حياتى ، لم تكن أمى عادلة فيما فعلت ، لقد كرهت والدى وأنبنى ضميرى كثيرًا لذلك .

كيف نتصرف إذا كان الطفل على وشك إجراء عملية جراحية ؟ هل نخبره بما سيحدث له أثناء العملية وبعدها ؟ ، الواقع أننا يجب أن نخبره باختصار عن الألم الذى سيشعر به ، وأنه سيستمر فترة قصيرة وسيزول ، أى نعده ليواجه التحدى الذى سيقابله ، ولا يضر أن يحتج الطفل ويبكى معبرًا عن خوفه ، فإن ذلك أفضل من أن يذهب إلى المستشفى مسرورًا ضاحكًا ، ليخرج منها باكيًا مجروحًا ممن كان يثق بهما وهما والداه ، وقد يسبب له ذلك عقدة نفسية تجعله يخاف الذهاب إلى الطبيب مستقبلاً .

إذن ، يمكننا أن نقول الحقيقة لطفل العاشرة قبل أسبوعين من حدوث العملية ، ونخبر طفل الخامسة قبل أيام قليلة ، وإذا شعر الطفل بالخوف واحتج رافضًا إجراءها ، فإن بإمكان الأم أن تقول لابنها :

- أعلم أنك خائف.. وهذا أمر طبيعى.. لكن يجب أن تجرى العملية .. وستعطى مسكنا يخفف عنك الألم الذى لن تشعر به أكثر من يومين .

ومن المهم هنا أن ندع الطفل يشعر بمشاعره الحقيقية .. فلا نقول له :

- أنت أكبر من أن تبكى كالأطفال الرضع .

لأن من حقه أن يعبر عن خوفه .. ألا نبكى نحن عندما نكون حزينين أو خائفين ؟

إننا عندما لا نسمح للطفل أن يعبر عن مشاعره الحقيقية ..فإنه سيصاب بأعراض جانبية تضر بصحته النفسية .

ترى هل نقول للطفل حقيقة مرض أخيه إذا كان مصابا بسرطان الدم ؟ أو أن جده على وشك الموت ؟ أو أن أخاه مريض وبحاجة إلى إجراء عملية له ؟

علينا أن نخبره باختصار لو سأل .. لأننا إذا لم نجب على سؤاله فإنه سيشعر بالخوف لأنه يرى كل من حوله حزينًا وقلقًا .. كما أننا يجب أن نؤكد له أنه غير مسئول عما يحدث .. لأن الطفل مثلما ذكرت سابقا يلوم نفسه على ما يحدث من أذى لمن حوله إذا كان لا يعلم بالحقيقة .. مثلما حدث لعلى البالغ من العمر سبع سنوات عندما اضطرت أخته إلى إجراء عملية جراحية ، إذ أصبح كما وصفته أمه ، يبكى لأتفه الأسباب .. وأهمل دراسته ، وعندما حاولت الأم معرفة سبب ما يحدث له ، علمت منه أنه كان يلوم نفسه على مرض أخته .. ويعتقد أنه المسبب له لأنه يتشاجر دائمًا معها ، إلا أن أمه شرحت له الحقيقة باختصار قائلة :

- كل الإخوة يتشاجرون ويضربون بعضهم بعضًا ، إلا أن ذلك لا دخل له بالنسبة لدخول أختك المستشفى ، فهى قد ولدت بقلب ضعيف ، ونحن مضطرون أن نجرِى لها هذه العملية لتشفى .

ولم تنسَ الأم علامات الارتياح التى ارتسمت على وجه طفلها عندما قالت له ذلك .

ترى ، هل نقول للطفل الحقيقة إذا توفى أحد أفراد العائلة ؟ وإذا سأل أين ذهب جسده ، هل نخبره أننا قمنا بدفنه فى التراب ؟ ، المثال الذى سأسرده يوضح لنا أهمية قول الحقيقة للطفل :

افتقد طفل فى الخامسة من عمره أخته عندما غابت عنه لعدة أيام ، سأل والدته سبب غيابها .. فقالت له إنها توفيت لأن قلبها كان ضعيفًا .. وعندما سألها :

– وأين ذهب جسدها ؟ .

أجابته : سأخبرك عندما تكبر .

إلا أن أمه لاحظت على ابنها أنه أصبح يخاف من البقاء وحده فى غرفته ، أو أن يفتح دولاب ملابسه ، ثم بدأ يستفرغ طعامه ، واكتشفت تلك الأم فيما بعد بمساعدة طبيب ابنها النفسانى أنه كان يخاف وجود أخته المتوفاة فى أى مكان فى البيت .. لأن والدته لم تخبره بأن أخته قد دفنت فى المقبرة .. وعندما أخبرت الأم ابنها بالحقيقة ، شعر بالاطمئنان وزال خوفه .

إن من الخطأ أن نفكر فى توفير الإحساس بالمعاناة عن أطفالنا ، لأنهم جزء من حياتنا ولابد أن يواجهوها يومًا ، ما يحتاجه أطفالنا فعلاً أن نساعدهم على التكيف مع المآسى التى تقع لهم ، وهو يتعلمون ذلك منا ، إذا أخفينا دموعنا ، ووضعنا على وجوهنا قناع الشجاعة ..لن يفكروا هم فى البكاء للتخفيف عن أحزانهم ، رغم أن البكاء وسيلة صحية للنفس والجسد فى مواجهة الأحزان ، فلماذا ننكره على أنفسنا وأولادنا ؟

تعليماتنا للأطفال يجب أن تكون نابعة من صميم الواقع

الأطفال يولدون بلا حياء ولا أخلاق .. ونحن نعلمهم معنى الحياء .. والأسس الأخلاقية الفاضلة ، ولكى نفهم شعور الطفل وموقفه من المفاهيم الاجتماعية المحيطة به ، علينا أن ننظر إليها من وجهة نظره ، وأن لا تتبدل مواقفنا تجاه ما نؤنب حوله أطفالنا . فمثلاً أنبت أم طفلها الذى لم يتجاوز الثالثة من عمره ، لأنه أعلن عن رغبته فى التبول أمام الغرباء ، إذن ، فهم الطفل من كلام والدته أن إعلان رغبته فى التبول أمام الغرباء عيب .. لذلك لم يخبر المدرسة عندما شعر بهذه الرغبة .. لإنه خجل أن يعلن عن ذلك أمام طلبة الفصل .. حتى تبول على نفسه ، ولامته المدرسة كثيرًا .. لأنه لم يخبرها برغبته تلك أمام التلاميذ .. حتى تسمح له بالذهاب إلى الحمام ، لقد تلقى هذا الطفل معلومات متناقضة .. واحتار أيهما عليه طاعته ؟ .

وأطرح مثالاً آخر يوضح لنا حيرة الطفل أمام التعليمات المتناقضة التى يتلقاها ..

ابتسم الوالدان عن رؤيتهما لطفلهما يتجول عاريًا فى أرجاء البيت ، ففهم الابن أن الكبار يسرون عند رؤيته عاريًا ، وفى يوم ، وقف فى الشرفة ، ورفع قميصه إلى أعلى أمام الجيران ، فأسرعت الأم إليه لتنهره وهى غاضبة على سوء تصرفه بقولها :

– عليك أن لا تفعل ذلك مرة أخرى أمام الجيران ، هل فهمت ؟ .

ثم ذهبت العائلة بعد أسبوع إلى شاطئ البحر ، فطلبت الأم من ابنها أن ينزع ملابسه ليرتدى لباس السباحة ، لكنه امتنع ، فقالت له أمه لكى تقنعه :

– لماذا تخجل من ارتداء لباس البحر ؟ ألا ترى الأطفال كلهم يفعلون ذلك من حولك ؟ .

لقد احتار هذا الطفل ، لأنه كشف عن سرواله من قبل فى شرفة بيته فنهرته أمه ، وهى الآن تأمره أن ينزع ملابسه ليظل بملابس السباحة أمام الناس .

والواقع هو ، أن الأطفال يأتون إلى الحياة وهم لا يعلمون شيئًا ، ومهمة الوالدين تعليمهم أولا التصرف السليم ، والمبادئ الأخلاقية الفاضلة ، ولهذا السبب فإن على الآباء أن يراعوا بأن النهى عن الشىء أو الرضا عنه ، لا يتغير بتغير المواقف ، وإنما يجب أن تكون تعليماتنا واحدة لا تتبدل ، حتى لا تهتز ثقة الطفل بتعليمات والديه ، ويشعر بالحيرة وعدم الاطمئنان النفسى ، فيؤثر ذلك بصورة سلبية على شخصيته .

الفصل الثاني

كيف نوجه الانتقاد للطفل
ليطور سلوكه ؟

الانتقاد الإيجابي = تطوير شخصية الطفل

إلى ماذا نهدف عندما ننتقد سلوك أطفالنا ؟ .

إننا نهدف بكل بساطة إلى مساعدتهم على تطوير شخصياتهم .. وتنمية قدراتهم الذاتية لمواجهة المواقف التى تواجههم كل يوم .. ولكى نصل إلى هذا الهدف .. ليس أمامنا من وسيلة إلا الانتقاد الإيجابى الذى يحرك عند الطفل هذا المحرك الذاتى لكى يطور نفسه ، لأن انتقادنا فقط لأخطائه .. لكى يتخلص منها دون أن نذكر الجوانب الإيجابية فى شخصيته .. يشعره بأنه إنسان فاشل لا فائدة ترجى منه ، وهذا الشعور يفقده الثقة بنفسه مع الوقت ، كما أنه يدعم السلوك السلبى لديه ، فالأطفال عادة يأخذون مسألة انتقاد آبائهم لهم بطريقة شخصية ، فهم يشعرون أنهم مهاجمون من قبل أشخاص يريدون إعجابهم لا هجومهم ، بل إن هذا الانتقاد يجعلهم يعتقدون بأنهم عاجزون عن تغيير سلوكهم .

لكن كيف يمكن للانتقاد أن يكون بناءً وإيجابيًّا ؟ ، الانتقاد معناه أن نحكم ونقيم ونلوم ونأمر بالنهى عن تكرار سلوك سيئ ، فهل نستطيع بالانتقاد أن نبنى روح المسئولية والمناقشة والمثابرة لدى أطفالنا .. ؟ نعم ، نستطيع ذلك عن طريق الانتقاد البناء الذى سيساعدهم على تطوير شخصياتهم بأنفسهم .

ولكى أوضح مدى تأثير الانتقاد السلبى على نفسية الطفل ، وكيف يدفعه إلى العناد وعدم التطور سأذكر هذا المثال .

جلست الأم مع ابنها على البالغ من العمر عشر سنوات ، لكى يستعرض أمامها السطور التى حفظها ليؤديها فى مسرحية المدرسة .

بدأ على يمثل بثقة ، ثم بدأ يغلط فى بعض الكلمات ، فشعر بالارتباك وأخذ يخطئ فى نطق كلمات أخرى .

قالت الأم : على ، لا تسرع فى لفظ الكلمات .. قلها ببطء ووضوح .. هذه سطور سهلة جدا .

رد على : سأحاول .

لكنه ما لبث أن عاد إلى ارتكاب الأخطاء .

قالت له والدته وهى تلومه : لو أنك درست الدور جيدًا ، وطبقته كل يوم ، مثلما كان عليك أن تفعل ، فإنك لن تنسى هكذا .

أجاب على وقد بدا الضيق على وجهه : كفى يا أمي ، سأحفظ دورى قبل أن يحين موعد المسرحية .

ردت الأم بقلق : وأين الوقت لكى تحفظ دورك ، المسرحية ستعرض الأسبوع القادم ، فكيف ستحفظه فى هذه المدة القصيرة ، أحمد حفظ دوره كله ؟ .

أجاب على غاضبًا : دعينى وحدى ، لا أريد مساعدتك .

كانت هذه الأم سلبية فى انتقادها لابنها .. لذلك جاءت النتيجة التى تريدها عكسية إذ غضب على .. ولم يرد مساعدتها .. فهى عندما قالت له :

– لا تسرع فى نُطْقِ الكلمات ، قلها ببطء ووضوح ، هذه سطور سهلة جدًّا .

كأنها تقول له :

– أنت غير قادر على حفظ الدور ، رغم سهولته .

وعندما قالت لابنها :

– لو أنك درست الدور وطبقته كل يوم ، مثلما كان عليك أن تفعل ، فإنك لن تنسى . هكذا ، كأنها تلومه على كسله ..

وعندما قارنت بينه وبين صديقه أحمد الذى انتهى من حفظ دوره ، فإنها جعلته أقل ثقة بنفسه ، لذلك ثار عليها غاضبًا بقوله :

– دعينى وحدى ، لا أريد مساعدتك .

والواقع ، أننا عندما نعلق على ما يبذله الطفل من مجهود وهو يؤدى واجبه ، أو وهو يدرس ويتمرن على حفظ دوره فى مسرحية ما ، بأن نقول له : إن ما يقوم به أمر سهل ، فإننا بذلك نهبط من عزيمته ونقلل من ثقته بنفسه ، لذلك علينا من خلال الانتقاد الإيجابى أن نقول العكس ، لكى نحرك فيه روح المثابرة والثقة بالنفس بأن يقول الأب لابنه مثلا :

– إن ما تقوم به ليس سهلاً ، أليس كذلك ؟ ، لكننى أراهن على أنك قادر على القيام به . لقد شارك الأب هنا ابنه شعوره ، ثم وضع فى نفسه الثقة على أنه قادر على إكمال العمل الذى يقوم به ، وحرك بذلك الدافع الذاتى لديه لكى يثابر ويطور عمله بنفسه .

انتقد سلوك ابنك لا شخصيته

متى يكون انتقادك لابنك إيجابيًّا وبناءً ، ومتى يكون سلبيا هدامًا ؟ .

عندما يخطئ طفلك .. فتوجه حديثك إلى ما كان يجب عليه القيام به لكى يتفادى الخطأ الذى ارتكبه ، فإنك بذلك توجه له انتقادًا إيجابيا بناءً .. يدعم ثقته بنفسه ، ويجعله راغبًا فى تطوير سلوكه ، أما إذا انصب انتقادك على شخصيته ، وقمت بتحقيرها ووصفها بصفات قبيحة ، سيجعله ذلك مقهورًا راغبًا فى الانتقام منك ، لما سببته من ألم نفسى ، فيتدهور سلوكه .

ولنأت بمثال واقعى يوضح لنا كيف يضر الانتقاد السلبى نفسية الطفل ، ثم سنتبعه بمثال آخر يبين لنا الانتقاد الإيجابى ونتائجه الطيبة .

زياد طفل فى العاشرة من عمره ، سكب كوبًا من الحليب دون أن يقصد وهو جالس مع والديه على مائدة الإفطار .

صرخت أمه فى وجهه قائلة :

– أعتقد أنك فى سن تجعلك تعرف كيف تمسك الكأس ، كم مرة قلت لك أن تأخذ حذرك ، لكنك كالعادة لا تسمع الكلام .

وعلق الأب غاضبًا :

– لن يفعل ذلك أبدًا لأنه غبى ، وسيبقى دائمًا غبيًّا .

لقد سكب زياد خمسة سنتات من الحليب .. لكن هجوم والديه القاسى على شخصيته عندما فعل ذلك ، سبب له ألمًا نفسيًّا سيظل أثره فى نفسه زمنًا طويلاً ، وقد يفقده الكثير من ثقته بنفسه ، كما أنه لن يجعله راغبًا فى تحسين سلوكه .

وكان من المفروض أن يتعامل هذان الوالدان مع طفلهما بأن يوجها لومهما للتصرف الخاطئ الذى ارتكبه ، وهذا ما فعله والدى أيمن البالغ من العمر ٨ سنوات عندما سكب كوبًا من الحليب دون أن يقصد على مائدة الإفطار .

علقت والدة أيمن بهدوء بعد أن تعلمت أسلوب النقد البناء :

- لقد سكبت الحليب وعليك الآن تنظيف المائدة .

ونهضت لتأت بإسفنجة مبلولة وأعطتها لابنها قائلة :

- خذ يا أيمن الإسفنجة ، لتمسح الحليب الذى سكبته .

نظر أيمن إلى والدته بحب لأنها لم تغضب عليه كعادتها ، وشعر بالأسف لعدم انتباهه وعاهد نفسه بأن يكون أكثر حذرًا فى المستقبل ، وشكرها قائلاً :

- أنا آسف يا أمى وأشكرك .

ولم تقل له أمه :

- كن أكثر حذرًا فى المرة القادمة .

لأنها لم تكن راغبة فى إفساد إحساسه بالامتنان ، الذى ارتسم واضحًا على ملامحه ، تقول هذه الأم للخبير التربوى الذى علمها هذا الأسلوب فى الانتقاد :

- كنت من قبل أنفعل وأغضب على ابنى ، ويفلت لسانى بتعليقات جارحة تمس شخصيته ، وتضطرب أعصابى طوال النهار ، لقد تفاديت اليوم كل هذه المشاعر السلبية فى نفسى ، وأصبحت علاقتى بابنى مريحة ، هادئة ، ووجدته راغبًا أكثر فى تحسين سلوكه .

طفلى يتعلم اتخاذ قراره بنفسه

حاولت من قبل التركيز على كيفية استخدام الانتقاد الإيجابى فى التعامل مع أبنائنا ، لنتمكن من الاستفادة منها فى التعامل معهم ، لكى نتمكن من تأسيس علاقتنا بهم على التفاهم والاحترام ، فنحقق الهدف من انتقادهم وهو تطوير سلوكهم .

ولنستعرض هذا المثال حول فائدة هذا الأسلوب البناء فى تطوير قدرات الأبناء . سعاد فتاة فى التاسعة من عمرها ، أرادت أن تخط بالحبر الأسود ملصقًا تساهم به كعمل إضافى فى الفصل ، وتحصل مقابله على درجات دراسية ، لذلك ذهبت إلى والدها لتطلب منه استخدام ذلك الحبر .. وكان فى إمكان الأب أن يرفض طلب ابنته ، إذ قد ينتج عن استخدامها للحبر الأسود انسكابه على أرض الغرفة المغطاة بالسجاد فيملؤها بقعا من الصعب إزالتها فيما بعد ، لكنه فكر بأنه إذا فعل ذلك ، فإن ابنته ستثور وتغضب ، وسيدور نقاش حاد بينها وبينه لتحصل على ما تريد ، لذلك قرر أن يشرح لها سبب رفضه حتى تنفذه وهى مقتنعة .

قال الأب لابنته : أليس من الأفضل لك أن تستخدمى أصباغك الملونة .. ؟إذا انسكب الحبر الأسود على الأرض ، فإنه سيوسخ السجاد ومن الصعب تنظيفه .

ردت سعاد : لكنى أريد خطوطا جميلة وواضحة ، والحبر الأسود سيساعدنى على القيام بها ، أرجوك يا أبى أعطينى إياه .

أجاب الأب بهدوء : لكن من الممكن أيضا أن تفسدى الملصق كله إذا لم تحسنى استخدامه ، خصوصًا إذا انسكب قليلاً منه على الورقة ، ستضطرين عندئذ إلى إعادة العمل كله .

لكن الابنة ألحت قائلة : لا ، سآخذ حذرى ، ولن أفعل ذلك .

وافق الأب قائلاً : مثلما تشائين ، خذى الحبر والقلم من مكتبى ، وسأجلس هنا أراقبك وأنت تعملين على أوراق مسودة أولاً ، فقط خذى حذرك .

وهنا تراجعت سعاد عن قرارها ، بعد أن خشيت أن يضيع الكثير من وقتها فى التجربة على أوراق ، كما أنها فكرت بأنها قد تفسد الملصق نفسه فتضطر إلى إعادة تصميمه وكتابته مرة أخرى ، فقالت لأبيها :

– أعتقد أنك على حق يا والدى عندما قلت لى : إننى قد أوسخ السجاد بالحبر الأسود ، أعتقد أن من الأفضل لى أن أستخدم الأقلام الملونة التى اشتريتها لى الأسبوع الماضى .

نلاحظ فى هذا المثال أن والد هدى لم ينتقدها بطريقة تستفزها .. بأن يقول لها .

مثلاً : أعرفك ، سوف تنسين الحبر مفتوحًا كعادتك فينسكب .

أو – إنك مهملة أحيانا ، لذلك قد ينسكب الحبر على السجاد فيفسده .

لكنه اختار طريقة انتقاد بناءة لا تجرح شعورها إذ قال لها :

– لكن من الممكن أيضا أن تفسدى الملصق كله إذا لم تحسنى استخدامه ، خصوصًا إذا انسكب قليلاً من الحبر على الورقة ، ستضطرين عندئذ إلى إعادة العمل كله .

أى أنه جعل ابنته تنفر بنفسها من استخدام الحبر الأسود لأنه قد يفسد عملها كله ، وجعلها ذلك الإحساس تفكر فى الرجوع عن رأيها دون أى ضغط من والدها ، واختارت بنفسها الطريقة الأسلم ، وذهبت لاستخدام الأصباغ الملونة .

من خلاصة ما ذكرت ، يتضح لنا أن الطفل لا يريد من والديه التقليل من شأنه ، وإنما يريد احترامهما ، لأن ذلك يجعله واثقًا من نفسه ، وعلينا

كآباء أن ندعم هذه الثقة فى نفوس أبنائنا لأنها الأساس فى بناء شخصياتهم السوية ، والانتقاد الإيجابى هو خير وسيلة لبناء هذه الثقة فى نفوسهم ، وأساليبه عديدة نستطيع أن نتعلمها بالثقافة فى مجال علم نفس الطفل وتطبيقها ، ومع التمرين والصبر سنستطيع أن نصل إلى ما نريد .

إن الطفل يرى نفسه من خلال ما يوجه له من انتقاد .. فإذا كان الانتقاد الموجه له سلبيًّا ، فإنه يرى نفسه بصورة سلبية ولنأت بمثالين يوضح لنا هذه الصورة . إذا أراد أب أن يعلم ابنه حل مسألة حسابية وقال له :

- كيف لم تفكر بتلك الطريقة ، إن المسألة سهلة جدًّا ، لو أنك قرأتها بدقة أكثر لسهل عليك فهمها .

فإن رد الفعل عند الطفل سيكون سلبيًّا أى سيقول لنفسه :

- أنا فعلاً ولد غبى ، لن أستطيع أن أتعلم كيف أحل مسائل الحساب أبدًا .

ولو انتقد الأب ابنه بطريقة سلبية قائلاً :

- لو كان فى إمكانك أن تحاول أكثر فإنك سوف تؤديه بطريقة أفضل ، أنت تستسلم بسهولة جدًّا .

فإن رد فعل الابن السلبى أنه سيقول لنفسه :

- لماذا أحاول ، لن أستطيع مهما حاولت أن أجعل أدائى لعملى أفضل .

إذن ، نلاحظ من خلال هذين الانتقادين السلبيين تضاؤل ثقة الطفل بنفسه ، ونحن لا نريد أن يحدث ذلك لأبنائنا ، وإنما نريد لهم العكس ، الثقة بالنفس ، والرغبة فى التطور ، والقدرة على اتخاذ القرار .

كيف أساعد ابنى على تغيير عاداته السلبية ؟

قد نعتقد أننا إذا انتقدنا سلوكًا لأطفالنا ، ودعوناهم لاستبداله بسلوك آخر ، فإنهم سوف يستجيبون لنا ، وسنصل إلى ما نريد ، لكن الواقع أنهم سيرفضون ما ندعوهم إليه ، بل إننا قد نستفزهم إلى الثورة علينا ، لأنهم سيعتقدون بأننا نضايقهم ، أو أننا نجرح اعتزازهم بأنفسهم .

ولأوضح ما ذكرته ، سأضرب هذا المثال لأبين الأثر السلبى لمثل ذلك الانتقاد على سلوك أطفالنا ، وما هو الأسلوب الصحيح البديل له :

لاحظت فاطمة أن ابنها محمود البالغ من العمر عشر سنوات يكثر من مشاهدة التلفزيون، ولايمارس رياضة معينة يداوم عليها ، فأرادت أن تنتقد سلوكه، وتقترح عليه سلوكًا بديلاً ، لكى تبعده عن مشاهدة التلفزيون فقالت له :

– هل تريد أن تشاركنى المشى قليلاً ؟ .

رد عليها محمود – وعيناه لا تفارق شاشة التلفزيون :

– لا ، لا أريد ، لأنى أشاهد فيلمًا مشوقًا .

قالت فاطمة لعلها تقنع ابنها : الفيلم المشوق سيتلوه فيلم مشوق آخر ، هل أنت راض عن نفسك هكذا ، اليوم إجازة ، وأنت منذ الصباح لم تخلع البيجاما ، وعيناك لم تفارق برامج التلفزيون .

أجاب محمود بتذمر واضح : أمى ، البرنامج ممتع ، ولا أريد أن أتركه ، سأمشى معك مرة أخرى .

عادت فاطمة تلح على ابنها قائلة :

– الجو رائع فى الخارج ، والرياضة ستفيد جسمك، وأنت تترك كل ذلك من أجل برنامج فى التلفزيون، لا أدرى كم برنامج ممتع ستشاهد اليوم ؟ .

رد محمود بتأفف : أوه يا أمى ، ألا تتركينى وتذهبى .

عادت فاطمة تحاول إقناع ابنها :

– أنت لا تقوم بأى تمارين رياضية ، لو تركتك تفعل ما تريد فقط ، ستضعف صحتك ، فأنت لا تتوقف عن أكل الحلويات ، ومشاهدة التلفزيون طوال النهار .

أجاب محمود وهو يوشك على البكاء :

– لا ، أنا لا أفعل ذلك ، ولا أريد أيضًا أن أمشى معك .

لقد غضب محمود لأن أمه جرحت اعتزازه بنفسه ، فالأطفال يريدون ما يؤكد اعتزازهم بأنفسهم ، ولا يريدون أن ينتقدهم آباؤهم ، بل يسعون إلى كسب إعجابهم ، أبناؤنا يمتصون انتقادنا كما تمتص الإسفنجة الماء ، لأنهم يرون أنفسهم من خلال عيوننا .

إذن ، نحن لا نحرك بمثل ذلك الانتقاد السلبى لتصرفات أبنائنا ، رغبتهم فى تطوير أنفسهم ، وقد يعتقدون أن من الأفضل لهم أن لا يجربوا ، حتى لا يصابوا بالفشل . إلا أننا نستطيع أن نصل إلى ما نريد عن طريق جعل انتقادنا إيجابيا بدل أن يكون سلبيًّا .

كان على فاطمة أن لا تقطع على ابنها مشاهدته لفيلم مشوق يراه ليمشى معها ، لأنها تريده أن يترك مشاهدة التلفزيون ، وإنما تضع له نظامًا سابقًا تعود ابنها عليه ، بأن تحدد له وقتا معينًا ، يشاهد خلاله التلفزيون حسب ما عليه من واجبات أثناء الدراسة ، وثلاث ساعات فى أيام الإجازة ، إلا أن فى إمكانه اختيار الوقت المناسب لمشاهدة برامجه ، على أن لا يكون ذلك على حساب تأدية واجباته المدرسية ، فهذا الأسلوب فى التعامل مع الطفل يعطى نتيجة إيجابية ، أكثر من أن تنتقده أمه أثناء مشاهدته للتلفزيون بأن تقول له :

– أنت لا تقوم بأى تمارين رياضية .. لو تركتك تفعل ما تريد ..

ستضعف صحتك ، لأنك لن تتوقف عن أكل الحلويات ومشاهدة التلفزيون طوال النهار .

لأننا وجدنا النتيجة السلبية التى تمثلت فى امتصاص الابن لانتقاد أمه بقوله وهو مقهور النفس :

- لا ، أنا لا أفعل ذلك ، ولا أريد أيضًا أن أمشى معك .

أى أنه دافع عن شخصيته التى جرحتها والدته ، بوصفها باللامبالاة والبلادة ، وثار عليها لأنها أفسدت عليه متعته وهو يشاهد برنامجه ، بأن ازداد عنادًا وواصل مشاهدته للتلفزيون ، وحتى لو ترك محمود مشاهدة التلفزيون مرغمًا ، فإنه لن يمشى مع والدته ، سيفعل أى شىء آخر يحبه ، لا ما تريد منه والدته أن يفعله . إلا أن إمكان الأم أيضًا أن تجلس مع ابنها فيما بعد ، وتجرى معه حوارًا فتقول له مثلاً :

- هل تعلم أن مشاهدة التلفزيون مدة طويلة ، تجعل عقل الإنسان خاملاً ، لأننا لا نستخدمه ، وإنما نتلقى دائمًا البرامج المقدمة لنا .

ثم تتابع قائلة : قد يفيدنا التلفزيون أحيانًا ببرامجه المفيدة ، وقد يسلينا أحيانًا ، لكن علينا أن لا نجعله مركز اهتمامنا كله ، لأن عقلنا يريد أن يتحرك وأن يفيدنا ، فنستخدمه فى ممارسة هوايات أخرى مثل الرسم والقراءة والألعاب العقلية ، كما أن أجسامنا بحاجة إلى الرياضة والطعام المغذى لكى تنمو بطريقة صحية ، لذلك علينا أن نقسم نشاطنا خلال يومنا حتى نستطيع أن نتمتع ونستفيد بكل ما أنعم اللّه علينا من نعم .

ومن الأفضل أن تسأل ابنها عن رأيه ، لأن ذلك يشعره بقيمة ذاته ، ويساعده على أن يتقبل حديثها أو نصيحتها اللامباشرة ، ويرغب فى تنفيذها ، لكن على الأم أن لا تتوقع أن ينفذ ابنها كل ما وعدها به منذ أول جلسة ، يكفى أن ينفذ ٢٠٪ مما وعدها ، ليعنى ذلك تطوير شخصيته .

إن اكتساب العادات الجديدة صعبة فى البداية على الكبار والصغار ، لكن إذا تواجدت الرغبة من الأبناء ، ومعها الصبر والفهم والتعاون من الوالدين ، مع اختيار العبارات التشجيعية من الآباء للأبناء ، وتكرار الجلسات بينهم بطرق مختلفة ، تقوم على الانتقاد البناء والأحاديث القصصية أو المسلية فى المساء أو قبل النوم ، فإن هذه الجلسات ستمد جسرًا من الصداقة بينهم وبين أبنائهم ، ليصلوا إلى المزيد من الفهم بمميزاتهم الشخصية ، فيساعدوهم على تطوير شخصياتهم بأنفسهم .

كيف يطور الطفل سلوكه بنفسه ؟

عادة ما ننتقد أبناءنا ، عندما يخطئون ونحن نهدف من وراء ذلك إلى تطوير سلوكهم ، إلا أن العالم النفسانى المعروف « فيتزوف ديدسون » يقدم لنا من خلال كتابه « كيف تكون حازمًا بالحب » أسلوبا جديدا لمعاملة أطفالنا لنحقق به هذا الهدف ، أسماه « أسلوب المكافأة الإيجابى » الذى يقوم على أساس .. أن يمنح الأب طفله مكافأة عندما يحسن التصرف ، حيث لاحظ هذا الدكتور المتخصص لسنوات طويلة فى علم نفس الطفل .. أن الآباء عندما يعاقبون أبناءهم على سوء سلوكهم ، فإنهم إنما يدعمون بذلك هذا السلوك السلبى .. لأننا لو سألنا أنفسنا ، أيهما أفضل للطفل أن لا يمدح والده سلوكه الحسن أى يتجاهله .. أم عندما ينتبه لسلوكه السيىء ويعاقبه ؟

سنجد بأن الطفل يسعده انتباه والده حتى لو كان ذلك فى صورة عقابه .. ولهذا نجد تكرار الأطفال لتصرفاتهم السيئة لكى يحصلوا على المزيد من هذا الانتباه من آبائهم إذن ، لو قام هؤلاء الآباء بملاحظة أبنائهم عندما يحسنون التصرف .. ومكافأتهم على ما فعلوا سواء كان ذلك بالاحتضان أو بمنحهم هدية بسيطة .. فإنهم يدعمون بهذا الاهتمام رغبتهم فى تحسين سلوكهم .. وسنرى بعد ذلك أن الطفل سيتعود تدريجيًا على أن يتصرف بشكل حسن .. لأنه يعتقد أنه بذلك يسعد والديه .. ثم سيشعر أن حسن سلوكه سيشعره بالإشباع النفسى .. وسيصبح جزءًا من شخصيته .

إلا أن على الأب أن يقرر بنفسه متى يمنح طفله تلك المكافأة عندما يحسن التصرف ، ولا يعطيه إياها إذا طلبها لأنه إذا فعل ذلك فإنه سيعوده على الاستجداء . كما أننا سنلاحظ بأننا عندما نتبع هذا الأسلوب مع أطفالنا سنتعود على أن نلاحظ دائمًا تصرفاتهم الحسنة .. وعندما نمدحهم على سلوكهم الحسن ، فاننا بذلك ندرب أنفسنا دون أن نشعر على تركيز تفكيرنا

على كل ما هو إيجابى حولنا .. أى أننا سنصبح عكس هذا الأب الذى جاء إلى الدكتور « فيتزوف ديدسون » يشتكى له سوء سلوك ابنه البالغ من العمر أربع سنوات .. طالبا منه أن يساعده لكى يجد وسيلة يحسن بها سلوكه وعندما سأله الدكتور « ديدسون » :

– وماذا يضايقك من سلوك ابنك ؟

انهال الأب ساردًا بإسهاب كل تصرفات ابنه السيئة التى استخلص منها الطبيب أنه يعتدى دائمًا على ألعاب الأطفال فى الحضانة .. ويسيطر عليهم .. ويضرب من لا يطيعه منهم وغير ذلك من أفعال سلبية .

أما عندما سأله : وماذا يفعل ابنك من تصرفات إيجابية ؟ .

وقف هذا الأب حائرًا لأنه لم يكن قادرًا على أن يذكر ، صفة إيجابية واحدة لابنه ، عندئذ اقترح الدكتور « ديدسون » عدة صفات حسنة .. وسأل الأب إذا كان ابنه يتمتع بأحدها . ووجده يوافقه على بعضها ، أى وافقه على أن طفله كان يذهب إلى الحضانة بسهولة ، كما أن لديه طاقة وحيوية ، وأن لديه شخصية محترمة بين زملائه .

إذن ، لو أراد الأب فى هذا المثال أن يطور صفات ابنه الحسنة ، فإن عليه أن يطبق عليه « أسلوب المكافأة الإيجابى » أى عليه أن يمدحه عندما يلاحظ أيًّا من تصرفاته الإيجابية .

وقد حدث ذلك فعلاً ، لأن الطفل عندما سمع والده يمدحه عندما يتصرف بشكل حسن شعر بارتياح نفسى .. وبدأ يستجيب له ، وعندما انتقل الأب إلى مرحلة مكافأة الابن أى عندما أصبح يكافئ ابنه عندما يرتكب تصرفات حسنة جديدة ، وجد أن سلوك ابنه أخذ يتحسن تدريجيا .

ولو سألنا أنفسنا ما نوع المكافأة التى نمنحها لأطفالنا ، فإن الجواب على ذلك هو أننا نستطيع اختيارها حسب شخصية كل طفل معتمدين على

ذلك فيما يرغب فيه من أماكن يزورها أو أشخاص يحبهم أو هوايات يحب ممارستها .. أو أشياء يحب امتلاكها ، أى مكافأتهم من خلال ما يميلون إليه معنويًا وماديًا .

لنفترض أنك كأب لا تريد من طفلك أن يكرر تصرفًا سيئًا يقوم به ، مثل مشاجراته مع إخوته .

فإن عليك حينئذ أن لا تعاقبه أو تحاضره عندما يفعل ذلك ، أى أنك تحرمه من الاهتمام الذى يريده ولو كان عقابا .

وبدلا من ذلك عليك أن تضع برنامجًا يقوى من صفاته الإيجابية ، أى أنك إذا رأيته يعامل إخوته بلطف فى ذلك النهار أن تمنحه مكافأة على ذلك التصرف مباشرة لكى تقوى رغبته فى تكراره ، وحتى إذا كرر ذلك مرتين أو ثلاثة فى الأيام الأولى ، فإن عليك أيضا إعطاءه هذه المكافأة فى كل مرة يحسن فيها التصرف مباشرة ، من أجل تدعيمه فى سلوكه .

أى أنك ستصبح بذلك الفعل وكأنك تصطاد ابنك وهو يتصرف بشكل إيجابى وتكافئه على ذلك .. أما إذا كان معه أخوه ، فإن عليك عندئذ أن تكافأه معه .. على أن تقول لهما :

- أناسعيد لأنكما لم تتشاجرا اليوم ، هاهى ذى بعض الحلوى مكافأة لكما.

بقى أن أقول بأن علينا أن نبدأ أسلوب المكافأة الإيجابى مع أطفالنا وهم صغار ، لكى يتعودوا عليه ، ويشعروا بإشباع ذاتى عندما يحسنون التصرف ،وهذا سيكون وحده فيما بعد مكافأة فى حد ذاته لهم .. فيحاولون دائما أن يطوروا سلوكهم بأنفسهم . وهذا ما نسعى إليه فى تربية أبنائنا لكى يصبحوا أشخاصًا سعداء ، يتمتعون بروح المسئولية والرغبة فى بناء وتقدم مجتمعاتهم .

تطوير أداء الطفل

كيف نستخدم أسلوب مشاركة الآباء لمشاعر أبنائهم ، فى تطوير سلوكهم أو أدائهم ما سأستعرضه الآن من مثال ، سيوضح لنا كيفية استخدام هذا الأسلوب ، ونحن نلعب مع أطفالنا ، خصوصًا عندما نعلمهم لعبة جديدة .

جلس أب مع ابنه على البالغ من العمر عشر سنوات يعلمه لعبة الشطرنج .. وبما أن الأب كان يعلم ابنه كيف يلعب هذه اللعبة ، فقد كان يتيح له فرصا عديدة لينتصر عليه ، لكن على لم يكن ينتبه لها ، فكان يخسر فى كل مرة ، وعندما تكرر فشله فقد أباه صبره فعلق قائلاً :

– لماذا لا تنتبه وأنت تلعب ؟ ، ألا ترى الفرص التى أوفرها لك لكى تكسب ، وأنت تخسر فى كل مرة .

رد ابنه فى ضيق بعد أن جرح والده كبرياءه :

– أنا أحاول فى كل مرة ..لكننى مازلت أتعلم ، هل تتوقع منى أن ألعب بمهارة ، وأنا لم أبدأ فى لعب الشطرنج إلا منذ شهر .

شعر الأب عندئذ أنه كان قاسيًا على ابنه ، وقد يكره بسبب ذلك اللعبة ، فبادر إلى تغيير طريقة انتقاده ليساعده على تحسين أدائه مستخدمًا أسلوب مشاركة الآباء لمشاعر أبنائهم .

قال الأب لابنه : لقد جرحت إحساسك يا بنى ، أليس كذلك ؟ .

أومأ الطفل برأسه ثم قال :

– وأشعر أنى لا أريد أن ألعب هذه اللعبة مرة أخرى .

أجاب الأب : أفهم ذلك ، الشطرنج لعبة صعبة ، أى شخص يحتاج إلى سنوات لكى يصبح ماهرًا بها .

قال على بعد أن ارتاح لحديث والده :

– أحيانًا لا أعرف إلى أين أتحرك ؟ .

علق الأب على حديث ابنه وهو يشاركه مشاعره قائلاً :

– وهذا الأمر يضايقك ، أليس كذلك ؟ .

هز على رأسه موافقًا ثم قال : وأتمنى لو أنك تساعدنى قليلاً .

رد عليه والده : لكنك لم تكن تريدنى أن أنصحك فى المرات السابقة التى لعبنا بها .

قال على : معك حق ، أتذكَّر ذلك ، لكنى أريدك أن تساعدنى إذا طلبت منك ذلك ، هل توافق ؟ .

أجابه والده بنبرة مرحبة : بالطبع ، هل تريد أن تلعب مرة أخرى ؟ .

أجاب على بمرح ولهفة للعب : بالتأكيد ، هيا بنا .

لو استعرضنا الموقف ، لوجدنا أن تعليق والد على عن لعبة الشطرنج بقوله :

– أفهم ذلك ، الشطرنج لعبة صعبة ، أى شخص يحتاج لسنوات لكى يصبح ماهرًا بها بدا وكأنه يلوم لعبة الشطرنج على عدم إتقان ابنه لها وهو يلعبها ، لأنه وصفها بأنها لعبة صعبة ولم يلم ابنه ، وعندما شعر على أن والده لا ينتقده ، بل يعترف بشعوره ويشاركه فيه ، جعله ذلك راغبًا فى أن يعبر لوالده عما يضايقه بقوله :

– أحيانًا ، لا أعرف إلى أين أتحرك .

ثم اقترح الحل بنفسه على والده ، بأن طلب منه أن يساعده إذا أراد مساعدته ، لقد شعر على بأنه يحب لعبة الشطرنج ويريد أن يطور أداءه بها ، وهو ما كان يهدف إليه والده من انتقاده الإيجابى ، وبالطبع يستطيع الآباء تطبيق هذه الطريقة فى مشاركتهم لأبنائهم فى ألعاب أخرى .

دعونا نركز على الفعل لا الفاعل فى الانتقاد

عادة ما يأخذ أبناؤنا انتقادنا لهم على أنه هجوم عليهم .. فيستعدون للدفاع عن أنفسهم ولا نصل إلى الهدف الذى نقصده .. فلماذا إذن لا ننتقد العمل أو الفعل الذى ارتكبه الطفل لا الفاعل نفسه أى الطفل .. لقد جرب بعض الآباء هذه الطريقة الجديدة ، واستفادوا منها فى تطوير سلوك أبنائهم .

إلا أننا كما ذكرت سابقًا ، لا ننتظر أن يتحول الطفل إلى شخص مثالى بمجرد أن يحاول معه والداه طريقة تربوية واحدة أو أخرى ، فالتربية عملية تحتاج من الآباء إلى الصبر والتمرين والثبات على المبدأ الذى وضعوه كأساس لها وعدم التراجع عنه ، لأن الطفل مخلوق ذكى يدرك أين نقاط الضعف فى شخصية كل من والديه ، فيستغلها ليسيطر عليهما ، لكن الحزم فى استخدام الطرق التى ذكرتها ، والتآلف بين الآباء والأبناء ، وزرع بذور الحب والصداقة بينهم هى الأسس الصحيحة فى تربيتهم ، وهى التى تساعد على خلق الجو الأسرى الهادئ المريح ، ولا ننسى أهمية المباعدة بين الولادات لما لها من دور فى فهم شخصية كل طفل على حدة وإشباع احتياجاته النفسية والجسدية .

وأعود إلى صلب الموضوع الذى بدأته ، لأطرح هذا المثال الذى يوضح الطريقة التى ذكرتها :

تعود والد عادل أن ينتقد تصرفات ابنه البالغ من العمر تسع سنوات بقوله :

- لماذا لا تأخذ حذرك أكثر من ذلك حتى لا تتسخ ملابسك .

أو يقول له : لماذا تسبب لنا فى كل مرة نجتمع فيها على طاولة الأكل كل هذا الإزعاج ، ألا تنتبه حتى لا تسقط الطعام على الأرض ؟ .

لكن والد عادل قرر أن يبدل طريقة انتقاده لابنه فيوجهها إلى الفعل

الذى أحدثه ابنه ، وماذا يجب أن يتم من إجراء لإصلاح الأخطاء التى نتجت عنه ، دون أن يوجه الحديث إلى ابنه مباشرة .

وجاءت المناسبة عندما سكب عادل قليلاً من المرق على الطاولة دون قصد ، فأصاب رشاشها أرضية الغرفة ، كاد الأب كعادته أن ينفجر فى وجه ابنه ويلومه على إهماله كعادته ، لكنه كبت غضبه وقال بنبرة حازمة :

– هذه البقعة على السجاد بحاجة إلى تنظيف بالصابون والإسفنج .

انبهر عادل برد فعل أبيه الهادئ المختلف عن العادة ، فشعر بالخجل والامتنان لوالده لأنه لم يصرخ فى وجهه عندما أخطأ ، وذهب بهدوء إلى خزانة التنظيف ، وأخرج قطعة من الإسفنج وغمسها بالصابون وقام بتنظيف أرضية الغرفة ، ثم قال لوالده :

– أنا آسف يا والدى ، هذه المرة سأكون أكثر حذرًا .

لو أن والد عادل صرخ فى وجه ابنه كعادته عندما ينتقده قائلاً :

– لماذا لا تنتبه يا ولد ، أنت دائمًا مهمل هكذا .

فإن عادل سيغضب وسيدافع عن نفسه ، ولن يفكر فى أن يجيب والده بأنه سيكون أكثر حذرًا فى المرة القادمة ، لكن هدوء والده جعله يخجل من تصرفه ، وسارع إلى تصحيح خطئه ، عازمًا على عدم الإهمال والحذر عندما يتناول طعامه فى المستقبل .

لن أفعلها مرة أخرى يا أمى

فى إمكاننا أحيانًا أن نستخدم نتائج الفعل الذى يرتكبه الطفل كطريقة أخرى فى تطوير سلوكه ، بدل أن ننتقده مباشرة ، لأنه سيكون بهذا الأسلوب أكثر اقتناعًا بما هو مطلوب منه ، حيث أنه جرب نتيجة مخالفته لما يريده منه أبواه .

ولأوضح ما أهدف إليه من حديثى ، سأطرح هذا المثال الذى قد يمر بأى والدين .

ليلى طفلة فى الخامسة من العمر ، كانت تستعد للذهاب إلى بيت صديقتها لتلعب معها فى حديقة بيتها ، كان الطقس يميل إلى الدفء ، إلا أنها أصرت على أن ترتدى جاكيت صوف تحب ألوانها ، وتصر على ارتدائها دائمًا فى فصل الشتاء .

قالت لها أمها وهى تحاول إقناعها لكى تبدل رأيها :

– ستشعرين بالحر إذا ارتديت هذا الجاكيت ، خصوصًا وأنك ستلعبين تحت أشعة الشمس صباحًا .

ردت ليلى بعناد : لا ، لن أشعر بالحر ، أريد أن ألبس هذا الجاكيت .

عادت الأم تلح مرة أخرى :

– أعرف أنك ستشعرين بالحر .. لكنك عنيدة .

أجابت الابنة بعد أن أوشكت على البكاء :

– لا أريد إلا هذا الجاكيت .. وإلا فلن أذهب ..

وذهبت الأم إلى خزانة ملابس ابنتها ، وأخرجت قميصًا جميل الألوان ومناسبًا لحرارة الطقس ، لكن ابنتها رفضت أن ترتديه ، ورمته بغضب على الأرض ، وعادت إلى الجاكيت الذى أرادت ارتداءه ، فكرت الأم قليلاً وقالت لنفسها :

– لماذا لا أدعها ترتدى ما تريد ، وسوف تشعر بالحر ، عند ذلك ستدرك خطأ عنادها ، وسيكون ذلك درسًا لها ، تتعلم منه كيف تختار ملابسها بطريقة مناسبة لحرارة الطقس .

وبدأت الأم تستخدم طريقتها الجديدة .

قالت لابنتها ليلى : هل أنت مصرة على ارتداء هذا الجاكيت ؟ .

أجابت ليلى : نعم ، ولا أريد غيره .

ردت الأم : أنت حرة ، مادام هذا اختيارك .

بدت الدهشة واضحة على ملامح الابنة ، وهى ترى رد فعل أمها الهادئ ، وتساءلت : هل سيكون اليوم باردًا .

أجابت الأم : لا ، الجو سيكون دافئًا .

ردت ليلى : وأنت لا تمانعين أن أرتدى الجاكيت الذى أريده .

قالت الأم : ما دمت تريدين ..لا مانع لدى .

وارتدت ليلى ما أرادت من ملابس ، لكنها سرعان ما شعرت بالحر ، عندما لعبت مع صديقتها فى الحديقة ، فذهبت إلى أمها تشكو قائلة :

– أمى .. أشعر بالحر ، ولا أستطيع أن أواصل بهذه الملابس .

أجابت الأم : ألم أقل لك فى البيت : إن الجاكيت لا يناسب طقس اليوم ، لكنك اخترته وعاندت فى اختيارك .. والآن احتملى حرارة الجو إلى أن نعود إلى البيت .

أجابت ليلى بتأفف : لكنى ، لا أستطيع اللعب هكذا ، أشعر بحرارة شديدة .

ردت الأم بحزم : وأنا لا أستطيع أن أعود إلى البيت الآن ، انتظرى إلى أن يحين وقت عودتنا ، لقد كان هذا اختيارك ، وعليك تحمل نتائجه .

وجلست الابنة جانبًا تنتظر عودة أمها إلى المنزل ، لأنها لم تكن قادرة على مواصلة اللعب ، بسبب ما تشعر به من حرارة ، لقد قررت مرة أخرى أن تستمع إلى نصيحة والدتها ، وتختار الملابس المناسبة للطقس .

إذن ، واضح لنا فى هذا الموقف ، أن ليلى قد تحملت نتيجة تصرفها الخاطئ ، ولن تعيده مرى أخرى عن اقتناع ورغبة فى عدم تكرار مثل هذا الموقف معها .

أهمية التعاون بين البيت والمدرسة

ماذا تفعل الأم عندما يتأخر ابنها دراسيا ؟ كيف تساعده على أن يتقدم فى دراسته ؟ لنستعرض تجربة هند الناجحة مع ابنها حسن البالغ عشر سنوات ، لعلنا نستفيد منها فى معالجة مثل هذه المواقف مع أبنائنا .

اتصلت مدرسات حسن بوالدته ، يطلبن لقاءها لمناقشة سير دراسة ابنها .. تضايقت هند من هذا اللقاء الذى تكرر مرتين هذا العام .. والشكوى واحدة .. سرحان ابنها فى الصف .. وإهماله لواجباته ، واجتماع رأى مدرساته حول ارتفاع مستوى قدراته العقلية ، عدم استغلالها لكى يتفوق .

قابلت هند مدرسات ابنها .. واتفقت معهن على أن تكون حازمة معه حول ضرورة إنهائه لواجباته الدراسية يوميًّا قبل أن يمارس أى نشاط لهو وحده أو مع أصدقائه ، وركزت هند فى تطوير أداء ابنها الدراسى .. حول أهمية إقناعه بأن اهتمامه بدراسته يجب أن يكون نابعًا من نفسه ..لا خوفًا من العقاب ، ولأنه يرغب فى التفوق حبًّا فى النجاح ، حتى يتعود على مثل ذلك التفكير وهو يبنى مستقبلة المهنى . قاوم حسن فى البداية حزم والدته .. لكنه استسلم فى النهاية ..لأنه أدرك تصميمها هى ووالده اللذان اتفقا على نفس المبدأ فى معاملة ابنهما .

وتدريجيًّا ، لاحظت الأم أن ابنها تطور إلى حد ما فى جميع المواد الدراسية ، إلا أنها اندهشت عندما قابلت مدرساته فى اليوم المفتوح ، عندما وجدت أن مدرسات اللغة العربية والدين والحساب والعلوم ، لاحظن ذلك التحسن رغم أنهن أكدن مرة أخرى أنه قادر على المزيد من التفوق الدراسى لو اجتهد أكثر ، إلا مدرسة اللغة الإنجليزية التى شعرت الأم أنها لم تحاول ملاحظة تطور ابنها الدراسى ، لأنها أشارت إلى نسيانه لبعض واجباته قبل أسبوعين وهى تنتقد إهماله لمادتها .

استاءت هند أن تركز المدرسة فقط على تلك الفترة التي سبقت لقاءها بمدرساته ، ولا تلاحظ محاولة ابنها فى تحسين أدائه الدراسى خلال الأسبوعين الأخيرين .

وصلت هند إلى البيت مرهقة ومتعبة لما تحاوله مع ابنها من جهد وإقناع بأهمية دراسته ، وكانت أيضًا متضايقة جدًّا ، لأنه لا يستغل كل قدراته العقلية ليحصل على درجات تتناسب مع ذكائه .

وكان ابنها فى انتظارها ، ليسألها بلهفة عما ذكرته مدرساته عنه .. فردت عليه قائلة : مدرسات اللغة العربية والدين والعوم والحساب لاحظن أنك قد تطورت .. لكنهن أكدن لى أنك تستطيع .. لو بذلت جهدًا أكبر أن تكون من أوائل الطلبة فى الفصل .. لا أدرى ماذا تنتظر لكى تستفيد من ذكائك حتى تتفوق .

ووجدت الأم نفسها تبكى لا شعوريا .. لما تشعر به من ضغوط نفسية بسبب عدم تجاوب ابنها الكامل معها .. ولم تكن تعلم أن رؤية ابنها لها وهى تبكى سيكون له أفضل تأثير عليه لأنه شعر بمدى حبها وإخلاصها ، وبأنه راغب أن يسعدها وأن يكسب إعجابها ، لف ذراعيه بلهفة وحب حولها ووعدها قائلا :

– لا تبكى يا أمى ، والله العظيم أعدك بأنى سأحاول أن أتقدم أكثر فى دراستى ، وستكونين فخورة بى ، أعدك بذلك .

تأثرت الأم من حنان ابنها ولهفته عليها فقالت له :

– وأنا واثقة أنك ستفى بوعدك ، مثلما تعودت ذلك منك دائمًا .

وبالفعل ازداد اهتمام ابنها بدراسته ، وأصبح يهتم بأداء واجباته المدرسية بنفسه دون دفع منها ، وتقدمت درجاته الدراسية إلا فى مادة اللغة الإنجليزية ، مما أثار دهشتها فسألته :

– لماذا أنت مصر على إهمال مادة اللغة الإنجليزية ؟ .

أجابها فورًا: لأننى أكره طريقة المدرسة الباردة فى التدريس وأكرهها هى

سألته أمه فى دهشة : ولماذا تكرهها ؟

– لأنها قالت لى أمام الطلبة بأنى أتصرف كالطفل الصغير ، ثم سألتنى عما إذا كنت لا أزال أرضع حليبًا من أمى .

وأكمل قائلاً : شعرت بالخجل كثيرًا من كلامها – أنا أكرهها ، لقد ضحك كل الطلبة على ، أنا أحب مدرساتى الباقيات لأنهن طيبات وينصحننى بلطف حتى أهتم بدروسى .

لم تسكت هند عن انتقاد هذه المدرسة السلبى الذى تتبعه مع الطلبة ، فذهبت فى اليوم التالى إلى المدرسة للقاء المديرة ، التى تعاونت معها كثيرًا ، باجتماعها مع مدرسة تلك المادة ومواجهتها بما فعلت ، ونصحها لها باتباع أسلوب الانتقاد الإيجابى مع الطلبة لتشجعهم على التقدم فى دراستهم .

وبالفعل ، لاحظت الأم أن معاملة هذه المدرسة لطفلها قد تحسنت كثيرًا .. بعد أن أصبحت تتبع الانتقاد الإيجابى معه .. وتقدمت درجاته الدراسية فى مادة اللغة الإنجليزية إلى جانب المواد الأخرى .

ولو قمنا بتحليل ذلك الموقف .. لوجدنا أن الأم كانت إيجابية مع ابنها وهى تحاول مساعدته على التقدم فى دراسته .. عندما تعاونت مع مدرساته على أن تكون حازمة معه فى مسألة أدائه لواجباته .. إلى جانب محاولتها إقناعه بأن اهتمامه بدراسته يجب أن يكون نابعًا من نفسه لا خوفًا من العقاب ، إذ سيكون تفوقه الدراسى طريقًا إلى نجاحه فى المستقبل ..

وعندما بكت أمه لا شعوريا أمامه لما كانت تشعر به من إرهاق وإحباط يسببه لها ابنها ، شعر الطفل بحب والدته واهتمامها به .. فأراد أن يسعدها ويستعيد ثقتها وإعجابها بأن وعدها قائلاً :

– أعدك بأنى سأحاول أن أتقدم أكثر فى دراستى .. وستكونين فخورة بى .. أعدك بذلك فالأطفال يهمهم أن يكسبوا حب آبائهم وإعجابهم .. ولا يريدون أن يكونوا مصدر ضيق لهم ، وقد أحسنت الأم عندما أشعرت ابنها أن اجتهاده مسئوليته وحده وأنه سيكون عند حسن ظنها ، عندما قالت له :

– وأنا واثقة أنك ستفى بوعدك ، مثلما تعودت ذلك منك دائمًا .

ولأن الطفل يعتز بنفسه ولا يقبل بالتقليل من شأنه أما الآخرون .. فقد كره حسن مدرسة اللغة الإنجليزية لأنها سلبية فى انتقادها وأراد أن ينتقم منها بإهمال مادتها ، وعندما غيرت من معاملتها له وأصبحت تنتقده بأسلوب إيجابى ، اهتم بتلك المادة .

نخلص من ذلك إلى أن الطفل يتجاوب كثيرًا مع الانتقاد الإيجابى ، سواء فى البيت أو المدرسة ، فيسعى إلى تطوير ذاته بنفسه ، وينطبق ذلك أيضًا على الكبار فى ممارسة شئون حياتهم ، لكى يتطوروا ويتقدموا فى أعمالهم .

كيف أصل إلى قلب وعقل ابنى ليتقدم فى دراسته ؟

دخلت بدرية غرفة نومها وجلست على سريرها تفكر .. ماذا فعلت بابنها ؟ لماذا غضبت عليه كل هذا الغضب لأنه لم يؤد واجبه الدراسى .. كان عليها أن تشعره بمسئوليته نحو واجباته الدراسية .. وتتفق مع مدرساته على عقابه إذا لم يكمل واجبه .. وبالتعاون بينها وبين معلماته .. سيتقدم فى دراسته .. لأنه سيشعر أن نجاحه بها مسئوليته وحده .. وسيتحمل نتيجة إهماله لها ..أما هذا الغضب والشجار اليومى حول أداء واجباته الدراسية ..فإنه لن يأتى بالنتيجة المطلوبة .. بل أن ابنها سينام الآن مقهورًا .. وربما لن يدرك أن سبب غضبها عليه كان لكى يهتم بدراسته ، لماذا لا تتدارك خطأها بعد غضبها عليه كثيرا تلك الليلة .. وتذهب إلى غرفته .. وتجرى معه حوارًا هادئًا .. توضح له من خلاله استياءها من إهماله لواجباته المدرسية ..وأن حبها له وحرصها على مصلحته دفعها إلى الغضب والثورة عليه .. بسبب تكرار شكاوى مدرساته منه .. وخصوصًا مدرستى مادتى اللغة العربية والحساب .

عادت بدرية إلى ابنها ، كان يستعد للنوم ، وقد بدا الضيق والحزن على وجهه ، اقتربت منه قائلة :

- تعال يا أحمد اجلس بجانبى .

جلس أحمد بجانب أمه منتكس الرأس .. أحاطته بذراعها وانحنت عليه لتقبله على خده ثم قالت له :

- هل تعلم أننى أحبك كثيرًا ؟ .

رد عليها ابنها : لماذا إذن تغضبين على هكذا ؟ .

أجابته ببساطة وهدوء : لأننى أحبك وأريدك أن تهتم بدراستك ، وأنت تهملها وخوفى عليك كأم يدفعنى إلى الغضب عليك ، عندما يتكرر إهمالك لواجباتك الدراسية ، وتصلنى الشكاوى من مدرساتك لعدم انتباهك فى الفصل ، رغم أنهن يؤكدن لى أنك ذكى جدًّا ، أى أنك لا تستخدم إلا ربع ما منحك الله من ذكاء ، هل تعلم ماذا سيحدث لذكائك إذا لم تستخدمه كله ؟ .

تساءل أحمد بفضول : ماذا سيحدث له ؟ .

أجابت الأم : سيعلوه الغبار والصدأ وتحرم من الجزء المهمل منه ، مثل أى آلة لا نستخدمها مدة طويلة ، ألا يعلوها الغبار والصدأ ولا نستطيع إصلاحها واستخدامها ؟ هذا ما سيحدث لذكائك ، هل تريد أن يحدث له ذلك ؟ .

أجاب بحماس : لا بالطبع لا أريد .

وعادت الأم لتكمل حديثها حتى تصل إلى الهدف منه :

– إذن ، عليك أن تستخدمه كله ، وكلما استفدت منه كلما ازداد حيوية ، وستحصل على نتائج ممتازة فى الدراسة ، وفى حياتك القادمة عندما تكمل دراستك الجامعية وتتجه إلى العمل ، وعندئذ سأكون فخورة بك كثيرًا .

ثم سألته : والآن ألا تريد أن تكون متفوقًا فى دراستك ؟ .

أجابها فورًا : نعم أريد .

قالت الأم : إذن ، دعنا نتعاون على أن تكون الأول فى الفصل ، أنت تذاكر – وأنا هنا أساعدك عندما تحتاج لى ، هل تعدنى بأنك ستهتم بدراستك ؟ .

أجابها بحماس : أعدك يا أمى .. لكننى لا أعدك بأن أكون الأول فى الفصل .. سأكون من الطلبة الأوائل .

ضمته أمه إلى صدرها وقد أضحكتها طريقة تعبيره .. ثم قالت له :

– وأنا موافقة على ذلك .. وواثقة أنك سوف تحقق ما وعدتنى به .. وسنفتخر أنا ووالدك بك .

واستلقى ابنها على سريره ، وانحنت أمه لتقبله على خده ، واحتواها بذراعيه ليقبلها هو الآخر على خدها ، ونظراته تقول لها : إنه ممتن لما فعلته وتفعله دائمًا من أجله ، وأنه يحبها كثيرًا .

وبالتدريج بدأت علامات ابنها تتقدم فى جميع مواده الدراسية ، كما أنه أصبح أكثر اهتمامًا بأداء واجباته المدرسية دون تذكير دائم منها ، وكانت الأم على اتصال دائم مع مدرساته لتعاونهن على فهم نفسية ابنها وأفضل السبل للتعامل معه من أجل تحريك قدراته العقلية إلى المزيد من التفوق الدراسى ، الذى بدا واضحًا على أوراق التقييم التى ترسلها كل مدرسة مع ابنها مع نهاية كل أسبوع .

ولو حللنا ذلك الموقف بين الأم وابنها ، لوجدنا أن أحمد فهم من والدته سبب غضبها عليه ، ولمس حبها له واهتمامها به .. ثم أن ما قالته فى جلستها معه أشعرته بثقته بنفسه .. لأنها قالت له أن مدرساته قد أكدن لها قدرته على التفوق فى دراسته وتريد منه أن يدرك ذلك جيدًا ليتقدم فى دراسته بقرار يقرره هو بنفسه ويلتزم به أمامها .

وقد قرر أحمد بالفعل أن يتحمل هذه المسئولية ..

لقد استطاعت بدرية بهذه الجلسة الهادئة المشبعة بالحب والإخلاص فى أداء دورها كأم ، أن تصل إلى قلب ابنها وعقله لتحقق الهدف الذى تسعى إليه ، وهو تحمل ابنها لمسئولية دراسته وتفوقه بها .

كيف أساعد ابنى على تحسين أدائه الدراسى ؟

لو فكر كل أب أو أم فى أن يمنع نفسه من ذكر الجانب السلبى من أداء ابنه وهو يؤدى واجبه الدراسى عندما ينتقده .. لاستطاع بذلك أن يساعده على التقدم فى دراسته .

كيف ؟ لندع ليلى تتحدث عن تجربتها مع ابنتها منى ، لعلها تفيد الآباء فى تطبيق هذه الطريقة الإيجابية فى الانتقاد .

قالت ليلى تستعرض ما فعلت :

– تعودت أن أركز فى انتقادى لمواضيع ابنتى الإنشائية على خطها الأعوج الردىء ولا أنتبه إلى جمال أفكارها ، لذلك كنت أطلب منها إعادة كتابة مواضيعها مرة أخرى وسط غضبها وامتعاضها .. لكننى الآن لاحظت كم كنت مخطئة فى تصرفى معها ، فقد ازدادت إحباطًا مع مرور الوقت ، وفقدت ثقتها فى مقدرتها على كتابة موضوع إنشائى نظيف .

وفى يوم فوجئت بها تصرخ فى وجهى وهى تبكى :

– كم أكره درس التعبير .. أنا لا أستطيع أن أكتب أى موضوع بطريقة صحيحة .. أنت لم ترضى على أى عمل قمت به حتى الآن .

وتتابع ليلى استعراض تجربتها :

– تألمت لابنتى ، لم أقصد إيذاء مشاعرها ، راجعت طريقة انتقادى ، واكتشفت أنى اهتم كثيرًا بخطها وأهمل ملاحظة أفكارها .. التى اكتشفت عندما قرأتها بتمعن مدى جمالها .. قلت لنفسى :

– لماذا لا أمدح مضمون موضوعها الإنشائى .. وأترك مهمة الاهتمام بخطها لمدرسة الفصل لأنه من اختصاصها وليس من اختصاصى .

وتكمل ليلى تجربتها الناجحة :

– جاءت ابنتى كعادتها بموضوع الإنشاء لكى أقرأه قبل أن تضعه فى شنطتها .

تغاضيت عن اعوجاج خطها ، وذكرت لها إعجابى بأفكارها .. واندهشت عندما أخبرتنى عندما عادت من المدرسة أن معلمة اللغة العربية قد اختارت موضوعها ضمن الخمسة المواضيع الفائزة التى تمت قراءتها فى الفصل ، وبعد عدة أسابيع كتبت ابنتى موضوعًا إنشائيًا آخر .. وسألتنى إذا كنت أرغب فى قراءته ، أجبتها متعمدة لكى لا أرى خطها :

– الأفضل أن تقرئيه لى .

وقرأت ابنتى موضوعها ، واستمعت إليها باهتمام وقد أعجبتنى أفكارها فقلت لها : « يبدو أنك قد بذلت مجهودًا كبيرًا فى كتابة هذا الموضوع .. لابد أنك راضية عن نفسك أجابتنى فرحة :

– نعم ، هل ستحتفظين به يا أمى ؟ .

أجبتها فورًا : مؤكد .

وكانت هذه هى ابنتى التى لم تكن راغبة فى كتابة أى موضوع منذ عدة أسابيع . لقد تصرفت ليلى بمهارة مع ابنتها عندما لم تنتقد خطها .. لأن مسألة تحسين خط ابنتها لا يدخل فى نطاق مسئوليتها وإنما تقع مسئوليته على مدرستها ، وقد دعمت مقدرة ابنتها على التعبير الإنشائى ، عندما اهتمت بأفكارها ومدحتها ، كما أن ابنتها منى كانت محظوظة ، عندما وجدت مدرسة تهتم بمضمون ما تكتبه أكثر من اهتمامها بتصحيح خطها الردىء .. ويكفى دليلاً على ذلك أنها اختارت موضوعها ضمن المواضيع الممتازة التى تمت قراءتها على بقية طلبة الفصل ، وقد زاد ذلك منى فرحًا وثقة بنفسها لكتابة مواضيع أفضل فيما بعد .

ونجحت كلمة الحب

جاء خجلا إلى أمه ، عمره لا يزيد عن ١٤ عامًا ، كانت درجاته الدراسية قد تراجعت فى ذلك الشهر ، لكنه لم يكن يريد أن يخفى ذلك عن والديه ، فقد تعود معهما على الصراحة والوضوح .

قال لأمه والضيق مرتسم على وجهه :

– أمى ، لا تزعلى منى ، علاماتى فى الفصل الثانى أضعف من الفصل الأول .

ومد يده بشهادته ، فأخذتها والدته وبدأت تقرؤها .. بدا الضيق والعتاب واضحًا على ملامحها .

كان من الممكن أن تعاقب هذه الأم ابنها ، بأن تحرمه من أى شىء يحبه لفترة من الوقت حتى يشعر بتقصيره ، أو تثور فى وجهه غاضبة .. لكنها فضلت أسلوبًا تربويًا آخر ، كانت نتائجه رائعة، ترى ما هو هذا الأسلوب ؟ .

رفعت الأم رأسها وقالت لابنها :

– اجلس بجانبى لنتحدث .

جلس الابن مع أمه متهيبًا ينتظر .. لا يدرى كيف ستواجه والدته تقصيره الدراسى ، لكنه فوجئ بها تحدثه بلطف وحب وحزم ، قالت له :

– تأخر درجاتك الدراسية هذا الشهر لا يرضينى ولا يرضى والدك ، لأننا نعلم بأنك تستطيع أن تحصل على علامات أفضل .. مثلما كنت تفعل من قبل .

وصمتت قليلاً لتتابع حديثها :

– أنت تعلم أن بإمكانى عقابك ، أن أمنعك مثلاً من مشاهدة الأفلام التى تحبها، أو زيارة أصدقائك أو ممارسة أى هواية تميل إليها لفترة من

الوقت ، حتى أشعرك بتقصيرك الدراسى ، لكننى لن أفعل ذلك ، أتدرى لماذا ؟

سألها ابنها : لماذا ؟

قالت الأم : لأننى لا أريدك أن تؤدى واجباتك الدراسية وأنت غير مقتنع ، إن نجاحك فى الحياة مستقبلاً ، يعتمد أساسًا على إحساسك بالمسئولية نحو دراستك الآن كواجب تؤديه على أفضل وجه .. وفى وقته المحدد .. إن تعودك على أداء واجباتك الدراسية بشكل منتظم وبإخلاص سينمو معك ، وسيؤدى بك إلى النجاح فى حياتك العملية فيما بعد ، أنت تعلم أنى أحبك كثيرًا وكذلك والدك ، وإننا نريد لك النجاح والسعادة فى الحياة .

وبعد أن انتهت من حديثها ضمته قائلة بحنان وحب صادق :

- أنت ابن ناضج ، وأفضل من أولاد كثيرين فى مثل سنك ، يكفى أنك تؤدى واجباتك الدراسية اليومية وحدك دون دفع منى أى من والدك ، ربما افتقدت التركيز فى الدراسة هذه المرة ، لأننى لاحظت أنك تضع موسيقى عالية الصوت أثناء دراستك ، لابد أن يكون هناك سبب ، وسوف تتجنبه فى المستقبل ، وستحصل على علامات أفضل .

ثم ربتت أمه على شعره بحب وقالت له :

- أنا واثقة أنك ستفى بوعدك كعادتك .

وكانت هذه الجلسة الهادئة المشبعة بالحب والحنان والحزم بين الأم وولدها قد تركت تأثيرًا وإحساسًا بالمسئولية فى نفس الابن نحو أدائه لواجباته الدراسية .. أفضل من العتاب الصارم .. فقد ذهب الابن إلى غرفته واستغرق فى دراسته .. بعد أن أسكت صوت الموسيقى العالية .

وبعدها بأيام ، بدأت الأم تلاحظ ارتفاع درجات ولدها الدراسية .

كيف ننتقد أطفالنا ؟

عندما ننظر إلى أبنائنا وهم نائمون .. نراهم وجوهًا ملائكية هادئة .. فنشعر بحب جارف نحوهم وعطف شديد عليهم .. لكنهم ما أن يستيقظوا ويبدءوا فى ارتكاب سلسلة تصرفاتهم اليومية من شجار مع بعضهم البعض .. أو عندما يأنون للحصول على ما يريدون .. نجد أنفسنا نصرخ ونثور عليهم .. أو ننتقدهم أو نتهمهم بأنهم يتعمدون ارتكاب هذه الأفعال لكى يثيروا أعصابنا .. فنعاقبهم .. ونشعر بالذنب لأننا قسونا عليهم .. إلا إننا نعود ونذكر أنفسنا بأننا لا نعاقبهم إلا لأننا نحبهم .. ولأننا نريدهم أن يبتعدوا عن سلوكهم السلبى الذى قد يسىء إلى شخصياتهم مستقبلاً .

لكننا فى النهاية سنجد أننا نستطيع أن نتجنب العديد من المواجهات اليومية العنيفة مع أطفالنا .. لو أننا تعلمنا كيف نسيطر على مشاعرنا ونتعامل مع المواقف التى تواجهنا يوميا معهم بهدوء وحكمة ، تستلزم منا تفكيرًا مسبقًا لما نريد قوله لهم ونحن ننتقدهم لتقويم سلوكهم ، لأننا نستطيع بذلك أن نحقق الهدف الذى نسعى إليه ، وهو تطوير شخصياتهم بأنفسهم وهم مقتنعون أن تحقيق ذلك الأمر لصالحهم . والواقع ، أن معظم الآباء مع الأسف ، لا يفعلون ذلك مع أبنائهم ، والموقف الذى سأستعرضه الآن يمثل تلك المواجهة اليومية السلبية التى يكررها الآباء مع الأبناء .

قالت الأم لابنها :

– محمد انتبه ، ستسقط العصير .

رد محمد : لا .. لن أسقطه .

إلا أن الأم علقت قائلة :

– لقد أسقطته من قبل .. وستسقطه الآن ، أعلم أن ذلك سيحدث لأنك تضع كأسك دائمًا على حافة الطاولة .

بدأ التوتر واضحًا على نبرة محمد وهو يجيب والدته :

- أوف يا أمى ، ألا تكفى وتتركينى وحدى .

وبعد عدة دقائق سقط العصير .

أنبت الأم ابنها قائلة : ألم أقل لك : إنك ستسقطه ، هل تتعمد أن تثير أعصابى ؟ حذرتك ألف مرة أن تبعد الكأس عن حافة الطاولة .. لكنك لا تسمع كلامى ، انهض الآن ونظف المكان .

إذا أردنا أن نحلل هذا الموقف بين الأم وابنها محمد .. سنجد أن هذه الأم لم تتعلم كيف تسيطر على تصرفاتها معه .. رغم أنها لم تقصد بالطبع إثارة أعصابه .. إلا أن أسلوبها فى الحديث معه كان يثير أعصابه بالفعل .. فهى عندما تقول لابنها :

- محمد انتبه ، ستسكب العصير .

كأنها تدفعه للدفاع عن نفسه بقوله :

- لا لن أفعل ذلك .

وعندما تقول له : أعلم أن ذلك سيحدث .. لأنك تضع كأسك دائمًا على حافة الطاولة .

فإنها بهذه الجملة الاستفزازية تهاجم اعتزاز ابنها بنفسه .. وكأنه لا يملك القدرة على التصرف الصحيح .

إذن ، حديث الأم مع ابنها لم يدفعه إلى إصلاح سلوكه بأن يبعد العصير عن حافة الطاولة ، وإنما استفزه وأثار غضبه فتذمر محتجًا على والدته بقوله :

- أوف يا أمى ، ألا تكفى وتتركينى وحدى .

لكن إذا تعلمت هذه الأم وغيرها .. كيف تتصرف بطريقة سليمة ومتزنة

مع أطفالها ، فإنها ستلاحظ بالتدريج التغيير الإيجابى على سلوكهم ، خصوصا عندما تبعد الانتقاد السلبى الاستفزازى عن أسلوبها فى الحديث معهم .. وبالطبع يتطلب ذلك من الوالدين أن يتعلم كل واحد منهم كيف يسيطر على أعصابه .. ويفكر بما سيقوله لابنه قبل أن تصدر من شفتيه الجمل الانتقادية التأنيبية له .

تقول إحدى الأمهات اللواتى استفدن من جلسات إرشاد الآباء فى أوربا :

– لقد تغيرت علاقتى بأبنائى ، أصبحت هادئة ومريحة ، لأننى تعلمت كيف أتحكم فى تصرفاتى معهم بالصبر والتمرين ، أراقب ردود أفعالى التلقائية ، وأحاول التحكم فيها بأن أفكر قبل أن أحدثهم بما أريد منهم أن يفعلوه .. وبالتدريج وجدت نفسى ، أسمعهم بطريقة مختلفة انعكست على حياتنا العائلية ، فأصبح الهدوء يسود تصرفاتى معهم ، وحتى لو لم أنجح فى بعض الأحيان إلا بنسبة ١٠٪ عندما استخدم تلك الأساليب الجديدة ، فإنها أفضل من لا شيء ، لقد أصبح ابنى اليوم فى العشرين من عمره والثانى فى الثانية والعشرين ، وبسبب تلك الطرق التى تعلمتها فى تلك الجلسات ، فإن علاقتى بهم قامت ولا زالت على الحب والاحترام والثقة .

كيف نتجنب الشجار اليومى مع أطفالنا ونحن ننتقدهم ؟

لو قمنا بتسجيل حوارنا مع أبنائنا طوال اليوم ، لوجدنا أن أغلبه أوامر صادرة منا إليهم لأداء واجباتهم اليومية ، ولن يزيد هذا الحوار عن هذه العبارات « أسرع فى ارتداء ملابسك » « قميصك متسخ ، اذهب وارتد غيره » « إنه طعامك » « اجلس بطريقة صحيحة » اذهب وامشط شعرك المنكوش » « لا تنس سندويتشك » « استعجل وإلا تأخرت عن المدرسة » « رتب ألعابك » « ابدأ فى أداء واجباتك المدرسية » « انهض لتستحم » « البس بيجامتك » « اترك أختك ولا تتحرش بها » « اذهب إلى النوم » إذن ، سيتضح لنا من هذا التسجيل أن حديثنا مع أبنائنا أغلبه أوامر .. فلماذا نندهش إذا تظاهروا أنهم لا يسمعون هذه الأوامر ؟

الواقع أن مسئوليتنا كآباء لا تتطلب منا أن نعمل ٢٤ ساعة لكى نطور سلوك أطفالنا .. وإنما علينا فقط أن نعلمهم السلوك الصحيح ونضع لهم الحدود الضرورية لكى لا يتجاوزوها فيسيئوا إلى أنفسهم وإلينا ، لا أن نحول حياتنا معهم إلى محاضرات عليهم الإصغاء إليها وتنفيذها، لأنهم سيتحولون بذلك إلى آلات مبرمجة لا كائنات مستقلة لها قدرة على التفكير والإبداع .. واتخاذ قراراتها بنفسها وتحمل نتائج هذه القرارات ، إذ لا تتيح أكثر محاضرات الآباء للأبناء المجال للحوار بينهم وبين أبنائهم ، لأنها تكون على شكل أوامر تسير فى اتجاه واحد فقط ، ومهمة الأبناء أن يطيعوا دون أن يناقشوا وهذا ما يدفعهم إلى أن يتظاهروا بالصمم أو أن يستعدوا لمواجهتنا بتحد واضح لما نسببه من استفزاز يومى لهم.. وفى النهاية سنجد أنفسنا نقوم عنهم بأعمالهم بدل أن نعلمهم كيف يعتمدون على أنفسهم للقيام بها .

وكمثال على ذلك سأورد هذا المثال الذى يتكرر تقريبًا فى كل أسرة .

ذهبت الأم إلى غرفة ابنها لكى توقظه ليذهب إلى المدرسة .. إلا أنه أخذ يئن قائلاً : ألبسينى ملابسى ، لا أستطيع أن أرتديها بنفسى .

ردت الأم : أنت قادر بالتأكيد ، لكنك كسول دائمًا هكذا ، انهض بسرعة .

رد الولد مدافعًا عن نفسه : لا أنا غير كسول .

قالت الأم : إذن ماذا أنت .. لقد بلغت الخامسة من عمرك وتستطيع ارتداء ملابسك بنفسك .

احتج الابن قائلاً : أنا لم أصل إلى الخامسة بعد .. لازال سنى أربع سنوات وتسعة أشهر فقط .

أجابته أمه : دع عنك ذلك .. أخوك أحمد لا يزيد عمره عن ثلاثة سنوات ونصف .. ومع ذلك يرتدى ملابسه بنفسه .. والآن انهض بسرعة وإلا تأخرنا .

قال الابن وهو يتظاهر بعدم المبالاة : من يهتم .. دعينى أتأخر .

ردت الأم بعد أن نفد صبرها وهى تضع القميص على رأس ابنها :

- كم أنا تعبة منك ومن سخافة تصرفاتك .

رد عليها ابنها غاضبًا : أنت خبيثة ، أنا أكرهك ، اذهبى عنى .

ويتكرر مثل هذا الموقف بالنسبة لواجبات يومية أخرى على الأطفال القيام بها خلال يومهم .. مثل تناول الوجبات والاستحمام قبل النوم أو دراسة دروسهم أو مشاهدة التلفزيون .. ويتراوح حديثنا مع أطفالنا لأداء هذه الواجبات ما ين حوار قصير هادئ أو حاد صادر منا لنفاد صبرنا معهم .. وفى النهاية لا يفوز أحد من الآباء أو الأبناء بهذا الأسلوب ، لأننا عندما نجعل أطفالنا يطيعوننا بالإرغام والتهديد والعقاب فإنهم يصابون

بحالة من اليأس تجعلهم يثيرون مواجهات أخرى بيننا وبينهم ليثبتوا لنا أنهم لازالوا أقوياء وأننا غير قادرين عليهم .

ولو عدنا إلى الموقف الذى استعرضناه بين الأم وطفلها ، سنجد أن الأم بقولها لطفلها :

– أنت قادر بالتأكيد .. لكنك كسول دائمًا هكذا .. انهض بسرعة .

كأنها توحى له بأنه لازال صغيرًا وعليه أن يعتمد عليها بكسله الذى يمارسه .. لذلك رد عليها بثورة : لا أنا غير كسول .

انتقاد آخر وجهته الأم لطفلها عندما قالت له :

– إذن ماذا أنت .. لقد بلغت الخامسة من عمرك وتستطيع ارتداء ملابسك بنفسك .

فرد عليها قائلاً بعد أن ارتفعت حدة غضبه : أنا لم أصل الخامسة بعد .. لازال سنى أربع سنوات وتسعة أشهر فقط .

وعندما قادت الأم خيبة أملها فى طفلها إلى مقارنته بشقيقه الأصغر .. رد عليها ابنها مدافعًا عن نفسه بقوله : من يهتم .. دعينى أتأخر .

وعندما يئست والدته من ردوده وقالت له :

– أنا تعبة منك ومن سخافة تصرفاتك .

رد عليها ابنها مدافعًا عن نفسه بيأس : أنت خبيثة ، أنا أكرهك ، اذهبى عنى .

وكأن هدف الطفل من هذه الجملة الانتقام من والدته ، لأنها هاجمته وهى تدفعه لارتداء ملابسه ، أى لم تنجح هذه الأم فى الوصول إلى الهدف الذى كانت تسعى إليه من وراء انتقاد ابنها .. وهو تطوير سلوكه .

إن هدفنا ونحن نربى أبناءنا أن نجعلهم يشعرون بأنهم مسئولون عن أنفسهم لكى يتعاونوا معنا فى أداء واجباتهم .. لا أن يكونوا كالإنسان

الآلى ، أو أن نذكرهم دائمًا بواجباتهم ، فالحياة بهذا الأسلوب متعبة جدًا للوالدين وتثير النكد والحدة فى علاقاتهم بأبنائهم .. وبالطبع لا يمكننا أن نتفادى دائمًا الصراع مع أطفالنا ، لأن ما يريد أن يفعله الأبناء يتعارض أحيانا مع ما يريده منهم آباؤهم .. إذ قد نكون نحن فى عجلة ويريدون هم أن يسيروا ببطء ، وعندما نكون مشغولين بأمر هام يطلبون هم منا عدة طلبات لكى نؤديها لهم .

لكننا لو تمتعنا بأطفالنا خمس دقائق أكثر خلال يومنا وثرنا عليهم وانتقدناهم خمس دقائق أقل ، فإننا نسير فى الاتجاه الصحيح ، ولا أعتقد أننا قادرون على أن نضبط كل شىء كما نريد ، لكننا نستطيع أن نقلل من مواجهاتنا اليومية العنيفة معهم ، فالطريقة التى نستخدم بها كلماتنا مع أطفالنا هى التى تحدد الطريقة التى نتوقعها كرد فعل لما نقوله لهم ، ففى المثال السابق تصرفت الأم بصورة تلقائية ولم تختر جملها لكى لا تشعر ابنها أنها تهاجمه ، ووجدنا النتيجة المتمثلة فى رد فعل ابنها الدفاعى السلبى العنيف الذى لا يؤدى إلى النتيجة التى تهدف إليها من تقويم سلوكه ، لكنها لو فكرت فى كلماتها قبل أن توجهها إليه بأن تقترح عليه قائلة :

– سأتركك ترتدى ملابسك .. وإذا تأخرت عن المدرسة ، ستجد نتيجة ما تفعله عقابًا من المدرسة .. أنت مسئول عن نفسك لا أنا .

فإنها ستشعره بأنه شخص كبير ومسئول عن نفسه وأنه سيتحمل نتيجة تقصيره وهو عقاب المدرسة .. وستحصل بذلك على النتيجة الإيجابية المطلوبة .

كيف نمدح أطفالنا ؟

كيف نمدح الطفل عندما يحسن التصرف .. ؟ هل ينصب مديحنا على شخصيته .. ؟ أم على تصرفه ؟ .. العالم النفسانى د . « هيم . ج . جينو » يؤكد على أهمية أن نمدح العمل الذى يقوم به الطفل لا شخصيته .. وجاء بمثال ليثبت لنا من خلاله رأيه قائلاً :

– فى صباح يوم .. اتصلت بى إحدى الأمهات ، قائلة بانفعال واضح :

– سأخبرك ماذا حدث لى اليوم ، واحكم عليه بنفسك ، لأنى حائرة لا أعلم كيف أفسره ؟ ، كنا بالأمس فى سيارة العائلة فى طريقنا إلى نيويورك ، كنت قد وضعت ابنى الكبير وابنتى فى المقعد الخلفى ، ووضعت ابنى الصغير بيننا أنا وزوجى فى المقعد الأمامى .. كان ابنى الكبير هادئًا على غير عادته .. وغارقًا فى أفكاره ، فوجدتها فرصة طيبة لكى أمدحه لأنه كان يستحق بعض المديح ، وكنا على وشك الوصول إلى نيويورك عندما التفت وقلت له :

– ما أجملك وأطيبك اليوم يا إيفان .. أنا فخورة بك .

إلا أنى فوجئت به بعد دقيقة واحدة .. يمسك المنفضة .. ويسكب علينا كل ما بها من رماد السجائر .. وبدأنا نسعل من الرماد .. كنت فى تلك اللحظة أتمنى لو كان بإمكانى أن أضربه ضربًا مبرحًا .. ولعنت الساعة التى مدحته فيها .. ألا يقال لنا : إن مدح الطفل يطور سلوكه .. هل أخطأت فيما فعلت ؟

وبعد عدة أيام جلس الدكتور « جينو » مع إيفان ، وحاول أن يكتشف سبب تصرفه السيئ مع والدته رغم مديحها له .

وباح له الطفل بالسبب عندما قال له بأنه كان طوال الطريق إلى نيويورك يفكر كيف يتخلص من أخيه الصغير .. الذى كان يتنطط كالقرد بين أبيه

وأمه .. الأمر الذى أشعره بالغيرة الشديدة .. وتمنى لو أن السيارة اصطدمت بعامود وانقسمت إلى قسمين .. عندئذ سيخرج هو وأخته ووالداه سالمين ، إلا أخاه الصغير لأنه سينشطر إلى نصفين ، وعند تلك اللحظة مدحته أمه ، لذلك شعر بذنب شديد .. لأنه كان يفكر فى الإضرار بأخيه .. وأراد أن يرى أمه أنه لا يستحق هذا المديح ، فلم يجد أمامه إلا المنفضة التى رماها فى السيارة وأثارت غضب أمه .

ويذكر الدكتور جينو فى كتابه « بين الآباء والأبناء » بأن أغلب الآباء يعتقدون أن مدح الطفل سينمى ثقته بنفسه .. وسيجعله أكثر اطمئنانا .. لكن الواقع يؤكد لنا عكس ذلك .. لأننا عندما نمدح شخصيته فى الوقت الذى يكون هو غاضبا وراغبا فى تنفيذ بعض الأفكار الشريرة أو الهدامة بالنسبة للمحيطين حوله ، فإنه سيشعر بالذنب والكراهية لنفسه ، لأنه سيعتقد أن والده مخدوع فيه .. عندما يظن أنه ولد طيب ومثالى .. لذلك نراه يتعمد أن يكون سيئ السلوك .. ليظهر له شخصيته الحقيقية فى تلك اللحظة ، لكن ليس معنى ذلك أننا يجب أن لا نمدح الطفل أبدا وإنما علينا أن نمدح جهده الذى بذله فى إنجاز العمل الذى أثار استحسان والديه ، وما توصل إليه من نتائج إيجابية ، فمثلاً إذا قام طفل بتنظيف غرفته ، فإن على والدته أن تعلق على ما بذله من جهد للقيام بهذه المهمة ، وتصف إعجابها بالغرفة بعد أن أصبحت نظيفة ، والمديح للطفل يجب أن لا يحمل روح المبالغة ، وإنما يجب أن يعكس الصورة الحقيقية لما أنجزه ، لا شخصيته التى قد تكون فى نظر الطفل عكس ما وصل إليها من مديح ، ولكى نستطيع أن نستخدم هذا الأسلوب التربوى الفعال لتطوير شخصية الطفل ، سأذكر مثالاً عمليا حتى يمكننا الاستفادة منه كآباء .

محمود طفل فى الثامنة من عمره .. قام بجهد كبير فى تنظيف حديقة

البيت .. جمع أوراق الشجر .. ورمى القمامة ، وأعاد ترتيب أدوات الحديقة ، كانت أمه سعيدة بما قام به من جهد ، فأرادت أن تعبر له عن امتنانها لما فعل فقالت له :

– ما أجمل ما أصبحت عليه الحديقة ، كانت الأوساخ تملؤها ، والآن ، انظركم هى جميلة ونظيفة .

رد عليها محمود باعتزاز : لقد قمت بكل شىء وحدى .

قالت أمه : ولابد أنك قد بذلت جهدًا كبيرًا .. أليس كذلك ؟ .

أجابها بثقة : بالتأكيد ، لقد اشتغلت بكل ما لدى من جهد .

قالت الأم وهى تتعمد وصف الحديقة :

– يبدو ذلك فعلاً ، لقد أصبح منظر الحديقة جميلاً يمتع عين كل من ينظر إليها ، أشكرك من كل قلبى يا بنى .

رد عليها ابنها بمرح : أنا مستعد لخدمتك فى أى وقت .

لقد شعر محمود بالسعادة لما بذله من جهد .. وفخور بما وصل إليه من نتيجة حسنة ، وكان متلهفًا فى تلك الليلة للقاء والده لكى يطلعه على ما قام به من عمل فى تنظيف الحديقة .

إذن ، مدح الجهد الذى يبذله الطفل فى أداء عمله .. هو ما يسعده ويطور سلوكه ، لا مدح شخصيته ، مثلما نفعل عن طريق تلك الجمل التقليدية التى تعودنا أن نقولها لأبنائنا عندما نمدحهم .. مثل « أنت ولد مدهش » أو « أنت فعلاً اليد اليمنى لأمك عندما تحتاجك » أو « لا أدرى ماذا كنت سأفعل بدونك » ، وغير ذلك من تلك التعليقات التى تنصب على شخصيته لا على ما قام به من جهد للقيام بعمله الذى أثار استحسان من حوله .

مدح الطفل عندما يخطئ التصرف ليطور سلوكه

ذكرت من قبل أن استخدام أسلوب المدح وإبداء الامتنان للطفل عندما يحسن التصرف .. سيدفعه إلى تطوير سلوكه أكثر فأكثر .. لكن هل يمكن استخدام هذا الأسلوب أيضًا عندما يسيء الطفل التصرف .. خبراء تربية الأطفال يؤكدون فعالية استخدام هذه الطريقة عندما يخطئ الطفل .. لأنه يشجعه على تحسين سلوكه .

وهذا مثال عملي يوضح لنا ذلك :

كسر محمد صحنا ثمينا من طقم صحون كانت والدته تعتز به كثيرًا فذهب لها ليخبرها بما فعل وهو خائف قائلاً :

- أمي ، لقد ارتكبت عملاً سيغضبك كثيرًا .

وتساءلت والدته : ما هو ، ماذا فعلت ؟ .

رد محمد : أخاف أن أخبرك .

قالت أمه : هل تخاف من أثر ما فعلته على نفسي ؟

أجاب محمد : نعم ، لو علمت بما فعلت ستضربينني .

ردت الأم بعد أن بدأت تفقد صبرها :

- محمد ، الطريقة الوحيدة التي تستطيع أن نحل بها الموضوع ، هو أن نتكلم عنه .

لكن محمد قال : ما فعلته يا أمي ليس له حل .

وكانت الأم ماهرة في تصرفها عندما أجابته قائلة :

- ما دمت سليمًا أمامي ، فهذا هو المهم .

قال محمد بعد أن اطمأنت نفسه : لقد كسرت صحنًا من طقم الضيوف ، لم أكن أقصد كسره .

أجابت الأم بهدوء : أنا أحب هذه الصحون ، لكن باستطاعتى شراء صحن ليحل مكانه .

قال محمد وهو غير مصدق أن أمه لم تغضب عليه : ألست غاضبة على ؟

قالت أمه بحزم وهى تمدحه لصراحته :

– أنا فعلاً متضايقة لما فعلت .. لكن الصحن المكسور هو صحن مكسور ، لقد أعجبنى سلوكك عندما ذكرت ما فعلت بصراحة ، أنا ممتنة لك حسن تصرفك .

شعر محمد بالندم لما فعل وقال لأمه : تمنيت لو أنى لم أكسر هذا الصحن .. اعدك يا أمي أنى سأنتبه مرة أخرى .

لقد ابتعدت والدة محمد عن انتقاده أو لومه ، فهى لو فعلت ذلك لجعلته أقل ثقة بنفسه ، وأكثر ثورة عليها ، بدل أن يفكر فى تطوير سلوكه ، مثلما حدث عندما مدحت صراحته ، وأوضحت له عندما لاحظت خوفه بأن سلامته هى أهم شيء بالنسبة لها وكل شيء آخر يمكن تعويضه ، وكان رد فعل تصرفها إيجابيا على نفسية طفلها حيث تمنى لو أنه لم يكسر الصحن ، ووعد والدته أنه سينتبه فى المستقبل لكى لا يعيد مثل هذا التصرف الخاطئ .

قد نعتقد أن من الصعب تطبيق هذه التجربة مع أبنائنا لو كسروا شيئًا ثمينًا فى البيت ، لكن الأمر أسهل مما نتصور ، لأننا نفعله ببساطة مع ضيوفنا عندما يكسر أحد أبنائهم شيئًا ثمينًا فى البيت ، ألا تكون إجابتنا للضيوف هكذا :

– أوه ، لا تنزعج ، سنشترى غيره .

فكيف إذن نهتم بمشاعر ضيوفنا ، ولا يهمنا مشاعر أبنائنا وهم بالنسبة لنا أعز كثيرًا من هؤلاء الضيوف .

دعونا نمدح سلوك أطفالنا ونحن ننتقدهم

امدح سلوك طفلك ، وعبر عن امتنانك لما أبداه من حسن التصرف وأنت تنتقده ، ستجد أنك بهذه الطريقة الإيجابية ، ستساعده كثيرًا على أن يطور سلوكه ، لماذا ؟ لأنها تساعد الطفل على أن يزداد ثقة بنفسه .

ولكن تتضح الصورة أكثر ، سأستعرض مثالاً عمليًّا يتناول استخدام هذا الأسلوب المؤثر فى تطوير شخصية الأبناء ، سواء كانوا صغارًا أم كبارًا .

كانت ليلى تشتكى دائما أن ابنتها علياء تستلف منها بعض ملابسها أو بعض مجوهراتها لترتديها فى بعض المناسبات .. لكنها لا تعيدها إليها إلا إذا ذكرتها . حاولت ليلى أن تعود ابنتها على أن تعيد الأشياء التى تستلفها منها .. أحيانًا بالنصيحة وأخرى بانتقاد نسيانها .. لكن محاولاتها كانت بلا جدوى ، إلا فى مرات نادرة .. كانت الابنة تطبق تعاليمها .. وأرادت الأم أن تستفيد من هذه المرات لتمدح ابنتها ، حتى تشعر بثقة فى ذاتها .. فتنمو لديها الرغبة فى تطوير سلوكها .

قالت ليلى : أنا سعيدة لأننى لاحظت أنك لم تنسى .. وأعدت ما أخذته البارحة من أشيائى إلى مكانها ، أنا ممتنة لك أنك سمعت كلامى .. ولم تنسى .

وبعد عدة ملاحظات انتقادية بناءة كهذه الملاحظة .. شعرت ليلى أن سلوك ابنتها قد تطور كثيرًا .

علينا إذن أن نلاحظ تصرفات أبنائنا الصحيحة ونمدحها حتى لو كانت مرات قليلة مثلاً .. إذا كان الطفل متعودًا على عدم تعليق ملابسه بعد خلعها .. وقام فى إحدى المرات بتعليقها .. عندئذ على الأم أن تلاحظ ما فعله

وتمدحه ، كما يجب على الأم التى يتعارك أطفالها فى السيارة .. أن تلاحظ المرات التى يكونون هادئين خلالها حتى تمدح تصرفهم الطيب .. بأن تقول لهم مثلاً :

– لقد تمتعت فعلاً عندما ذهبت معكم أمس إلى السوق .. لأننى لاحظت أنكم لم تتشاجروا .

ستلاحظ مثل هذه الأم أن عدد مرات التشاجر فى السيارة بين أبنائها ستقل كثيرًا .. بعد هذه الملاحظات ، لأن الأطفال عادة حريصون على إرضاء آبائهم .. خصوصًا عندما يبدون لهم ملاحظات تسعدهم .. ومدحهم لسلوكهم الحسن سيرضيهم وسيدعم لديهم الرغبة فى إرضائهم .

وهذا مثال آخر يؤكد لنا أهمية هذا الأسلوب الإيجابى فى الانتقاد .

كان يضايق لطيفة أن ابنتها البالغة من العمر أربع سنوات تأبى أن تخرج إلا معها أو مع والدها ، وعندما كانت تنتقد سلوكها هذا بأن تقول لها .. إنها تتصرف كالأطفال أو أنها سخيفة ، كانت هذه الابنة تلتصق بأمها أكثر من ذى قبل .. لكن عندما قبلت هدى يومًا أن تذهب مع عمها ، استغلت الأم هذه الفرصة ومدحت ابنتها قائلة :

– أسعدنى أنك قبلت الذهاب مع عمك أمس .. ما فعلته يدل على أنك كبرت .. أكيد كنت أيضًا سعيدة بما فعلت .

هزت هدى رأسها موافقة ثم قالت :

– وعمى كان سعيدا أيضًا .

وأنتقل إلى مثال يحدث للأمهات كثيرًا ، لنرى كيف نستخدم هذه الطريقة فى انتقاد أطفالنا لنشجعهم على تطوير سلوكهم .

كانت الأم قد قالت لابنها عادل البالغ من العمر ١١ سنة ، بأن عليه

العودة من لعب كرة القدم فى الثامنة مساء ، وعندما التزم عادل بوعده وجاء فى الوقت المحدد .

قالت له :

– لقد لاحظت كم أنت دقيق فى مواعيدك .. أنا ممتنة لك عندما تأتى إلى البيت فى الوقت الذى أطلب منك المجىء فيه .

وبالطبع ساعد تعليق الأم على أن يطور عادل سلوكه ، أكثر مما لو لم تعلق أبدًا على حسن تصرفه .

كثيرًا ما يعتقد الآباء أن ما يفعله أبناؤهم من تصرفات حسنة أمرًا طبيعيًّا من المفروض أن يقوموا به ، واعتقادهم هذا خاطئ ، لأن الأطفال بحاجة إلى أن نذكر أمامهم امتناننا نحوهم عندما يحسنون التصرف .. لا أن ننتقدهم فقط عندما يسيئون التصرف ، لأننا عندما نفعل ذلك إنما نولد فى نفوسهم مشاعر الإحباط ، فتقل لديهم الرغبة فى تطوير سلوكهم .

لا تنتقص شخصية ابنك وأنت تنتقده

يسيء الكثير من الآباء إلى أبنائهم .. عندما يخطئون من خلال انتقاصهم لشخصياتهم وهم غاضبون .. فينعتونها بصفات قبيحة من الصعب على الأطفال نسيانها فيما بعد .. بل هى تسرى كالسهام المسمومة فى تشكيل شخصياتهم لتعمل على اضطرابها وضعفها .. والسبب أن الإنسان مخلوق بقدرة فطرية هى الإحساس ، ومن الطبيعى أن يشعر الطفل الذى يصفه والداه بأنه قبيح أو غبى بالقهر والظلم ، وأحيانًا بالكره لهما لما يسببان له من ألم نفسى ، وقد ينطلق خياله لكى ينتقم منهما .. فيشعر بالذنب والقلق والضيق .. لأنه يشعر بعكس ما هو مطلوب منه أخلاقيًّا ودينيًّا ، وقد يتصرف بطريقة سيئة مثلما ذكرت من قبل ، ليظهر أمام والديه شخصيته السيئة التى يخفيها ، كما أن الطفل الذى ينعته والداه بأنه غبى وأحمق ، قد يرد فى البداية عليهما بأنه غير أحمق أو غبى ، لكنه سيصدقهما فيما بعد عندما يكررها عليه والداه أو مدرسوه عدة مرات ، وسيبدأ فى التفكير بنفسه على أساس أنه غبى ، وسيبتعد عن تجربة أى شيء لأنه يخاف الفشل ، أى أنه سيبتعد عن أى جهد عقلى يبذله لكى يتطور .

إذن ، من الأفضل أن يكون انتقادنا لأبنائنا بعيدًا عن تحقير شخصياتهم وأن ينصب على ما فعله الطفل من تصرف خاطئ ، بأن نركز حديثنا معه حول ما كان يجب عليه القيام به لكى يتفادى الخطأ ، إننا بهذا الأسلوب البناء فى الانتقاد سنساعد على تقوية ثقة أبنائنا بأنفسهم ، وسنجعلهم راغبين ذاتيًّا فى تطوير شخصياتهم ..

ولنأت بتجربة من واقع حياتنا توضح لنا مساوئ تجريح شخصية الطفل ونحن ننتقده .

همام طفل فى التاسعة من عمره .. كان يلعب بكوب خال من الشاى أمام والدته التى كانت تشاهد التلفزيون فى غرفة المعيشة .. إلا أن عينيها لم تستطع مفارقة ابنها وهو يلعب خوفًا من أن يسقط الكوب فينكسر .. ثم لم تستطع صبرًا .. فقالت له :

– ستكسره .. أعلم أنك ستكسره .. أنت دائمًا تكسر الأشياء من حولك .

رد عليها ابنها غاضبًا : لا ، أنا لا أكسر الأشياء :

إلا أن الكوب سقط فى تلك اللحظة من يد همام .. وانكسر .

علقت الأم بانفعال .

– هل أصرخ بصوت عال ، وأقول : إنك غبى .. لا تدع شيئًا فى مكانه .. تكسر كل شيء تصل إليه يداك فى البيت .

رد عليها ابنها مقهورًا : أنت أيضا غبية ، ألم تكسرى أمس صحنًا وأنت تحملين عددًا منها إلى المطبخ ؟

انبهرت أمه من وقاحة رده فقالت له :

– هل تجرؤ وتقول لأمك : إنها غبية ، أنت قليل الأدب .

رد عليها همام منتقمًا : وأنت أيضًا قليلة الأدب ، لأنك قلت لى : إنى غبى فى الأول .

تقلصت ملامح الأم من الغضب وصرخت فى ابنها قائلة :

– لا أريد كلمة أخرى ، اذهب إلى غرفتك فورًا ، ولا تخرج منها إلا إذا قلت لك .

رد عليها ابنها : لا ، لن أدخل إلى غرفتى ، وتعالى أرينى ماذا ستفعلين .

طاش غضب الأم عندما رأت تحدى ابنها موجه إلى سلطتها كأم ، وأمسكت به تريد أن تضربه .. وعندما حاول همام أن يهرب من قبضتها ..

دفعها دون أن يدرى نحو الباب الزجاجى .. وانكسر الزجاج وقطع يد الأم .. فسالت دماؤها وأصيب الابن بالرعب وهرب من البيت ، بحث عنه أفراد العائلة فلم يجدوه ، وعند المساء عاد همام منتكس الرأس خجلاً ، وبالطبع لم يشعر أحد فى البيت بالراحة فى تلك الليلة .

فهل كانت هذه المعركة ضرورية من الأساس ؟ ، ألا يمكن للأم أن تتجنبها وتجنب ابنها الإحساس بالذنب لما فعله بها .. لو أنها تعاملت مع الخطأ الذى ارتكبه هذا الابن بطريقة رزينة هادئة .

كان باستطاعتها مثلاً أن تأخذ الكوب من ابنها عندما وجدته يلعب به ، وإعطائه بدلا منه كرة ليلعب بها ، أو كان فى إمكانها أن تساعده على جمع القطع المكسورة وهى تتحدث عن رقة صناعة الكوب ، التى تجعله قابلاً للكسر إذا لم يكن الإنسان حذرًا فى إمساكه .

إن تعليق الأم الهادئ حول ما ارتكبه ابنها سيدهشه ، وربما دفعه إلى الخجل مما فعل والاعتذار لوالدته والتعهد لها بأنه سيكون أكثر حذرًا فى المستقبل ، وربما سيفكر همام بينه وبين نفسه أنه قد أخطأ فيما فعل لأن الكوب ليس للعب وإنما لشرب الشاى ، ولن يكرر الخطأ الذى ارتكبه مرة أخرى .

أهمية احترام ذات الطفل ليطور سلوكه

لا يدرك الكثير من الآباء والمدرسين أن للطفل ذاتًا يحترمها .. وأنهم لن يصلوا إلى عقله وقلبه ليقتنع ويحقق لهم ما يريدون .. إلا إذا احترموا هذه الذات .

وتجربة التلميذ عادل البالغ من العمر ٨ سنوات مع مدرسته ، كما روتها أمه من خلال رسالتها التى أرسلتها لى ، وقمت بإعادة صياغتها ، تؤكد هذه الحقيقة بصورة واضحة .

تقول الأم : عاد عادل ابنى الكبير من المدرسة .. شارد الفكر .. متوتر النفس على غير عادته ، تارة يتذمر من أمر ما ، وتارة يجلس كئيبًا يمتص إبهامه كعادته ، عندما يكون هناك شيء ما يضايقه ، لكنه ما كان يبوح لى بشىء مما كان يدور فى نفسه .

دعوته ليتناول طعام الغذاء ، لكنه لم يتحرك من مكانه .

حاولت أن أجذبه إلى مائدة الطعام قائلة له : بأنى قد أعددت له أكلته المفضلة ، إلا أنه بدل أن يتحرك ، رمقنى بنظرة طويلة ، وكأنه يتمنى أن يجد لدى جوابًا لأمر يحيره ، أدركت على الفور أنه متضايق جدًّا من حادث مر عليه فى المدرسة ، وشعرت أنه راغب فى البوح بما فى نفسه المتألمة أكثر من حاجته إلى الطعام ، سألته :

- هل ضايقك أحد فى المدرسة ؟

قال فورًا وكأنه ينتظر منى أن أسأله هذا السؤال : نعم ، مدرستى التى جرحتنى أمام الطلبة .

وعندما سألته عما فعلت وأخبرنى اندهشت ، للأسلوب المهين الذى اتبعته هذه المدرسة فى انتقاده ، لكى ينتبه إلى شرحها ، والمؤسف أن تكون

هذه المدرسة فى مدرسة خاصة ، ننفق من خلالها على أبنائنا لكى يتعلموا مع مدرسات نفترض أن يكونوا مؤهلات فى التربية والتعليم .

قال لى : كنت استمع إلى شرح المدرسة .. اليوم وكان الجو باردًا جدًّا .. فشعرت بحاجتى لارتداء قفازى أثناء شرحها للدرس ، حتى أشعر بالدفء .. أخرجت قفازى من الشنطة وما إن بدأت فى ارتدائه حتى فوجئت بها تنهرنى بشدة وتتهمنى أننى أتلاعب بقفازى ولا أنتبه إلى شرحها ، رغم أنى دائمًا مجتهد فى دروسى وأنت تعلمين ذلك ، ونادتنى لكى أحضر إلى مكانها والقفاز فى يدى .. وأمام الطلبة يا أمى انتزعته منى .. ورمته فى سلة المهملات .. ثم أمرتنى أن أعود إلى مقعدى .. وواصلت شرح الدرس .. وبعد أن انتهت الحصة ، طلبت منى أن انتشله من سلة المهملات .

وعندما سألته : وهل أخذته ؟ .

أجابنى غاضبًا : بالطبع لم آخذه ، وعندما جاءت المدرسة فى الحصة الثالثة ، ورأته فى السلة ، أمرتنى مرة أخرى بنبرة حادة قائلة :

– عادل لماذا تعاند ، تعال خذ القفاز من السلة .

قلت لها وأنا أغلى من الغيظ بسبب معاملتها المهينة لى أمام طلبة الصف :

– لا أريده ، لقد رميته فى السلة ، فلماذا آخذه – دعيه فى مكانه .

إلا أنها غضبت منى أكثر وقالت لى :

– هل تعاندنى لأننى رميت قفازك فى السلة .. أنت تستحق ما فعلته بك .. لأنك تسرح عن الدرس بالتلاعب بقفازك .. أنت مهمل وعنيد ؟

وعندما دافعت عن نفسى قائلاً: كنت أشعر بالبرد.. ولذلك لبست قفازى.

ردت على قائلة بحدة لا أستحقها يا أمى ، لأنى دائمًا مجتهد فى دروسى ،

قالت لى : أنت لم تكن تشعر بالبرد .. بل كنت تريد اللعب أثناء شرحى للدرس .. لذلك أنت تستحق ما فعلته بك .

وتواصل الأم رسالتها : واستمر الجدال بين ابنى ومدرسته .. وظل مصرًا على عدم التقاط القفاز .

وعندما سألته عن سبب عدم التقاطه لقفازه ، أجابنى : وكيف تريدين منى أن أقبل بأخذ القفاز .. لقد جرحتنى هذه المدرسة أمام جميع الطلبة فى الفصل ، وأنا لا أستحق أن تخجلنى هكذا أمامهم ، يجب على المدرسة أن لا تعامل تلاميذها بهذا الشكل المنفر ، ماذا فى ارتدائى لقفازى ، إذا كان ما فعلته لا يعجبها ، تستطيع أن توجهنى بكلام هادئ قائلة لى بأن الوقت غير مناسب لما أفعل ، أنت لا تدرين يا أمى كم شعرت بالألم والضيق لما فعلته معى هذه المدرسة أمام الطلبة ، هل تريد أن ترينى أنها أقوى منى لأنها هى المدرسة وأنا التلميذ ، أنا أكرهها وأكره دروسها .

وفى اليوم التالى ذهبت للقاء مدرسته .. فإذا بى أفاجأ بمعلمة جاهلة بأبسط مبادئ علم نفس الطفل .. وكان أولى بها أن تدرك أن عليها عدم تضخيم تصرف بسيط لم يقصده الطفل وإهانته أمام الطلبة .. قبل أن تحشو عقله بالمسائل الحسابية والتمارين الكتابية .

وأنا أضم صوتى إلى رأى هذه الأم .. لأن المدرسة تستطيع أن توجه عادلا إلى الانتباه إلى الدرس بأن تقول له مثلاً :

– يبدو أنك تشعر ببرد كثير .. إلى درجة تدفعك إلى إخراج قفازك الآن لتلبسه .. هيا أسرع فى ارتدائه وانتبه إلى الدرس .

لو أن المدرسة انتقدت عادلا بهذه الصورة اللطيفة .. لو فرت عليها وعلى الطلبة هذا الوقت الضائع فى الجدال بين طفل يحترم ذاته ولا يقبل أن تهينها المدرسة أمام الطلبة ، وكذلك ستجعل تلميذها يحبها ويتمتع بتلقى العلم على يديها بدل أن يكرهها وينفر من دروسها .

عندما يخطئ الكبار

اختار الخبير التربوى ثلاث أمهات .. من المشاركات فى دورة تدريبية لممارسة فن الأبوة ، ليجرى عليهن تجربة يؤكد لهن من خلالها ، أن الكبار والصغار يشتركون فى حاجتهم للفهم والمشاركة ، بدل الانتقاد والنصح ، عندما يخطئون التصرف ، حتى يستفيدوا من تجاربهم فى تطوير شخصياتهم .

قال لهن : سأطلق على إحداكن اسم حنان والثانية اسم سعاد والثالثة اسم ليلى وسأسألكن عدة أسئلة أريد إجاباتكن عليها .

ثم بدأ بهذا السؤال :

– لو حدث أن قامت كل واحدة منكن ذات صباح بإعداد طعام الإفطار لزوجها .. وفجأة رن جرس التليفون .. وبكى طفلها .. واحترقت قطعة الخبز التى كانت تعدها له وعلق الزوج قائلاً :

– متى ستتعلمين كيف تشوين الخبز من غير أن تحرقيه .

ماذا سيكون رد فعلكن ؟ .

أجابت حنان : سأرمى الخبز فورًا فى وجهه .

قالت سعاد : سأقول له « انهض واشو خبزك بنفسك » .

أجابت ليلى : سيجرح تعليقه مشاعرى ، وسأشعر أنى على وشك البكاء .

سأل الخبير : وماذا سيكون شعوركن نحو أزواجكن ؟ .

أجابت الأمهات الثلاث معًا :

– الغضب ، الكراهية والإحساس بالظلم .

هنا سألهن الخبير : هل سيكون من السهل عليكن إعداد خبز آخر له ؟ .

ردت جميع الأمهات معًا : لا ، بالطبع لا .

عاد الخبير يسأل : وإذا خرج أزواجكن إلى العمل ، هل سيكون من السهل عليكن ترتيب البيت وشراء احتياجات البيت اليومية بنفس منشرحة؟ .

ردت حنان : لا ، سأكون متضايقة طوال النهار .

أجابت سعاد : بالطبع لا ، لن أشترى شيئًا للبيت فى ذلك اليوم .

وقالت ليلى : سأكون متضايقة جدًّا وأنا أقوم بواجباتى .

عاد الخبير يسأل : لنفترض أن الخبز قد احترق ..

لكن الزوج قال : يبدو أن صباحك متعب .. التليفون يرن .. والطفل يبكى .. والآن يحترق الخبز .

ماذا سيكون رد فعلكن لمثل ذلك التعليق ؟

أجابت حنان : لن أصدق أن الذى يتحدث هو زوجى .

ردت سعاد : سأشعر بالسعادة والرضا .

وقالت ليلى : سأشعر بالسعادة .. وسأفكر فى احتضانه .

هنا سأل الخبير :

– لماذا ؟ الطفل لازال يبكى ، والتليفون يرن ، والخبز قد احترق .

أجابت الأمهات معًا : لن نهتم بذلك .

قال الخبير : ما هو الأمر المختلف هذه المرة .

أجابت حنان : سأشعر بالامتنان لزوجى لأنه لم ينتقدنى ، وإنما فهم مشاعرى .. ووقف معى لا ضدى .

ووافقت بقية الأمهات على هذا القول .

عاد الخبير يقول : وإذا خرج الزوج .. هل سيكون من السهل عليكن القيام بأعباء البيت ؟

أجابت سعاد عن بقية الأمهات :

- سنقوم بعملنا ونحن راضيات وسعيدات .

عاد الخبير يقول : دعونى الآن أتحدث عن النوع الثالث من الأزواج ، هذا الذى سينظر إلى زوجته بعد أن حرقت الخبز وسيقول لها :

- دعينى أريك كيف تقومين بشوى الخبز .

هنا صرخت الأمهات معا : لا ، هذا الزوج أسوأ من النوع الأول ، لأنه سيجعلنا نشعر وكأننا حمقاوات .

عندئذ ، قال الخبير : دعونا إذن نطبق ما حدث لكن على طريقة معاملتكن لأبنائكن .

قالت حنان : الآن عرفت هدفك من هذا الحوار ، أنا دائمًا أنتقد طفلى دون أن أشعر قائلة :

« لقد كبرت وأصبحت فى سن تؤهلك أن تعرف أن ما فعلته خطأ » . لقد أدركت الآن لماذا كان يغضب من كلامى .

وعلقت سعاد قائلة : وأنا أيضا أقول لابنى دائما دعنى أريك يا عزيزى كيف تفعل هذا وذاك » وكان يغضب كثيرًا عندما أقول ذلك .

قالت ليلى : وأنا أنتقد ابنتى دائمًا .. حتى أصبح أمرًا طبيعيًّا بالنسبة لى ، وكنت أكرر نفس الكلام الذى كانت أمى تقوله ضدى عندما كنت طفلة ، وكنت أكرهها عندما تقول لى ذلك .

علق الخبير : والآن أنت تقولين نفس الكلمات لابنتك .

أجابت ليلى : هذا بالضبط ما أفعله ، وأكره نفسى عندما كنت أقول لها ذلك .

هنا سأل الخبير :

- وهل تتطلعين الآن إلى طريقة أفضل للتعامل مع ابنتك ؟ .

ردت ليلى فورًا :

- بالطبع ، أتمنى أن أتعلم طرقًا جديدة أفضل .

قال الخبير : دعونا إذن ندرك ماذا يمكننا أن نتعلم من قصة الخبز المحروق ، ما الذى ساعد على تغيير مشاعركن من النفور إلى الحب والرضا نحو أزواجكن ؟ .

قالت حنان : أعتقد أن السبب هو عدم انتقاد زوجى لى وفهمه لمشاعرى .

وأكملت سعاد :

- دون أن يلومك .

وتابعت ليلى :

- ودون أن يعلمك كيف تتطورين .

هنا ، قال الخبير بعد أن وصل إلى هدفه :

- هل أدركتم الآن أن ما نريده من أزواجنا هو نفس ما يريده أطفالنا منا ، الفهم والمشاركة لكى ندرك أخطاءنا فنتعلم منها لنتطور إلى الأفضل .

الفصل الثالث

ضرورة وضع الحدود للطفل
والعقاب الإيجابى

التدليل سوس ينخر فى شخصية أبنائنا

أن نحب أطفالنا ، ونريدهم أن يكونوا سعداء ، لا يعنى أن نحقق لهم جميع رغباتهم ، فهذا النوع من الحب ، لا يبنى شخصية الطفل بطريقة إيجابية ، إذ يضعف التدليل إحساسه بالأمن والطمأنينة ، ويدفعه إلى التفكير فى ذاته فقط ، أى أن يصبح أنانيًا ، كما أنه قد يتجه إلى السرقة عندما لا تتحقق رغباته عندما يكبر ، ويرتفع ثمن ما يرغب فيه من أشياء ، ويجد الوالدان صعوبة فى الاستجابة لها ماديا .

إذن ، علينا كآباء أن نضع حدودًا لرغبات أطفالنا ، أن نعلمهم الفرق بين التصرف الصحيح والسلوك الخاطئ ، إلا أننا لا نتوقع أيضًا أن يكون أبناؤنا سعداء بهذه الحدود ، لن يبتسم الطفل لوالده ويقول له :

– شكرًا يا أبى لأنك طلبت منى أن أترك اللعب لكى أدرس .

أو يقول له : أشكرك يا والدى لأنك أمرتنى أن أجمع ألعابى ، وأعيدها إلى مكانها بعد أن أنتهى من اللعب .

كما أن الأب الذى يريد أن يعلم ابنه معنى المشاركة، فيطلب منه أن يشارك أخته فى قطعة الحلوى التى معه ، لايتوقع أن يكون ابنه فرحًا ويقول له:

– أشكرك ياأبى لأنك طلبت منى أن أقتسم قطعة الحلوى مع أختى .

من الطبيعى أن يتضايق أطفالنا من الحدود التى نضعها لهم ، وعلينا أن نتوقع إجاباتهم الغاضبة ، أو عبوس وجوههم أو تجاهلهم ، لأنهم يكرهون قوانيننا وحدودنا التى نضعها لهم ، كما أنهم لا يحبوننا فى تلك اللحظات ، إذ من الصعب على الأطفال أن يفصلوا بيننا وبين تصرفاتنا ، وعندما نصر على أن يفعلوا شيئا لا يريدون هم أن يفعلوه ، أو عندما نرفض أن نستجيب لتوسلاتهم ،فإننا كثيرًا ما نسمع منهم هذه الجمل الغاضبة « أنت لئيم »

– أنت غاضبة إلى حد أن تقولى بأنك لن تحبينى بعد اليوم .

إلا أنها جعلتها ملزمة بقبول تلك الحدود من أجل مصلحتها .

والدة محمد لم تفعل ذلك ، وإنما استسلمت لابنها لأنه أشعرها بالذنب إذا لم تدعه يشاهد برنامجه ، لم تلزم ابنها بالحدود التى وضعتها بطريقة حازمة ، مثلما يتضح لنا من عرض هذا المثال :

قال محمد لوالدته : أريد أن أشاهد البرنامج القادم .

أجابت أمه : لكنك لم تتوقف عن مشاهدة التلفزيون منذ أن عدت من المدرسة .

رد محمد : أعلم ذلك ، لكن ليس لدى أى واجبات مدرسية اليوم .

قالت الأم : ولو – لقد شاهدت التلفزيون بما فيه الكفاية .

قال محمد : أرجوك يا أمى ، إنه استعراض عظيم .

أجابت الأم : لكن عيناك متعبتان من طول مشاهدتك للتلفزيون .

عاد محمد يلح عندما لاحظ أن أمه بدأت تلين لمطلبه :

– البرنامج لن يتجاوز نصف الساعة ، أرجوك يا أمى .

إلا إن أمه عادت تقول :

– لكنى أعتقد أن البرنامج غير مناسب لسنك .

هنا ، بدأ الابن يضغط على شعور والدته بقوله :

– إن أصدقائى يشاهدونه كل أسبوع ، سأكون الشخص الوحيد الذى لم يشاهده .

عندئذ ، استجابت الأم لإلحاح ابنها وسمحت له بمشاهدة البرنامج ، فهى لا تريده أن يكون غير سعيد ، ووقعت دون أن تشعر فى مصيدة إسعاد الطفل ، عندما كسرت الحدود التى وضعتها لابنها .

لكن الأم تخطئ فى تربية طفلها إذا فعلت ذلك ، إذ كان المفروض أن تعالج هذا الموقف مع ابنها بالأسلوب الذى اتبعته والدة سهير ، لكى لا تقع فى مصيدة الحرص على إرضاء ابنها بصورة مؤقتة قد يكون لها تأثير سلبى على شخصيته مستقبلا ، عندئذ سيجد الطفل نفسه مضطرًا للالتزام بهذه الحدود ، حتى لو لم يرض بها ، لأنها تهدف من ورائها إلى مصلحته ، وبهذا الأسلوب الحازم المقنع فى التربية ، ينشأ الطفل بنفس متوازنة تدرك الحدود التى تقف عندها فى سبيل تحقيق رغباتها .

أهمية وضع الحدود للأبناء

يحتاج الأبناء من آبائهم أن يضعوا لهم الحدود المطلوب منهم عدم تجاوزها في سلوكهم اليومى ، أى بمعنى آخر أن يجعل هؤلاء الآباء إرادة أطفالهم خاضعة لإرادتهم ، لا ضعفا وذلا ، وإنما انسجامًا وتآلفًا ، حتى يسود الاحترام والحب والسلام علاقة هؤلاء الآباء بأبنائهم .

ترى ، ماذا يحدث عندما لا نفعل ذلك ؟ الجواب يكمن فى رسالة هذه الأم التى أرسلتها إلى خبير تربوى بعد أن اكتسح ابنها إرادة والديه ، وأصبح كالمارد الصغير ، لا أحد قادر على إيقافه ، وتطويع إرادته وهو يثير الفوضى والإزعاج فى حياة أسرته . تقول الأم فى رسالتها :

– كنت ولا أزال أتمنى قبل أى شىء آخر فى الحياة أن يكون لى أسرة سعيدة ، لكننى حرمت من هذه النعمة بسبب ابنى الصغير ، فأنا لدى ثلاثة أبناء ، ابن فى العاشرة من عمره ، وابنة لا تزيد عن خمس سنوات ، وهذا الابن البالغ من العمر ثلاث سنوات ، المشاجرات بينهم لا تنقطع بسبب ابنى الأصغر ، وزوجى لا يكف عن الصراخ عليه لما يسببه من مشاكل فى البيت ، حتى أنا لا أستطيع الصبر على سوء سلوكه فأثور عليه ، وأحيانا أجلس فوقه لكى أمنعه من ضرب أخته ، مدرسته دائمة الشكوى منه ، لأنه يتسبب فى الكثير من المشاكل فى باص المدرسة ، كما أنه بالإضافة إلى ذلك يستخدم ألفاظًا بذيئة مع مدرسيه وأصدقائه وإخوته ، ولا يمر يوم دون أن يكسر فيه شيئًا ، فهو قد تعود أن يكسر النوافذ منذ أن كان طفلاً ، حتى إنه كسر زجاج نافذة النوم لكى يدخل البيت لأن الباب كان مقفلاً ، وهو يصر أيضًا على الكتابة بخط سيئ ، ويكره أداء واجباته رغم ذكائه الشديد ، كما أنه مندفع ومزاجى الطبع ، ومع أنه قوى الجسم طويل القامة

إلا أنه نادرًا ما يقوم بأى عمل إيجابى ، كسول ولا يمل من مشاهدة التلفزيون ، كما أننا متضايقون من الطعام غير الصحى الذى يصر على أكله وتشجعه عليه والدتى التى تقيم بجوارنا ، والتى تعودت أن تدلله حتى أفسدته ، أعلم أن ثوراتنا الدائمة اليومية عليه تسىء إليه كثيرًا ، إلا أننا بدأنا نشعر باليأس من إصلاح سلوكه ، خصوصًا أنه أصبح أكبر سنا وأكثر ضخامة ، لكنه لم يعقل بعد ، لقد وصل الأمر بوالده إلى حد أنه أصبح يرفض أن يأخذه إلى أى مكان ، لأنه يخجل من تصرفاته ، كما أنه أخذ يهدده فى المدة الأخيرة بأنه سوف يضعه فى ملجأ للأطفال اللقطاء ، إلا أننى أرفض هذا الأسلوب فى معاملة ابنى لأنه بحاجة إلى أن يتعلم كيف يتصرف مع الآخرين ، لا أن نشعره بأنه أصبح منبوذًا من الجميع .

طلب الخبير التربوى مقابلة الأم ، وعندما جاءت ، عقد معها جلسة طويلة حاول من خلالها أن يوضح لها خطأين أساسيين ارتكباه هى وزوجها فى تربية ابنهما .

كان أول خطأ ارتكبه هذان الوالدان أنهما لم يخطوا الخطوة الأولى لتشكيل إرادة ابنهما ، بأن يخضعاه لحدود يلتزم بها ، وهو يتعامل مع المجتمع المحيط به ، رغم أنه كان يتوسل إليهما بتصرفاته السيئة التى يتمادى فى ممارستها لكى يتقدما ، ويساعداه على وضع هذه الإرادة فى صورتها الصحيحة ، إن ما يخيف نفسية الطفل هو إحساسه أنه سيد نفسه وهو فى سن العاشرة ، غير قادر على أن يحصل على شخص بالغ قوى يستحق إعجابه واحترامه .

كما أن من الواضح أن هذا الطفل ، كان وهو يسىء معاملة إخوته ومعلميه ووالديه يبحث عن ذلك الشخص القوى الذى سيوقفه عند حده ، وكأنه يصرخ بسوء سلوكه قائلاً :

- ألا تلاحظون أننى أفعل كل شىء بطريقة خاطئة ، ألا يوجد بينكم شخص يحبنى إلى درجة تدفعه إلى الاهتمام بى ، ألا يوجد بينكم أحد يساعدنى ، إننى أكرهكم ، لأنكم تهملوننى ، وأكره كل العالم حولى .

أما الأم ، فإنها بدلاً من أن تقف بصورة حازمة فى مواجهة تصرفات طفلها السيئة ، أصابها التوتر والاحباط ، وعالجت الموقف بصورة سلبية ، مثل صراخها على ابنها وجلوسها عليه لكى تمنع إساءته لإخوته ، كما أنها تصفه بالاندفاع والمزاجية ، وأن جدته أفسدته بتدليلها ، وأنهما يسيئان إليه بثورتهما الدائمة عليه .

إذن ، كانت أداة هذه الأم لتسيطر على تصرفات ولدها السلبية هى الشكوى والصراخ عليه ، لم تستخدم طريقة واحدة مؤثرة ، بدل هذه العواطف الهائجة ، وتكرار كلماتها اليائسة حول عدم قدرتها هى وزوجها على وضع حد لتصرفات ابنهما السيئة ، مما يجعلنا ندرك عدم وجود شخص قوى يقود سفينة الأسرة ، التى تسير على غير هدى فى غياب هذا القائد الذى يملك السلطة ويقرر القرارات ويسير بسفينة أسرته إلى المياه الآمنة .

أما الخطأ الثانى الذى أوضحه الخبير التربوى للأم ، فإنه يتلخص فى مهاجمتهما شخصية ابنهما وتحقيرها وهما يواجهان تصرفاته السلبية .

فها هو ذا الأب يقول لطفله إنه لن يأخذه معه إلى أى مكان إلا إذا تصرف بصورة عاقلة ، لا كالحيوان الهائج لأنه يخجل منه ، ولا يريد أن يعلم أحد أنه ابنه ، وأنه سيتخلص منه بإلقائه فى بيت للقطاء إذا تمادى فى سوء سلوكه ، ومع كل هجوم من الأبوين على شخصية ابنهما ، كانت ثقة الابن فى نفسه تهبط درجة ، فهل أتى ذلك التحقير لشخصه بنتيجة إيجابية واحدة ؟ هل أصبح ابنهما أكثر تعاوناً ولطفاً ؟ .

كلا ، بل بالعكس فقد تحطمت روح هذا الطفل المعنوية ، وازدادت ثورته لكى تتحول إلى عواصف بركانية يعبر بها عن غضبه – ومع الأسف سوف يوجه هذا الطفل كرهه لشخصه فى المستقبل إلى الانتقام من أشخاص آخرين أبرياء من خارج نطاق عائلته .

إن الأولى بهذين الوالدين تطويع إرادة طفلهما بأن يضعا الحدود التى يفرضان على ابنهما الالتزام بها وعدم تجاوزها ، والابتعاد عن تحقير شخصيته وهما ينتقدان سلوكه السلبى ، وإظهار مشاعر الحب له والقبول به كما هو ، لكى يساعداه على التخلص من تصرفاته السيئة ، وسيصبح بذلك طفلاً هادئًا سعيدًا راغبًا فى تطوير سلوكه ، وهو الهدف الذى يسعى إليه الآباء فى تربية أبنائهم .

الحزم لا الثورة لوضع الحدود للطفل

ثورة الأم على طفلها وصراخها عليه عندما يرتكب خطأ ما ويتمادى فى ارتكابه ، لن يصل بها إلى نتيجة إيجابية لتطوير سلوكه ، إذ تفقد هذه الأم هيبتها وقوة تأثيرها على طفلها بهذا الأسلوب الذى سيتعود عليه ويواصل فعله الذى يريده .

إلا أن هناك طريقة فعالة ومؤثرة فى ردع الطفل عندما يخطىء ويعاند ، تتمثل فى استخدام الأم نبرة حازمة فى حديثها مع طفلها ، مع تطبيق العقاب الذى يتناسب مع ما فعله الطفل من تكرار لتصرفه السلبى .

ولنأت بمثال عملى يوضح لنا ما تعانيه الأم من إرهاق وتعب دون نتيجة عندما تتبع الأسلوب الأول ، وكيف تقوم بتطبيق الأسلوب الثانى لتصل إلى هدفها التربوى : سكبت هند الشاى فى كوب جارتها هدى ، التى جاءت لزيارتها كعادتها بين وقت وآخر ، كانت عقارب الساعة تقترب من الثانية عشرة والنصف عندما دخل ابنها على البالغ من العمر سبع سنوات مسرعًا ، واتجه إلى المطبخ ليفتح درجًا خصصته الأم للحلوى والشيكولاتة ويأخذ قطعة ليأكلها ، رأته أمه من الصالون ، فأسرعت إليه وصرخت فى وجهه قائلة بغضب :

- على ، لا تأكل أية حلوى الآن ، لم يبق على موعد الغداء إلا نصف ساعة ، ألا يكفى أنك تترك كل يوم نصف وجبتك .

أجابها ابنها متوسلاً :

- سآكل هذه القطعة يا أمى ، وأعدك أننى سآكل طعامى كله .

ردت الأم غاضبة : اترك هذه القطعة يا ولد .

تجاهل على تنبيه أمه .. وكأنه قد سمعه من قبل عشرات المرات ، وخطف

قطعة أخرى من الحلوى ، وجرى هاربًا إلى الخارج ، بعد أن صفق الباب وراءه ، ولم يسمع أمه وهى تقول : قلت لك لا تأكل شيئًا الآن .

وعادت هند إلى جارتها لطيفة ، وهى تتمتم بإرهاق ويأس :

– كم أشعر أنى متعبة معه ، لم أعد أحتمل عناده وإصراره على ما يريد ، لا أدرى كيف أتصرف معه ، لا يصغى ولايطيع ، لا توجد بيننا لحظة سلام هادئة طوال اليوم .

إن هذه الأم حائرة مع طفلها ، لا تدرى كيف تتصرف معه ؟ ، وهو يستغل حيرتها وتذبذبها ليحصل على ما يريد ، بينما لو كانت هذه الأم قوية وحازمة ، فإنها سوف تبتعد عن الصراخ فى وجهه لكى تمنعه من تناول أى طعام قبل وجبة الغداء ، فهو لن يأبه به ، لأنه تكرر من قبل دون عقاب ، إن التصرف السليم فى مواجهة هذا الموقف هو أن تقول الأم لطفلها بنبرة حازمة :

– بقى على الغداء نصف ساعة ، الوقت الآن غير مناسب يا على لأكل الحلوى .

إذا ألح ابنها – مثلما فعل فى المثال السابق – فإن عليها عندئذ أن تركز نظراتها فى عينيه وتقول له بلهجة صارمة وحازمة وهى تشد على مخارج ألفاظها :

– أعتقد أنك سمعت ما قلته ، والمطلوب الآن أن تقوم بتنفيذه ، وإلا ستجد عقابا لعدم طاعتك ، أنا أريدك أن تصبح قويًا ، لذلك عليك أن تتناول الحلوى بعد الغداء ، حتى تتناول غداءك كاملاً .

لنفرض أن الطفل لم يستجب ، عندئذ لابد للأم أن توقع عليه العقاب الذى تختاره فى هذا الموقف ، إما أن تحرمه يومًا من مشاهدة التلفزيون ، أو عدم اللعب مع أصدقائه فى ذلك اليوم ، المهم هنا هو شرحها لطفلها

باختصار عن سبب منعه من أكل الحلوى فى ذلك الوقت ، وحزمها معه فى حالة عدم طاعته لها ، قد يعترض البعض ويقول بأنه فعل ذلك مع ابنه لكنه لم يطعه ، والجواب على ذلك بسيط ، وهو أن النتيجة لا تأتى إلا عن طريق التعود ، وتكرار وقوع العقاب على الطفل فى حالة عدم احترامه لأوامر والدته ، وسترى الأم بعد ذلك أنها ما إن تركز نظراتها فى عينى طفلها وتقول له بحزم أن يترك القطعة التى فى يده لأنه يأكلها فى وقت غير مناسب فإنه سيتركها فورًا .

إن واجب الآباء أن يتعلموا الأساليب الحديثة فى تربية أبنائهم ، كما يؤكد على ذلك العالم فى مجال التربية النفسية للطفل الدكتور « فيتزوف ديدسون » فى كتابه المعروف (كيف نربى أبناءنا) عندما يقول : « الأبوة عملية تعلم مستمرة ، إذ لا يكفى أن نكون آباء فقط لكى نفهم أطفالنا ونسعدهم ، علينا أن نتعلم كل الوسائل التى تصل بنا إلى تحقيق هذا الهدف ، لنفترض أننا لم نلعب الشطرنج أبدًا ، وقررنا فجأة أن نلعبها ، من الطبيعى أننا قد نخطئ وقد نصيب ، وقد نشعر باليأس وعدم الارتياح ونحن نمارسها ، لكن أليس من الأفضل لو طلبنا مساعدة شخص ذى خبرة وتجربة فى هذه اللعبة لكى يعلمنا كيف نلعبها ، إن هذا المثال ينطبق إلى حد ما على تعلم كيفية ممارسة فن الأبوة ، إن على الآباء أن يستعينوا بمن هم أكثر منهم خبرة فى هذا المجال ليمارسوا دورهم الهام على أفضل وجه » .

هل نشرح للطفل سبب الرفض ؟

قد يفيد أحيانًا أن نشرح للطفل باختصار سبب رفضنا لطلبه إذا كان هاما بالنسبة له ، لكن من الأفضل أن لا يتبع الوالدان هذا الأسلوب بالنسبة للأمور اليومية البسيطة ، تؤكد على أهمية هذا الأسلوب التربوى « نانسى سمالن » المعالجة النفسانية المعروفة من خلال عملها كمديرة لإرشاد الآباء ، حيث ترى أن من الأفضل أن لا نشرح للطفل لماذا رفضنا طلبه ، حتى لا ندع له مجالا ليحاور ويناور ليحصل على ما يريد ، ولكى نتأكد من فاعلية هذا الأسلوب ، سنأتى بهذا المثال ، لنلاحظ نقط القوة والضعف فى حديث الأم مع ابنها البالغ من العمر أربع سنوات ، عندما أراد أن يذهب إلى المنتزه ، ولم تكن الأم راغبة فى الذهاب ، فقالت له شارحة سبب رفضها لمطلبه :

– لقد ذهبنا منذ عدة أيام ، لذلك لا أشعر أنى أريد الذهاب اليوم ، ربما أخذتك قريبا لكن محمد بدأ يئن ليحصل على ما يريد :

– خذينى إلى المنتزه ، أريد الذهاب إلى المنتزه .

ردت الأم : لقد سمعت ما قلت .. أعلم أنك متضايق وزعلان .

إلا أن محمد أخذ يردد ، وهو يبكى ويئن :

– سأذهب ، سأذهب ، سأبكى إلى أن تأخذينى .

قالت الأم بحزم : لن يكون لبكائك أى تأثير ، بل بالعكس ، لو قررت الآن أن آخذك قريبا ، سألغى قرارى .

مسح ابنها دموعه ، والتفت لها قائلاً بغضب :

– أنا لا أحبك ، أنت كريهة .

علقت الأم بهدوء : أنت فعلاً غاضب ، أنا لا ألومك على غضبك ،

أراهن أنك تتمنى لو كنت من الأمهات اللواتى يأخذن أطفالهن إلى المتنزه كل يوم ، لكننى لست منهن .

واستسلم محمد قائلاً : حسنا ، إذا لم نذهب اليوم ، هل سنذهب قريبا ؟ .

أجابت الأم بعد أن أحاطته بذراعيها :

– دعنى أفكر فى ذلك ، من المؤكد أننا سنذهب إلى المتنزه قريبًا .

دعونا نحلل هذا الموقف لنقف على نقاط القوة والضعف فى حديث الأم مع ابنها للاستفادة منها فى المواقف التى تواجهنا مع أبنائنا .

بدأت الأم حوارها بنقطة ضعيفة ، عندما أرادت أن تشرح لطفلها السبب فى عدم ذهابها بقولها :

– لقد ذهبنا منذ عدة أيام ، لذلك لا أشعر أنى أريد الذهاب اليوم ، ربما أخذتك قريبًا .

لأننا مهما شرحنا للأطفال سبب رفضنا لمطالبهم ، سيظلون راغبين فى الحصول على ما يريدون ، مثلما كانوا قبل الشرح .

إذن ، علينا فقط أن نتعلم كيف نتعامل معهم ، عندما لا نريد أن نمنحهم ما يريدون ، ونقبل بردود أفعالهم دون أن نقع فى مصيدة « إسعاد الطفل » أى الخوف من إغضابهم ونفورهم منا ، وهكذا فعلت والدة محمد ، عندما شعرت أن شرحها لابنها حول سبب رفضها لا فائدة منه ، فبدأت فى استخدام أسلوب كان له تأثير أفضل ، عندما عبرت عن مشاركتها لمشاعره قائلة :

– لقد سمعت ما تريد ، أعلم أنك متضايق وزعلان .

وعندما بدأ يبكى ويئن ليعبر عن احتجاجه ، قالت له بحزم ليدرك حدوده :

– لن يكون لبكائك أى تأثير ، بل بالعكس ، لو قررت الآن أن آخذك قريبًا ، سألغى قرارى .

وعندما حاول ابنها أن يضغط على مشاعرها بقوله :

- أنت كريهة ، أنا لا أحبك .

لم تقع الأم فى مصيدة إسعاد الطفل ، وإنما أبدت اعترافًا بمشاعره مرة أخرى ، ووضعت له الحدود معًا ،عندما قالت له :

- أنت فعلاً غاضب ، أنا لا ألومك على غضبك ، وواثقة أنك تتمنى لو كنت مثل الأمهات اللواتى يأخذن أطفالهن إلى المنتزه كل يوم ، لكننى لست منهن ، أى كأنها تقول له : اعرف حدودك يا بنى ، فأنت لن تحصل اليوم على ما تريد .

كثير من الآباء يقعون فى مصيدة « إسعاد الطفل » عندما يبدأ أطفالهم فى التفوه بهذه الجمل « أنت لئيمة » أو « أنت لا تحبينى » أو « أنت ظالمة » وغير ذلك من الاتهامات ، فالطفل لا يريد أن يقبل بالحدود التى يضعها والداه ، وقد يحدث أن يقع بعض الآباء فى هذه المصيدة ، ويبدءوا فى لوم أنفسهم على تقصيرهم نحو أطفالهم ، أو عدم الاستجابة لهم ، لأنهم يريدون لهم أن يكونوا سعداء ، ويحملون لهم الحب دائما فيستجيبوا لطلباتهم ، وهذا أمر له آثار سلبية على شخصياتهم ، لأنهم بذلك لا يستطيعون القيام بتأديبهم أو ردعهم بصورة فعالة ومفيدة ، لينشئوا بنفسية متوازنة وسعيدة .

لنكن واضحين فى آرائنا مع أبنائنا

قد نجد صعوبة فى تطبيق الحدود التى نضعها لأطفالنا ، عندما لا يكون لنا رأى واضح حول كيفية مواجهة الموقف التربوى الذى نعالجه .

أم محمد مرت بهذه التجربة ، لذلك سنستعرض الموقف الذى واجهته مع طفلها والأسلوب الصحيح فى معالجته .

أخذت هذه الأم ابنها إلى درس البيانو مساء ، وفى الطريق قال لها :

– أمى أريد شراء سندويتش « همبورجر » ، هل يمكنك أن تمرى على « مطعم الديرى كوين » ؟ .

ردت أمه : لا – لا أعتقد ذلك .

وتساءل محمد : ولماذا لا ؟ ، من فضلك يا أمى .

أجابت الأم مبررة سبب عدم وقوفها : أشعر أنى تعبة، والجو ممطر وبارد .

عاد محمد إلى إلحاحه : لكنى أريد أن آكل همبورجر اليوم .

وعادت الأم تشرح لابنها سبب عدم وقوفها :

– أعلم أنك تريد ، لكنى أرجوك أن تراعى شعورى بالتعب .

أجاب الابن مستسلمًا : طيب ، لا تأخذينى الآن ، لكن هل تشترين لى هدية فى المقابل ؟

ردت الأم ، وهى تحاول إرضاءه :

– حاضر ، سأشترى لك ما تريد غدًا .

وفى اليوم التالى ، اشترت له أمه ما أراد ، كتعويض له عن رفضها تلبية طلبه فى اليوم السابق .

سنلاحظ عندما نستعرض هذا الموقف ، أن الأم لم تكن ناجحة فى معالجة هذا الموقف ، إذ أن جوابها غير الحاسم حول ما إذا كان عليها أن تشترى لابنها السندويتش الذى يريده ، شجع ابنها على أن يتوسل

إليها ، كما أنها كانت غير راغبة فى أن تكون حازمة معه بالرفض القاطع ، لأنها لم تكن تريد أن ترى ابنها متضايقًا ، لذلك جاءت إجابتها ضعيفة عندما قالت : أشعر أنى تعبة ، والجو بارد وممطر .

وعندما شاركت الأم ابنها شعوره بقولها : أعلم أنك تريد .

فقد كانت تسير على الطريق الصحيح ، لكنها مع الأسف انحرفت فى بقية جملتها عندما تحدثت عن شعورها قائلة :

- لكنى أرجوك أن تراعى شعورى بالتعب .

والواقع أنها لو استبدلتها بهذه الجملة :

- لا ، ليس الآن - فإن جملتها سيكون لها تأثير أفضل وأكثر حسما ، إلا أنها أرادت أن تكسب شفقة ابنها بجملتها تلك ، فهى لا تريد أن تحقق له طلبه ، لكنها فى نفس الوقت لا تريد أن تحرم نفسها من رضائه عليها ، إلا أن إجابتها أشعرته أنها ملزمة له بالاعتذار ، لأنها لم تشتر له ما يريد ، فأعطته مبررًا قويًا ليطلب مقابلاً لتنازله عن طلبه ، فكما للطفل الحق فى أن يتمنى ما يريد ، فإن من حق الأم أيضًا أن ترفض ، غير أن هديتها لابنها أضعفت موقفها ، وأشعرت الطفل أنه يجب أن يعوض حرمانه من طلبه بهدية من والدته ، إن نبرة الأم والأب وهو يلفظ كلمة « لا » يجب أن تكون حاسمة وقوية ، فالطفل مخلوق ذكى ، وإذا لاحظ أن نبرة الكلام قد تعنى « يمكن أن » فإنه سيلاحظها فورًا ، وسيحاول أن يضغط لكى يحصل على ما يريد ، وإذا كانت الأم غير متأكدة فى لحظتها حول ما تريد أن ترد به ، فإن من الأفضل لها أن تقول له : دعنى أفكر فى ذلك وسأخبرك برأيى

أو تعد إلى رقم عشرة ثم تجيبه ، لأن هذا الأسلوب سيجنبها المناقشة الطويلة مع ابنها ، وسيلتزم بما تريده منه ، دون أن يحاول الحصول على ما يريد بطرق ملتوية .

أنت أم سيئة

يحاول أطفالنا أحيانا أن يضغطوا على مشاعرنا ، لكى نشعر بالضيق ونلبى مطالبهم ، ونقع بذلك فى مصيدة « إسعاد الطفل » من خلال مواقف مختلفة ، لذلك سأحاول استعراض العديد منها ، والطرق التى يستخدمها الآباء ليتفادوا الوقوع فى هذه المصيدة .

والدة « على » استطاعت أن تجتاز هذا الموقف بنجاح ، فماذا فعلت ؟ .

قال لها ابنها وهو يفتح الثلاجة ليجد شيئًا يأكله :

- ما هذا ، ألا يوجد شىء لذيذ فى هذه الثلاجة ؟

ردت عليه والدته : ابحث فى الداخل ، لابد أن تجد شيئًا تأكله .

أجابها على : كل شىء أمامى يحتاج إلى تسخين ، وكأنه لا يوجد لدينا فرن لنطبخ به أكلنا ، أشعر وكأننا فقراء .

شعرت الأم بالغضب يتسلل إلى أعماقها ، وابنها يتحدث وكأنه طفل أفريقى جائع ، إلا أنها تماسكت وردت عليه بهدوء قائلة :

- ما رأيك فى تناول تفاحة ، أو هل تريد أن تشرب برتقالا ؟

رد عليها على : لا ، لا أريد .

أجابت الأم بمرح : حسنا ، يبدو عليك أنك واسع الحيلة ، أعتقد أنك لو التفت حولك فى المطبخ ، فإنك ستجد شيئًا تأكله .

أجابها على : أنت أمى ، هذه مهمتك لترى ما إذا كان هناك شىء أستطيع أن آكله فى البيت .

وبقوة كبح هائلة ، سيطرت الأم على غضبها ، وتجاهلته وخرجت من المطبخ .

لم يجد على مفرًّا من الاستسلام ، بحث عن بعض القطع من البسكويت ، ووضع عليها زبدة ممزوجة بالحمص وأكلها .

إذن ، نجحت هذه الأم فى أن لا تجعل ابنها يشعرها بأنها أم مهملة ، أو أنها مقصرة مع أبنائها ، لم تدافع عن نفسها قائلة :

– كنت مشغولة جدًّا اليوم ، ولم أستطع الذهاب إلى السوق .

أو تلقى عليه محاضرة قائلة :

– أنت لا تريد أن تأكل طعاما صحيا ، كل ما تريده طعاما غير صحى لتملأ به معدتك ، كما أنها لم تذهب إلى محفظتها لتعطيه نقودًا ليشترى بها شيئًا من الدكان القريب من البيت ، وإنما تجاهلته وخرجت من المطبخ ، وهكذا فشل ابنها فى أن يضغط على مشاعرها لكى تقع فى مصيدة « إسعاد الطفل » .

سعاد طفلة فى سن الثالثة ، حاولت أيضًا أن تضغط عل مشاعر والدها بطريقة أخرى لكى يقرأ لها أكثر من قصة ، لكنه نجح فى معالجة الموقف مع ابنته ، واستطاع أن يلزمها بالحدود التى وضعها لها .

قالت له : أبى ، أريد اليوم أن تقرأ لى ثلاث قصص قبل أن أنام .

رد عليها والدها : وأنا آسف ، لا أستطيع اليوم أن أقرأ لك أكثر من قصة واحدة .

عادت سعاد إلى الإلحاح ، وهى تحاول أن تضغط على مشاعر والدها لكى يحقق لها ما تريد :

– أنا لا أحبك ، أريد ثلاث قصص ، أرجوك يا أبى ، أمى تقرأ لى دائما ثلاث قصص . إلا أن والدها أجابها بنبرة حازمة وثابتة قائلاً :

– أنا أعلم أنك راغبة فى أن أقرأ لك أكثر من ثلاث قصص ، لكننى

الليلة سأقرأ لك قصة واحدة فقط ، وعليك أن تختارى بين هاتين القصتين « سندريلا » أو « الدببة الثلاثة » .

واستسلمت سعاد لرغبة أبيها عندما لاحظت إصراره على رأيه ، واختارت قصة « الدببة الثلاثة » .

لقد تمسك والد سعاد برأيه وحدوده ، فاضطرت ابنته إلى القبول ، والاختيار بين القصتين ، لأنها لن تحصل على شىء إذا واصلت فى إلحاحها ، وهكذا ستتعلم بهذا الأسلوب أن تقف فى طلباتها ، عند الحدود التى وضعها لها والداها .

وضوح الرأى ضرورى فى مواجهة الموقف

قد نجد صعوبة فى تطبيق الحدود التى نضعها لأطفالنا ، عندما لا يكون لنا رأى واضح حول كيفية مواجهة الموقف التربوى الذى نعالجه .

أم محمد مرت بهذه التجربة ، لذلك سنستعرض الموقف الذى واجهته مع طفلها ، والأسلوب الصحيح فى معالجته .

أخذت هذه الأم ابنها إلى درس البيانو مساء ، وفى الطريق قال لها :

أمى أريد شراء سندويتش همبورجر .. هل يمكنك أن تمرى على « الديرى كوين » .

ردت أمه « لا لا أعتقد ذلك » .

وتساءل محمد ولماذا لا ؟ ، من فضلك يا أمى .

أجابت الأم مبررة عدم وقوفها أشعر أنى تعبة ، والجو ممطر وبارد » .

عاد محمد إلى إلحاحه : لكننى أريد أن آكل همبورجر اليوم .

وعادت الأم تشرح لابنها سبب عدم وقوفها :

أعلم أنك تريد ، لكن أرجوك أن تفكر بما أشعر به .

أجاب الابن مستسلما : طيب ، لكن هل تشترين لى هدية فى المقابل ؟ .

أجابت الأم : حسنًا ، سأشترى لك ما تريد غدًا .

وفى اليوم التالى ، اشترت له أمه ما أراد ، كتعويض له عن رفضها تلبية طلبه فى اليوم السابق .

سنلاحظ عندما نستعرض هذا الموقف ، أن الأم لم تكن ناجحة فى معالجة هذا الموقف ، لأن جوابها غير الحاسم ، شجع ابنها على أن يتوسل إليها ، إذ كانت أمه مترددة فى حسم الأمر ، حول ما إذا كان عليها أن تشترى لابنها السندويتش الذى يريده أم لا ، كما أنها كانت غير راغبة فى أن تكون

حازمة معه بالرفض القاطع ، لأنها لم تكن تريد أن ترى ابنها متضايقا ، لذلك جاءت اجابتها ضعيفة بقولها : « أشعر أنى تعبة ، والجو بارد وممطر » .

وعندما شاركت الأم ابنها شعوره بقولها : أعلم أنك تريد ، فقد كانت تسير على الطريق الصحيح ، لكنها مع الأسف انحرفت فى بقية جملتها ، عندما تحدثت عن شعورها قائلة : أرجوك أن تفكر بما أشعر به ، والواقع أنها لو استبدلتها بهذه الجملة « لا ، ليس الآن » فإن جملتها سيكون لها تأثير أفضل ، وأكثر حسما ، إلا أنها أرادت أن تكسب شفقة ابنها بجملتها تلك ، فهى لا تريد أن تحقق له طلبه ، لكنها فى نفس الوقت لا تريد أن تحرم نفسها من عاطفته ، إلا أن إجابتها أشعرته أنها ملزمة له بالاعتذار ، لأنها لم تشتر له ما يريد فأعطته مبررا قويا ليطلب مقابلا لتنازله عن طلبه ، فكما للطفل الحق فى أن يتمنى ما يريد ، فإن من حق الأم أيضا أن ترفض ، غير أن هديتها لابنها أضعفت موقفها ، وأشعرت الطفل أنه يجب أن يعوض حرمانه من طلبه بهدية من والدته ، إن نبرة الأم والأب وهو يلفظ كلمة « لا » يجب أن تكون حاسمة وقوية ، فالطفل مخلوق ذكى ، وإذا لاحظ أن نبرة الكلام قد تعنى « يمكن أن » فإنه سيلاحظها فورًا ، وسيحاول أن يضغط لكى يحصل على ما يريد ، وإذا كانت الأم غير متأكدة فى لحظتها حول ما تريد أن ترد به ، فإن من الأفضل لها أن تقول له : دعنى أفكر فى ذلك وسأخبرك برأيى « أو تعد إلى رقم عشرة ثم تجيبه ، لأن هذا الأسلوب سيجنبها المناقشة الطويلة مع ابنها ، وسيلتزم بما تريده منه .

حرية الاختيار = القدرة على اتخاذ القرار

اتركى لطفلك حرية الاختيار ، إذ يدعم ذلك ثقته بنفسه ، ويعوده على اتخاذ قراراته بمفرده ، هذا ما ينادى به علماء النفس اليوم كأساس لمعاملة الوالدين للأبناء . لندع أطفالنا يختارون الملابس التى يريدون ارتداءها ، والطعام الذى يرغبون فى تناوله أثناء وجباتهم الغذائية ، وسنجد أننا كآباء نستطيع أن نتفادى الكثير من المشاجرات اليومية بيننا وبينهم ، والأمثلة التى سأذكرها توضح ما ذكرته بصورة عملية .

أرادت أم أن تطلب من ابنها البالغ من العمر عشر سنوات أن يستحم ، فلم تأمره قائلة : اذهب إلى الحمام لتستحم .

وإنما وضعت أمامه اختيار أحد هذين الأمرين بقولها :

– عليك أن تختار ، هل تريد أن تستحم قبل العشاء أم بعده ؟

فإذا قال : أريد أن أستحم بعد العشاء .

عندئذ عليه الالتزام بتنفيذ هذا الوعد ، فالأم يجب أن تربى فى ابنها الإحساس بأهمية الالتزام بوعوده حاضرًا ومستقبلاً .

وعندما تطلب منه تنظيف المكان معها تقول له :

– هل تريد أن ترتب معى المكان ، فتضع الأشياء فى أماكنها ، أم تريد أن تمسح الطاولات ؟ اخترْ أنت ماذا تريد ؟ .

إن منح الطفل حرية اختيار العمل الذى يريد القيام به ، يجعله راغبًا فى تطبيق ما اختاره ، لأنه لا يشعر أنه مرغم على أدائه من قبل شخص أقوى منه .

وهذا مثال ثالث يوضح لنا استخدام هذا الأسلوب بصورة أفضل .

« علىّ » فى الثانية عشرة من عمره ، تعود أن يشارك والده هواية النجارة التى يمارسها عادة فى منجرته التى أقامها فى جانب من الحديقة .

قال الأب لابنه بعد أن انتهى من عمل الكرسى :

- أعد المطرقة والمسامير إلى أماكنها ، حتى نجدها إذا أردناها مرة أخرى .

رد على بتأفف : ولماذا لا تردها أنت يا أبى ، ألم تعمل معى ؟

فوجىء الأب بإجابة ابنه الاستفزازية ، إلا أنه تماسك أعصابه ، ووضع أمام عينيه العمل الأساسى المطلوب ، وهو تنظيف المكان وإعادة الأدوات إلى مكانها .

وقرر أن يدع ابنه يختار القيام بأحد هذين العملين فقال :

- ليس مهما يا بنى من يعيد منا الأدوات إلى أماكنها ، لقد عملنا معًا ، وعلى كل واحد منا القيام بعمل ما لنكمل عملية تنظيف المكان .

سأل الابن : مثل ماذا ؟

أجاب الأب : تستطيع أنت أن تكنس المكان ، وأعيد أنا الأدوات إلى مكانها أو بالعكس فماذا تختار ؟

أجاب على : أظن أننى سأختار كنس المكان ، لأننى أريد أن أتعلم كيفية الكنس بالمكنسة الكهربائية .

من الواضح أن الأب كان مؤثرًا بأسلوبه التأديبى الهادئ ، الذى استخدمه مع ابنه ليشعره بواجبه ، بدل التهديد والثورة عليه عندما أجابه بطريقته الاستفزازية التى ضايقته .

إن ترك حرية الاختيار للطفل فى تناول نوع الطعام الذى يحبه أثناء وجباته الغذائية والكمية التى يرغب فى تناولها حسب إحساسه بالجوع ، سيجعله مقبلاً على تناول هذه الوجبات ، ويجنب الوالدين الكثير من المشاجرات بينهم وبين أبنائهم ، ولا يضر الأم أن تسأل ابنها إذا كان يريد جبنة أو

بيضا فى وجبة العشاء ، أو يريد البطاطس مشوية أم مطبوخة فى الماء ، أو إذا كان يريد أن يأكل سمكا أو دجاجا ، لأننا عندما نترك الطفل يختار طعامه بطريقة معقولة ، فإننا نعوده بذلك على أن يتخذ قراراته بمفرده ، ويزداد بها ثقة بنفسه ، كما أن منح الوالدين ابنهما هذه الفرصة ، معناه وصول هذه الرسالة إلى عقل الطفل [نحن نؤمن بقيمة رأيك ونحترم ذوقك واختيارك الفردى] .

لقد اقترحت إحدى الأمهات على ابنها البالغ من العمر تسع سنوات لكى يقوم بعمل قائمة للطعام الذى يرغب فى تناوله خلال الأسبوع ، واندهشت هذه الأم مما فعل ابنها قالت :

– ذهب ابنى إلى غرفته وغاب ساعة ، ثم عاد ومعه قائمة بالطعام الذى يفضله خلال الأسبوع ، واستفدت منها كثيرًا وأنا أعد الطعام الذى يحبه ليقبل على تناوله .

إذن ، ساعدت هذه الأم ابنها على تنمية القدرة لديه على حل المشاكل ، ولو سألنا أطفالنا عن حلول لمشاكل تواجهنا معهم ، سنصاب بالدهشة لما سيقدموه من حلول مؤثرة ، ستقضى على الكثير من توتر الأعصاب والمشاحنات بيننا وبينهم ، كما أنهم سيرغبون فى اتباع ما اقترحوه ، لأنهم سيشعرون أنهم غير مجبرين على اتباع حلول لم يضعوها هم ، إلا أننا علينا أن لا نخلط بين وضع الطفل أمام اختيارين كأسلوب للردع ، إذا لم ينفذ الأول فإنه لن يستطيع القيام بالأمر الثانى ، أى التهديد مثلاً بحرمانه من مشاهدة التلفزيون ، إذا لم ينته من أداء واجباته المدرسية ، وبين الاختيارات التى نضعها أمامه ليختار ما يريد أن يبدأه أولا ، فالفرق واضح بين كل من هذين الأسلوبين ، إذ ينمى الأسلوب الأول قدرة الطفل على اتخاذ القرار فيقوم بتنفيذه بحماس ورغبة ، أما الأسلوب الآخر فإنه يستخدم لردع الطفل ، عندما يهمل واجباته ، ولا مجال فيه للاختيار .

هل يفيد عقاب الطفل ؟

لم يعد العقاب الوسيلة الإيجابية لردع أطفالنا عن السلوك الخاطئ ، وإنما هناك وسائل أكثر تأثيرًا ينصح بها علماء نفس الطفل من أجل تطوير شخصياتهم ، إذ يرى هؤلاء العلماء أن عقاب الطفل يثير فى نفسه الرغبة فى الثأر من والديه ، فيبدأ فى التفكير بالطريقة التى سيثأر بها منهما ، وقد يدفعه ذلك أيضا إلى الاحتيال أو الكذب ، فلا يعترف بارتكابه للخطأ خوفًا من العقاب ، كما لاحظوا أيضًا أن الآباء الذين يستخدمون العقاب بكثرة مع أبنائهم يميلون إلى الانحراف ، وعدم الإحساس بالمسئولية .

وعادة ما يتذكر هؤلاء الأطفال عندما يكبرون ، الطريقة التى استخدمها آباؤهم فى معاقبتهم ، لكنهم لا يتذكرون السبب الذى استحقوا من أجله هذا العقاب .

هدى أم لطفلين تعود والدها أن يستخدم أصبعه فى دفع رأسها عندما يغضب عليها أو يعاقبها عندما ترتكب خطأ ما ، وكانت هذه الحركة تجرح شعورها وتؤلمها نفسيا ، حتى عندما كبرت ، فهى تتذكر هذا الشعور البغيض ، ولا تتذكر السبب الذى كان يدفع والدها لكى يفعل معها ذلك ، لذلك قررت أن لا تكرر أسلوب معاملة والدها لها مع أبنائها .

وفى يوم ، جاء والدها لزيارتها ، واقترح عليها أن تدفع رأس ابنها بأصبعها عندما أساء التصرف ، وتماسكت لكى لا تصرخ فى وجهه قائلة :

- كيف تجرؤ وتطلب منى أن أفعل ذلك ، ألا يكفى ما فعلته بى ؟ .

قد يلجأ الوالدان أحيانًا إلى الضرب ، ليعلما طفلهما درسًا فى الطاعة ، لكن هل فكر هذان الوالدان ، ما هو الدرس الذى تعلمه ابنهما من هذا العقاب ؟

الواقع أنه لم يستفد شيئًا ، كل ما أورثه ذلك الضرب ، هو عدم شعور الوالدين بالراحة وإحساسهما بالذنب ، وهذا الشعور يؤكد لنا حقيقة واضحة هى : أن الضرب مؤلم للطفل ، لكن بعض الآباء يلجئون إليه فى غمرة غضبهم بصورة عفوية ، لكنه لم ولن يكون وسيلة إيجابية مؤثرة لتطوير شخصية الطفل ، وهو الهدف من الأساس من العقاب – بل إننا لا نستطيع أن نمنع أطفالنا من الرد علينا بنفس الطريقة ، إذا كانوا غاضبين ، أو أن يستخدموا هذا الأسلوب مع أصدقائهم ، وقد لا يعلم الكثير من الآباء أن الأطفال يبحثون بأنفسهم عن العقاب ليتخلصوا من الإحساس بالذنب ، فالطفل يشعر عندما يعاقب ، أنه قد دفع ثمن خطئه ، وهو حر فى أن يعيد سوء تصرفه دون أن يشعر بالذنب ، فهل نريد من أبنائنا أن يحسبوا ما ارتكبوا من أخطاء ثم يوازنوا بين جرائمهم وعقابهم ؟

الواقع أن الطفل الذى لا يشعر بالذنب ، عديم الضمير ، وضميره لا ينمو إلا إذا شعر بالذنب إذا أخطأ التصرف ، والعقاب يعيق هذا النمو ، لأنه يسلب شعور الطفل الفرصة ليشعر بالذنب ، ولا تتاح له الفرصة بذلك لكى يطور دوافعه الداخلية ، ولنأت بمثال لنوضح ما ذكرنا .

كسر حسن البالغ من العمر ١١ سنة تمثالا قضى والده ساعات طويلة فى نحته ، وقد أثار ما فعله غضب والده الشديد ، إلا أنه لاحظ أن ابنه أخذ يجمع القطع التى تكسرت على مهل ، ويلصقها بالتمثال لتبدو كما كانت من قبل .

قال له والده واصفًا شعوره :

– أنا غاضب مما فعلت ، كان هذا التمثال يعنى الكثير لى ، والآن أراه أمامى مدمرًا .

رد حسن بأدب : أنا آسف يا أبي ، تستطيع أن تحرمني من مصروفي ، لتشترى به طينًا ، حتى تصنع تمثالاً آخر .

علق والده : أعتقد أنها فكرة جيدة .

لقد تصرف الأب فى هذا الموقف بطريقة صحيحة ، إذ أشعر ابنه أنه غاضب ، لكنه لم يعاقبه ، لأنه لاحظ أن حَسَنًا كان يحاول أن يصلح خطأه بطريقته الخاصة . متحملاً مسئولية ما فعل ، والعقاب هنا لن يمنحه الفرصة لكى يتحمل نتيجة خطئه ، فلا يكرره مرة أخرى ، لكن هذا الأسلوب فى معاملة الأبناء يحتاج إلى صبر ومرونة وقدرة على تحمل الغضب ، وعدم التسرع فى إنزال العقاب بالطفل ، وهى أمور نستطيع أن نتمرس على أدائها بمرور الوقت بعد أن نتعرف على المزيد من الطرق البديلة للعقاب والهادفة إلى تطوير سلوك وشخصية أبنائنا .

إن هذا الأسلوب الحازم ، يوفر على الأم اللجوء إلى عقاب ابنها بسبب مماطلته له .. !

لأن العقاب وتهديد الطفل يثير روح التحدى لديه ، مثلما حدث لسامى عندما هددته والدته بقطع مصروفه الأسبوعى ورد عليها :

– لا يهمنى .. سآخذه من والدى .

وبالطبع جعلت هذه الإجابة أم سامى أقل راحة وأكثر يأسًا .

لذلك يجب عدم لجوء الوالدين إلى العقاب إلا فى حالات نادرة ، لأنه لا يعد وسيلة إيجابية دائما فى تأثيرها على سلوك الطفل .

طرق إيجابية بديلة للعقاب

إن أسرع وسيلة يمكننا أن ندفع بها الطفل إلى الكذب ، هى عندما نسأله سؤالاً نعرف إجابته ، فالطفل مخلوق ذكى ، يدرك أننا نعد له فخًّا ليقع فيه ، لذلك نراه يندفع فورًا إلى الكذب ، لكى لا نستطيع إيقاعه فى ذلك الفخ .

كما أن الطفل الذى يعلم أنه سيعاقب إذا قال الحقيقة لن يعترف بها ، إذ لا يوجد شخص يريد أن يجرم نفسه بنفسه .

مدرسة سناء اتصلت بوالدتها لتعلمها أن ابنتها لم تحل واجبًا حسابيًّا واحدًا طوال الأسبوع .

سألت الأم سناء : كيف حالك مع مادة الحساب هذه الأيام ؟ .

ردت الابنة فورًا : على ما يرام .

والدة سناء تعلم بإجابة سؤالها لأنها تعلم أن ابنتها مهملة فى مادة الحساب ، وكذلك ابنتها تعلم بإجابة السؤال ، لذلك كذبت فورًا عندما شعرت أنها ستتورط بالإجابة الصحيحة ، التى ستجد بعدها لومًا شديدًا من والدتها على إهمالها لتلك المادة .

أم أخرى عالجت هذا الموقف دون أن تسأل ابنتها سؤالاً تعلم إجابته ، وإنما وضعت الحقيقة كاملة أمامها لتجد معها حلا لها .

قالت الأم : لقد اتصلت بى مدرستك اليوم ، وأخبرتنى أنك لا تؤدين بعض واجبات مادة الحساب ، نريد أن نناقش هذا الموضوع معا لنجد حلاً لهذه المشكلة .

وجلست الأم مع ابنتها ليحاولا معالجة الموقف معا حتى تهتم ابنتها بمادة الحساب .

بعض الآباء يلجئون إلى عقاب أبنائهم بحرمانهم من مصروفهم الأسبوعى

أو من لعبتهم المفضلة ، لأنهم تصرفوا بطريقة سيئة فى المدرسة ، أو لأنهم لم يؤدوا واجباتهم المدرسية ، أى لاتوجد صلة بين الخطأ الذى ارتكبوه والعقاب الذى يوقع عليهم من قبل آبائهم ، وهذا النوع من العقاب لايصلح سلوك الطفل بنفس الدرجة التى يُطَوِّرُهَا تحمل الطفل لنتائج سلوكه السلبية ، إذ يردع هذا الأسلوب الطفل عن تكرار تصرفاته السلبية ، لأنه يدرك أنه إذا عاد إلى نفس التصرف سيحصل على النتيجة السلبية التى تؤلمه ولايريد تكرارها .

ولنضربْ مثالا عمليًا يوضح لنا ما ذكرته - حرمت والدة سامى ابنها الذى لم يتجاوز الثالثة من عمره من لعبته المفضلة ، لأنه أخذ يلعب بالطعام وينثره حوله ، إلا أن سامى لا يعلم لماذا حرمته أمه من لعبته ؟ إذ ليس هناك علاقة فى نظره بين لعبه بالطعام وحرمانه من لعبته ، لذلك لم يمنعه هذا العقاب من اللعب بالطعام فى اليوم التالى ، لقد تضايق سامى فقط من حرمانه من لعبته ، لكنه لم يستفد من ذلك العقاب ليطور سلوكه .

لكن على البالغ من العمر خمس سنوات ، استفاد من عقاب والدته لماذا ؟

لأنها جعلت حرمانه من لعبته مرتبطا بتصرف سيئ صاحبها ، حيث نادته عدة مرات وهو يلعب بدراجته ، لكى يتركها ويدخل البيت ليأكل طعام الغذاء ، لكنه لم يستجب لها ، لذلك عاقبته قائلة :

- على ، لن تركب اليوم دراجتك ، لأنك لم تلبّ ندائى مباشرة ، عندما ناديتك لتتناول غذاءك .

إذن حرمت والدة على ابنها من اللعب بدراجته التى واصل ركوبه عليها عنادًا لها ، وأدرك بذلك أنه حرم من لعبته المفضلة ، لأن سوء سلوكه ارتبط بها ، ومثل ذلك العقاب سيطور سلوكه فى المستقبل .

ولا أعتقد أن من السهولة دائما ايجاد العقاب المناسب ، عندما يسيء الطفل سلوكه ، خصوصًا عندما يكون الوالدان وسط جو المعركة مع ابنهما ، لذلك عليهما إبعاد أنفسهما بقدر المستطاع ، والشعور بالهدوء قبل أن يفرض أحد الوالدين عقابهما على الطفل ، لكى يكون متناسبًا مع سوء سلوكه .

كما أن علينا كآباء أن لا نعاقب الطفل وهو فى قمة غضبه ، لأننا نضاعف بذلك ثورته دون أن يستفيد من عقابنا ليطور سلوكه ، والأفضل من ذلك أن يقول الأب لابنه حسنًا ، نستطيع أن نتفاهم عندما تهدأ ، الأفضل أن تبعد الآن عنى ، وعندما تكون على استعداد للتحدث بهدوء ، سأكون فى غرفتى بانتظارك .

إلا أن الطفل قد يتصرف بثورة أمام الناس ، عندئذ ماذا يفعل الأب أو الأم ؟ .

والدة مَىّ استطاعت أن تعالج هذا الموقف بمهارة ، عندما ذهبت إلى الصيدلية لتشترى دواء لها .

قالت لها ابنتها مَىّ بعد أن أشارت إلى لعبة كانت موضوعة فى فترينة العرض :

– أمى ، أريد أن تشترى لى هذه اللعبة .

ردت الأم : ليس الآن يا مَىّ ، لقد جئت إلى الصيدلية لأشترى وصفة دواء لى . إلا أن مَىّ لم تستسلم وعادت تلح :

– لكنى أريد هذه اللعبة ، أنا أحلم بها منذ فترة طويلة ، وقد وجدتها أمامى الآن .

قالت الأم بحزم : أعرف ذلك ، لكنى لن أشتريها لك اليوم ، وإنما فى عيد ميلادك القادم قريبًا .

عادت الابنة تلح : حسنًا ، اعتبرى اليوم عيد ميلادى واشتريها لى ، ولا أريد أى هدية عندما يحين عيد ميلادى .

إلا أن الأم أصرت على موقفها حتى لا تتعود ابنتها على أسلوب الإلحاح لتحصل عل ما تريد ، لذلك قالت لابنتها :

– أنا أعلم إلى أى حد كنت تريدين هذه اللعبة ، لكننى لا أستطيع شراءها لك الآن .

قالت مَىّ وهى تبكى : أمى ، أنا أريدها الآن ، وسأحزن كثيرًا إذا لم تشتريها لى . وسأضربك .

أجابت الأم بحزم أشد : مَىّ ، أعيدى اللعبة إلى مكانها ، أنا لم أدفع ثمنها لتأخذيها .

وعندما دفعت الأم النقود ، واستعدت للانصراف ، تبعتها ابنتها وهى لا تزال ممسكة باللعبة قائلة بعناد : سآخذها معى .

أجابت الأم : مى ، أنا لم أدفع ثمن اللعبة ، لذلك يجب أن تعيديها إلى مكانها .

قالت مى بإصرار : لا ، لن أعيدها .

ردت الأم بحزم : أخذ أى شىء من المحل دون شرائه يسمى سرقة ، والقانون ضد السرقة .

قالت مَىّ : أنا لن أعيدها ، أعيديها أنت .

أجابت الأم : أنا لم آخذها ، سأنتظر هنا إلى أن تعيديها إلى مكانها .

وباستسلام أعادت مَىّ اللعبة – ثم عادت وشاركت الأم ابنتها مشاعرها الحزينة قائلة :

– أعرف أن من الصعب عليك إعادة لعبة تريدينها إلى مكانها .

قد لا تجد أم أخرى لديها الصبر لتتصرف بمثل ما تصرفت أم مَىّ ، لكن علينا كآباء أن نحاول استخدام الطرق الهادئة الحازمة لنعود أطفالنا على العادات الحسنة ، ولو كانت والدة مَىّ أقل مهارة فى التعامل مع ابنتها ، لسحبت اللعبة من يدها بعنف وشدتها لتخرج بها من الصيدلية وهى تهددها بالعقاب ، أو تلقى عليها محاضرة فى الأخلاق ، لكنها بدلاً من ذلك علقت على فعل ابنتها بما يجب عليها أن تقوم به قائلة : مَىّ ، أعيدى اللعبة إلى مكانها ، أنا لم أدفع ثمنها لتأخذيها .

ثم وضعت حقيقة واضحة أمام ابنتها بأن من لا يدفع ثمن الشىء لا يأخذه ، ومن يفعل ذلك يعد سارقا ، لقد علمت الأم هنا ابنتها مبدأ أخلاقيًّا دون أن تتهمها بشىء ، وعندما أعادت مَىّ اللعبة ، أبدت أمها تعاطفها معها وإحساسها بشعورها وذلك بقولها : أعرف أن من الصعب عليك إعادة لعبة تريدينها كثيرًا .

وقد أحسنت الأم عندما أنهت الموقف بهذه الجملة ، لأنها حولته إلى فرصة لابنتها مَىّ لتشعر بالسرور من نفسها بسبب قدرتها التغلب على رغبتها فى اللعبة وإعادتها إلى مكانها ، وقد تعلمت الابنة الحدود التى يجب أن تقف عندها فى طلباتها دون أن تثور أمها عليها أو تعاقبها ، واستفادت بذلك من قوة هذه التجربة التعليمية .

ماذا تفعل عندما يسرق ابنك ؟

ماذا نفعل عندما نكتشف أن أحد أطفالنا يسرق ، خبراء التربية يقولون لنا كآباء أن لا نضخم هذا الحدث ونحوله إلى مأساة تشعر الطفل أنه ارتكب ذنبًا كبيرًا ، لأنه قد لا يعلم من الأساس أن ما فعله يعد سرقة ، إلا إذا سبق أن وضحنا له ذلك من قبل .

إذن ، لكى لا يتعود الطفل على هذه العادة السيئة ، يجب أن يجد من يعلمه أن أخذه لما هو ملك غيره من غير استئذان يعتبر سرقة ، وهذا يتطلب منه أن يعيده إلى أصحابه مع اعتذاره لما فعل ، وينطبق ذلك حتى على الطفل الذى لم يتجاوز السنتين ، والمثال على ذلك ، لو وجدت الأم أن ابنها أخذ لعبة صديقه دون أن يستأذنه ، فإن عليها أن تقول له بهدوء وحزم :

– هذه اللعبة ملك لصديقك ، إذا كنت تريدها استأذن منه ، إذا قبل تستطيع أن تأخذها ، وإذا لم يقبل عليك أن تدعها فى مكانها ، لأنها تخص من يملكها .

ولو رأت الأم أن ابنها أخذ من رف الحلويات فى إحدى البرادات حلوى ووضعها فى جيبه ، فإن الواجب عليها أن تواجهه مباشرة قائلة :

– الحلوى التى وضعتها فى جيبك يجب أن تعود إلى مكانها فى الرف .

وإذا أنكر طفلها أخذه للحلوى ، عندئذ عليها أن تعيد جملتها بأسلوب حازم وهى تصر على حروف كلماتها .

وإذا رفض أن يعيد الحلوى إلى مكانها ، فإن عليها أن تأخذ الحلوى من جيبه وهى تقول له : هذه الحلوى تخص هذا البراد ، ويجب أن تبقى فى مكانها فى الرف ، أنت لا تستطيع أن تأخذها إلا إذا دفعت ثمنها .

لنفترض أن الأم اكتشفت أن ابنها قد سرق دينارًا من محفظتها ، عند ذلك عليها أن لا تسأله من أخذ تلك النقود ، وإنما تقول له :

– لقد أخذت دينارًا من محفظتى ، أرجعه إلى مكانه .

وعندما يعيد الطفل الدينار يجب عليها أن تقول له وهى جادة :

– اسألنى إذا كنت تحتاج إلى مال ، وسنتفق على المبلغ المسموح لك أخذه .

أما إذا أنكر الطفل أنه سرق الدينار ، فإن على الأم أن لا تجادله أو تحاول الحصول على اعترافه ، وإنما عليها أن تقول له بنبرة واثقة وثابتة :

– المال الذى أخذته أعده إلى مكانه .

وإذا أنفق الطفل الدينار الذى سرقه ، عندئذ على الأم أن تأخذ الدينار من مصروف ابنها الخاص الأسبوعى الذى يتعلم من خلاله قيمة المال ، أو من أى مال يملكه ، إلا أنها يجب أن تتجنب أن تلقبه باللص وأن مصيره السجن عندما يكبر ، أو تدع أحدًا فى العائلة يعامله هذه المعاملة ، وبدلاً من ذلك عليها أن توضح له أنها تتوقع منه أن يتحدث معها حول ما يحتاج إليه ، بأن تقول له مثلاً :

– قل لى عندما تحتاج إلى المال ، وسنناقش الأمر معًا .

وتخطئ الأم عندما تسأل طفلها الذى سرق الدينار أو غيره :

– لماذا فعلت ذلك ؟ .

لأنه قد لا يعلم لماذا فعل ما فعل ، وقد يكذب مرة أخرى تحت ضغط الإجابة على سؤال لماذا ؟

كما أن على الأم التى تكتشف أن ابنها سرق بعض الحلوى من الزجاجة التى وضعتها فى البيت أن تتجنب هذا السؤال لأبنائها :

- هل أكل أحد منكم من الحلوى الموضوعة فى الزجاجة ؟ .

أو تسأل ابنها الذى سرق :

- هل رأيت أحدًا بالصدفة أخذ من الحلوى الموضوعة فى الزجاجة ؟

- لأنها إذا فعلت ذلك فإنها تدفع طفلها إلى المزيد من الكذب ، وعليها أيضا أن لا تسأل أى سؤال تعرف إجابته ، وإنما تقول لابنها :

- أعلم أنك أكلت من الحلوى التى وضعتها فى الزجاجة دون إذن منى ، لقد خيبت أملى فيك ، وأنا غير راضية عنك ، وسترى الأم أن ابنها سيشعر بعدم الراحة ، وسيبدو ذلك واضحًا على ملامحه ، وسيفكر أنه مسئول عن تصحيح سلوكه ، أى تطوير ذاته بنفسه .

أما إذا عاد الطفل إلى السرقة ، فإن على والديه أن يضعاه تحت المراقبة المستمرة لمدة لا تقل عن ستة أشهر حتى يتأكدا من إقلاع ابنهما عن السرقة ، وإذا سرق الطفل خارج بيته فإن على والديه أن يضاعفا مسألة مراقبة سلوكه والذهاب معه إلى أى مكان يذهب إليه ، حتى لو كان تطبيق هذا الأمر صعبا ، إلا أنه ضرورى إذا كانا يريدان لابنهما الاقلاع عن هذه العادة السيئة .

ولا ننسى أن نبحث عن بعض الأسباب التى تدفع الطفل إلى السرقة وإزالتها ، لأن الطفل قد يتجه إلى هذه العادة القبيحة عندما يشعر بالغيرة أو القهر أو التعاسة ، كما أن على الآباء أن يكونوا يقظين على ما لديهم من مال فى البيت ، يعلمون مقدار ما لديهم منه ، حتى لا يسرق الطفل من المال المنثور أمامه دون أن يعلم الأب فلا يتمكن من ردعه مباشرة ، فيتعود على السرقة بسبب إهمال والديه .

على أن أتحمل نتيجة أفعالى

فى إمكان الطفل أن يتعلم من خلال تحمله لنتائج أفعاله ، كيف يتفادى تصرفاته السلبية ، لأنه لا يريد أن يحصل على نتائج لا يرغب فيها ، وسيتطور سلوكه بهذا الأسلوب إلى الأفضل ، ونظرًا لأهمية هذه الطريقة فى تربية أبنائنا ، وجدت أن من الضرورى طرح أمثلة تساعدنا على تطبيقها ، لنحصل على نتائجها الإيجابية .

ذهبت هدى مع أمها لزيارة صديقتها مها ، كلاهما لا تتجاوز الخامسة من العمر ، خرجت الصديقتان إلى الحديقة للعب بها ، وجلست الأمهات فى إحدى زواياها تتحدثان ، وفجأة بكت مها بعد أن ضربتها هدى على وجهها .

قالت والدة هدى بنبرة حازمة لابنتها :

– أنت تعلمين أن الضرب أمر غير مسموح به ، لذلك سنذهب إلى البيت إذا عدت إلى ذلك التصرف مرة أخرى .

ردت هدى : لن أضربها يا أمى ، أعدك بذلك .

وبعد عشرين دقيقة ، ضربت هدى مها مرة أخرى .

قالت والدتها : هيا يا هدى ، علينا الذهاب إلى البيت .

بكت الابنة تريد البقاء مع صديقتها .

قالت الأم : أراك حزينة لأننا سنذهب .

قالت هدى : أريد أن أبقى مع صديقتى مها .

أجابت الأم : أعلم ذلك ، لكن علينا أن نذهب الآن ، هل تريدين أن أحدد لك موعدًا لزيارتها الأسبوع القادم ؟ .

هزت الابنة رأسها موافقة .

واتفقت الأمهات على زيارة أخرى يوم الخميس من الأسبوع التالى .

بكت هدى فى طريق عودتها إلى البيت ، لكن أمها لم تؤنبها قائلة :

- لو لم تتصرفى بخبث مع صديقتك، لواصلت اللعب معها حتى الآن .

فهى تعلم أن الأطفال لا يفكرون فى أسباب ما يحدث لهم عندما يكونون غاضبين ، إلا أنها بدلاً من ذلك استجابت لدموع ابنتها بالسكوت ، حتى تدرك أن ما تشعر به من حزن ، كان نتيجة لسوء تصرفها .

وعندما عادوا إلى البيت ، قالت هدى لأمها :

- لماذا قررت فجأة أن نذهب ؟ .

ردت الأم بهدوء : لماذا تظنين أننى اتخذت هذا القرار ؟ .

أجابت الابنة : لأننى ضربت مها .

قالت الأم : هذا صحيح .

وعندما كانت هدى تستعد للنوم ، فاتحت أمها مرة أخرى بالموضوع قائلة :

- أمى ، قولى لى : ماذا حدث عندما كنت فى بيت مها ؟ .

ردت الأم : ماذا على أن أخبرك به ؟ .

قالت هدى : لماذا كنت حزينة ؟ .

أجابت الأم : لأننى قررت أن نغادر .

قالت هدى : لأننى ضربت مها ، كنت أريد أن أبقى أكثر .

قالت الأم : قد يكون فى استطاعتنا المرة القادمة .. البقاء أكثر .

إذن بسبب ردود أفعال الأم الماهرة ، فهمت هدى بوضوح سوء سلوكها ونتائجه ، كما أن الأم وضعت الحدود لابنتها عندما قالت لها :

- أنت تعلمين أن الضرب أمر غير مسموح به ، لذلك سنذهب إلى البيت إذا عدت إلى ذلك التصرف .

وبالفعل نفذت الأم الحدود التى وضعتها ، ثم عبرت عن ثقتها بابنتها عندما أعطتها فرصة أخرى بقولها فى نهاية الحوار :

- قد يكون فى استطاعتنا المرة القادمة البقاء أكثر .

علينا عندما نريد الاستفادة من نتائج أفعال الطفل لتأديبه ، أن لا نضيف تعليقًا جارحًا مثل أن نقول :

- هذا سوف يعلمك أن لا تعيد تصرفك السيىء مرة أخرى .

أو : أنت تستحق ما حدث لك .

ولو أن والدة هدى قالت لها : لقد حصلت على ما تستحقينه .

فإن هدى ستتصور أن ما حدث لها من حرمان عقابًا لها ، لا على أنه نتيجة لسوء سلوكها ، حتى تتعلم بذلك أن الضرب عمل غير سليم وله نتائج غير مرغوب فيها ، وهذا لا يعنى أن هدى لن تضرب أحدًا من الأطفال بعد هذه الحادثة ، لكن ما حصلت عليه من نتائج سلبية سوف يردعها عن هذا التصرف السلبى أو على الأقل سوف يقلل منه ، إذ ستتعلم نتيجة له كيف تتبع السلوك السليم فى التعامل مع أصدقائها ، وهذا مثال آخر يعلمنا كيف نستفيد بهذه الوسيلة فى توجيه أطفالنا نحو التصرف السليم .

كان أحمد البالغ من العمر ٨ سنوات ، قد حصل فى عيد ميلاده على دراجة جميلة ، وكان سعيدًا بركوبه عليها وتجواله فى الحديقة والشوارع الخلفية لمنزله ، لكنه كان يهمل تلك الدراجة ، إذ يرميها فى الحديقة دون أن يدخلها فى المكان المخصص لها فى الكراج كما كانت توصيه أمه دائمًا ، حاولت والدته أن تنبهه أن دراجته سوف تصاب بالعطب بسبب الرطوبة ، لكنه لم يكن يهتم بتحذيرها .

وفى يوم هطل المطر غزيرًا على الدراجة ، وصادف أن انشغل عنها يومين ، وعندما جاء ليركبها ، وجدها غير صالحة للاستعمال ، حزن أحمد كثيرًا على دراجته وقال لأمه باكيًا :

– كانت الدراجة أفضل هدية وصلتنى ، والآن لا أستطيع أن ألف بها الحديقة والشوارع الخلفية لمنزلنا .

وبالطبع كان فى إمكان والدته أن تجيبه بطريقة جارحة بقولها :

– هذه مسئوليتك ، لقد قلت لك مرارًا ، أدخل دراجتك فى المكان المخصص لها فى الكراج ، لكنك لم تكن تطيع كلامى ، والآن فقدت أفضل هدية لديك وسوف تجد عقابا منى أيضًا على إهمالك .

لكنها لو فعلت ذلك فإن أحمد سوف يتضايق من مسألة عقابه أكثر من إحساسه بالحزن لفقده دراجته ، ولن يتعلم بذلك أنه خسر تلك الدراجة بسبب إهماله – لذلك عندما سأل الولد أمه إذا كان فى إمكانه الحصول على دراجة أخرى ، أجابته بطريقة حازمة :

– كلا ، لا تستطيع .

دون أن تلقى عليه محاضرة ، وكان لذلك تأثير على ابنها أكثر من أى كلام ستقوله له ، لأنه سيتعلم بعد ذلك كيف يحافظ على أشيائه لكى لا يفقدها .

عدم تجريح الطفل أثناء العقاب

سيحاول أطفالنا ، عندما نضع حدودًا حازمة لهم ، أن يحاوروها ، وأن يكسروا قوانيننا ، فماذا نفعل في مثل هذه المواقف ؟ أغلبنا يعود إلى الأسلوب الوحيد للردع وهو العقاب ، إلا أن العقاب لا يحقق الهدف منه في أغلب الأحيان ، ولنأت بهذا المثال لإثبات ذلك .

كان على البالغ من العمر تسع سنوات ، يحاول طوال اليوم إقناع والده ، لكي يسمح له بالنوم في بيت أحد أصدقائه ، وكان والده يرفض طلبه قائلاً : أنت تعلم أن النوم في بيت صديقك ، أمر غير مسموح به في ليلة المدرسة .

وكان على يرد عليه محاولا مرة أخرى :

- لكننا سنذهب إلى الفراش مبكرين ، أعدك بذلك يا أبي .

إلا أن الأب وضع حدوده لابنه ، وعليه أن يلتزم بها دون نقاش ، لذلك أجابه قائلاً :

- على ، أنت تعلم بالحدود التي وضعناها أنا وأمك ، لذلك لا تحاول معي أو معها ولا تحاول أن تفتح هذا الموضوع مرة أخرى .

أجاب على غاضبا :

- أنت لعين ، وأنا أكرهك .

أجاب الأب غاضبًا : هذا إذن ، الآن سوف تعاقب على قلة أدبك ، اذهب إلى غرفتك ، وابق هناك ، لن تشاهد برامج التلفزيون لمدة خمسة أيام .

ذهب على إلى غرفته غاضبًا ، وكتب على الحائط بطبشور كان لديه ثور ، ثور ، أبي ثور .

هل استفاد على من هذا العقاب ؟ هل جعله يرتدع أو يصلح من سلوكه المخطئ ؟ من الواضح أنه لم يفعل ، وإنما استجاب إلى العقاب بثورة وغضب وجهها إلى والده .

لم يذهب إلى غرفته بهدوء ليتأمل ما فعل لكى يحاسب نفسه على تعديه للحدود التى وضعها له والداه ، فيقول لنفسه :

- أبى على حق ، لقد كنت سخيفًا فى تصرفى ، وأستحق عقابه لى .

إن الخطأ الذى نرتكبه أحيانًا كآباء أننا عندما نعاقب أطفالنا هو أننا نهاجمهم بطريقة مؤلمة وجارحة لمشاعرهم ، لذلك لا يكون تأثيرنا إيجابيا على سلوكهم ، فهم يتجاوبون معنا بأسلوب يقوم على رد الثأر لنا ، لا على أساس إحساسهم بذنبهم لكى يحاولوا التخلص منه .

ولو أن الأب استبدل عقابه لابنه بقوله :

- أنا أشعر أنك متضايق ، وتتمنى لو نمت فى بيت صديقك ، لكنك تستطيع أن تفعل ذلك فى ليلة عطلة ، لأنك بحاجة إلى النوم مبكرًا فى ليلة المدرسة ، لتستطيع الاصغاء بانتباه لشرح المدرس .

فإنه بهذا القول ، سيشعر ابنه أنه مدرك لأمنيته ، وشاعر بخيبة أمله ، لكنه ملزم بتطبيق الحدود التى وضعها مع أمه لصالحه .

وهذا مثال آخر يوضح لنا كيفية تجاوب الطفل السلبى لعقاب والديه .

سامى طفل فى العاشرة من عمره ، ترك ألعابه وملابسه منثورة فى الصالة بعد أن ارتدى بيجامته ، واستغرق فى مشاهدة التلفزيون .

قالت له والدته : سامى ، ضع ألعابك وملابسك فى غرفتك .

رد سامى بلا مبالاة : سأفعل ذلك فيما بعد .

وعاد إلى متابعة التلفزيون .

قالت الأم بغضب : فيما بعد ، هذه هى جملتك المفضلة التى تجيبنى بها دائما ، أريدك أن تقوم الآن ، وتنفذ ما أمرتك به .

أجاب الابن بتأفف : أمى ، ألا ترين أنى أشاهد برنامجى المفضل ، سأفعل ما تريدين ، بعد أن ينتهى .

لكن سامى لم يف بوعده لوالدته بعد أن انتهى برنامجه ، وتابع مشاهدته للتلفزيون قالت له والدته بنبرة غاضبة :

- والآن ، انته مما وعدتنى به ، سأصاب منك بالجنون ، إذا لم تجمع ألعابك وملابسك المنثورة فى الصالة ، فسأعاقبك .

رد ابنها متأففًا : أنا تعب جدًّا اليوم ، سأقوم به غدًا .

أجابت الأم بغضب : لا ، ستقوم به الآن .

قال سامى : أنت لن ترغمينى على فعل ما تريدين .

ردت الأم وقد ازدادت ثورتها : وترد على بهذه الوقاحة ، إذا لم تجمع ألعابك وملابسك الآن ، فإننى لن أعطيك مصروفك الأسبوعى .

أجابها ابنها سامى بتحد : لا يهمنى ، سآخذه من والدى .

إذن ، لو قالت الأم لابنها بنبرة حازمة منذ بداية الحوار :

- مكان هذه الملابس فى غرفتك ، وأريد أن أراها هناك الآن ، هل سمعت ما أقوله ؟ .

فإنه سيشعر بنبرتها الحازمة ، وحتى لو افترضنا أنه حاول المراوغة ليتابع مشاهدة برنامجه ، عندئذ من الأفضل أن لا تترك له والدته الفرصة ليفعل ذلك ، حتى يؤدى ما عليه من واجب نحو ترتيب ونظافة البيت ، كما أن على الوالدين الاتفاق حول طريقة تربيتهما لأبنائهما ، حتى لا يؤدى الاختلاف فى الرأى بينهما إلى تذبذب الطفل بين معاملتين مختلفتين ، فيستغل الجانب الأضعف ليحصل على ما يريد ، وفى هذا إضرار كبير لشخصيته مستقبلاً .

تشجيع الطفل لإيجاد حلول لمشاكله

مهمتنا كآباء ، أن نساعد أطفالنا ، لكى يفهموا معنى السلوك الصحيح من السلوك الخاطئ ، فنساعدهم بذلك على تصحيح تصرفاتهم السلبية ، وعدم تكرارها مستقبلاً ، من أجل تطوير شخصياتهم ، لذلك لا يعد العقاب فى أكثر الأحيان وسيلة إيجابية للوصول بأبنائنا إلى هذا الهدف .

ذكرت من قبل بعض الأساليب الحازمة التى توفر على الوالدين اللجوء إلى العقاب فى تعاملهم مع أبنائهم ، لكننى هنا سأتناول بعض الوسائل البديلة للعقاب فى حالة ارتكاب الطفل للتصرف الخاطئ ، وسأقوم بتوضيح كل وسيلة عن طريق استعراض الأمثلة .

أن نساعد أطفالنا من أجل إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل الناتجة عن تصرفاتهم الخاطئة ، تعد إحدى هذه الوسائل البديلة لعقاب الطفل ، فيكونون هم جزءا مؤثرا فى عملية إيجاد هذه الحلول التى سيلتزمون بها ، لأنهم ساهموا فى اتخاذها بأنفسهم ولم تفرض عليهم من قبل آبائهم .

اتصل مدرس عادل بوالده ليخبره عن سلوك ابنه السيئ فى باص المدرسة ، أدرك هذا الوالد أنه إذا بدأ فى عتاب ولده ، فإنه سيدافع عن تصرفاته ، لذلك قرر أن يطلب منه أن يجد حلاً لسوء سلوكه ، بدلاً من أن يعاقبه ، لأنه سيقتنع بما يقرره وسيلتزم بتطبيقه ، خصوصًا أنه سيكون نابعًا من اختياره ، لذلك بدأ حديثه معه قائلاً :

– عادل ، أريد أن أتحدث معك حول موضوع هام .

تساءل الابن : نعم يا أبى ، ماذا تريد ؟ .

قال الأب : اتصلت بى مدرستك ، وقالت لى إنك كنت فوضويًا فى باص المدرسة ، ولا تحترم كلام السائق ، لأنك لا تصغى له ، كما ذكرت

بأنك يجب أن تذهب إلى مكتب المديرة لتحاسبك على ما فعلت ، وأنها قد لا تسمح لك بركوب باص المدرسة بعض الوقت .

بكى أحمد وقال مدافعًا عن نفسه : لكننى لم أكن الوحيد الذى تصرف بهذه الطريقة .

أجاب والده : أنا واثق من صدقك ، لكنك ابنى وأنا أحبك ، ولا أريدك أن تقع فى أى مشكلة ، أعلم أن من الصعب عليك عدم ركوب الباص ، لأنك لن تستمتع بوقتك مع أصدقائك ، لكننى أظن أنك تستطيع أن تساعدنى على إيجاد حل لهذه المشكلة ، فهل لديك أى حل ؟ .

أجاب عادل بعد فترة صمت : يمكننى أن أجلس بجانب السائق ، لا مع أصدقائى المشاغبين .

علق الأب قائلاً : هذه فكرة حسنة .

وفى اليوم التالى ، ذهب والد عادل به إلى باص المدرسة ، وقال للسائق : إن ابنه يريد الجلوس بجانبه فى بعض الأيام - وانقطعت شكوى المدرسة حول تصرفات عادل فى باص المدرسة ، فقد التزم بالحل الذى وضعه لتحسين سلوكه .

كان فى إمكان والد عادل أن يعرض عليه بعض الاختيارات ، لكنه اكتفى بالحل الذى عرضه عليه ابنه ، لأنه كان قرارًا نابعًا من ذاته ، وسيهتم بتطبيقه ، لكن شعور الأب عندما وصلت له شكوى المدرسة حول سلوك ابنه لم يكن هذا ، وإنما فكر فى عقابه ، لكنه تمهل فيما بعد ، وقرر أن يتبع هذا الأسلوب الإيجابى فى مواجهة سوء تصرف ولده ، حيث جعله قادرًا على إيجاد حل لمشكلته بعد أن سانده قائلاً :

- أنا واثق من صدقك .

ثم شاركه شعوره عندما قال له : أعلم أن من الصعب عليك عدم ركوب الباص ، لأنك لن تستمتع بوقتك مع أصدقائك .

ثم شجعه على إيجاد الحل بقوله :

– لكننى أظن أنك تستطيع أن تساعدنى على إيجاد حل مناسب لهذه المشكلة ، فهل لديك أى حل ؟ .

لقد عمل والد عادل على تحريك دافعه ليطور سلوكه ، بدلاً من إثارته للدفاع عن نفسه .

ولنستعرض أيضًا مثالا آخر يساعدنا على تطبيق هذه الوسيلة لتقويم سلوك الطفل ، كانت الأم تريد أن تأخذ ابنتها إلى حلاق للسيدات لقص شعرها ، فقالت لها :

– سلمى .. هيا بنا ، قد حان وقت ذهابنا إلى الحلاق .

ردت الابنة : لا ، لا أريد أن أذهب ، أشعر أنى تعبة .

قالت الأم وهى تشجع ابنتها على إيجاد الحل المناسب :

– سلمى ، لقد أخذنا موعدًا مع الحلاق ، وعلينا الالتزام به ، كيف يمكننى جعل زيارة الحلاق أكثر سهولة بالنسبة لك ؟ .

أجابت الابنة فورًا : أريد أن يقص الحلاق شعرى فقط ، لا أن يغسله بالشامبو .

سألتها أمها : ولماذا يضايقك غسل شعرك بالشامبو ؟ .

ردت سلمى : لأن المرأة التى غسلت شعرى فى المرة السابقة ، شدته كثيرًا وهى تغسله .

علقت الأم بطريقة أشعرت بها ابنتها أنها تشاركها مشاعرها :

- شدته بشدة إلى درجة آلمتك ، ولذلك أنت خائفة من الذهاب ، لأنك تخافين أن تؤلمك مرة ثانية :

أجابت الابنة : هذا ما حدث ، لذلك أريدها أن تقصه فقط ، ولا تغسله بالشامبو .

قالت الأم : سنذهب لقص شعرك ، وسأخبر المرأة التى ستقصه عن مشكلة غسله بالشامبو ، لكى تتفادى شد شعرك عند غسله .

كان من الممكن أن تغضب الأم على ابنتها عندما رفضت الذهاب إلى الحلاق ، فتأخذها رغمًا عنها لتقص شعرها ، لكن بدلاً من أن تفعل ذلك أو تهدد ابنتها قائلة :

- لن آخذك إلى بيت صديقتك أمال غدًا مثلما وعدتك ، إذا لم تأت معى .

استمعت إلى ابنتها بهدوء وشفقة قائلة : كيف يمكن جعل زيارة الحلاق أكثر سهولة بالنسبة لك ؟ .

واستطاعت بذلك أن تعلم من ابنتها السبب الحقيقى وراء رفضها الذهاب ، ولم تكتف بذلك ، وإنما جعلت ابنتها تشارك فى إيجاد الحل ، ووعدتها الأم بأنها ستخبر المرأة التى تغسل شعرها بما ضايقها فى المرة السابقة حتى تتفاداه هذه المرة ، وبذلك استجابت الابنة إلى أمها بهدوء واقتناع ، وذهبت معها بعد أن شاركت فى البحث عن الحل لمشكلتها .

الفصل الرابع

تخفيف المشاجرات
بين الأبناء

كيف نعالج الغيرة بين الابنين الأكبر والأصغر ؟

ما دام هناك آباء وأبناء فإن الغيرة ستكون متواجدة بدرجات متفاوتة فى نفوس هؤلاء الأبناء ، إلا أننا نستطيع كآباء التخفيف منها ، لو تعلمنا كيف نتعامل مع أطفالنا فى تلك المواقف .. والحديث حول مشاعر الغيرة بين الإخوة يطول ويتنوع لكننا سنختار منه موضوعًا هامًّا يتعلق بغيرة الطفل الأكبر من مجيء طفل جديد للأسرة ، وكيف يمكننا معالجة مثل هذا الموقف والتخفيف من جوانبه السلبية . أى مولود جديد سيواجه بالغيرة من أخيه الأكبر ، لأنه سيشعر بعد مجيئه أنه فقد الكثير من اهتمام والديه .. ومهما حاول الوالدان أن يعدا ابنهما لهذا الموقف إلا أنه لا يستطيع أن يتوقف عن الإحساس بالغيرة من أخيه الذى جاء كالكارثة بالنسبة له خصوصًا عندما يكون طفلاً حساسًا .. ألم يبدأ بمزاحمته على حب والديه واهتمامهما ؟ فكيف يمكنه أن يحبه ؟ لقد بدأت نفسيته تضطرب وتقلق ، أصبح يتمنى لو يستطيع التخلص منه .. لو يموت .. لو يستطيع أن يرميه فى سلة المهملات ، إن أكثر ما يخاف منه الوالدان أن يؤذى طفلهما المولود الجديد ، ومن المؤكد أنهما لن يسمحا له أن يؤذيه .. لا بالسب والشتائم ولا باليد ، لأن هذا النوع من الإيذاء سيضر المعتدى والضحية .. فالأخ الأكبر لن يغفر لنفسه لو أذى أخاه الصغير .. لأنه فى الأساس يحبه ولا يريد إيذاءه .

إذن ماذا نفعل كآباء لمعالجة هذه الغيرة التى اشتعلت فى نفس الطفل الأكبر ؟

إن أهم ما يحتاج إليه هذا الطفل الغيور أن نتفهم مشاعره ولا نهاجمها .. حتى لا ندفعه إلى المزيد من الإحساس بالذنب وعدم الاطمئنان .

فمثلاً ، إذ فوجيء الأب بطفله البالغ من العمر ثلاث سنوات وهو يعتدى

على أخيه الصغير .. فإن عليه إيقاف هذا الاعتداء فورًا على أن يقول جملة يعبر من خلالها عن مشاعر ابنه فيقول :

- إن ما فعلته يدل على أنك لا تحب أخاك .

أو يقول له : يبدو أنك زعلان من أخيك الصغير .. تعال أرنى مدى ما يسببه من إزعاج لك .

ثم يعطيه والده عروسة كبيرة ، لكى ينفس فيها عن غيظه ، عندئذ قد يضرب الطفل اللعبة ، أو يضع إصبعيه فى عينيها ، أو يرميها على الأرض ويدوس عليها ، مهمة والده أن يراقبه بعين محايدة ، ويتجاوب معه بشفقة ، لكنه يجب أن لا يبدو عليه أنه فوجئ بعنف مشاعر ابنه العدائية ، إن الطفل هنا يعبر عن مشاعر صادقة فى نفسه ، وضربه لن يضر العروسة ، وأفضل لنا وله أن ينفس عن غضبه بهذه الطريقة ، بدل أن يوجهه إلى أخيه أو يعبر عن غيرته دون أن يشعر ، بالتبول اللا إرادى أو النوم القلق .

والأفضل أن يعلق الأب بجمل مختصرة بعد أن ينتهى طفله من ضرب اللعبة .

فيقول مثلاً : لقد علمت الآن كم يسبب أخوك من ضيق لك .

أو يقول له : إذا شعرت مرة أخرى بالغضب تعال قل لى ، لأساعدك على التخلص منه .

إن طريقة الأب فى مخاطبة ابنه ستجعل شعور الغيرة يتضاءل فى نفسه أكثر من عقابه أو اتهامه ، مثلما أخطأ والد على البالغ من العمر أربع سنوات عندما رآه يرفس أخاه الرضيع ، فانفجر فيه قائلاً :

- ماذا تفعل يا ولد ؟ هل تريد أن تقتل أخاك .. أو أن تجعله عاجزًا ؟ كم مرة قلت لك أن لا تلمسه ، فقط لا تلمسه ، هل فهمت ؟ .

وبالطبع دفع الأب بهجومه السلبى ابنه إلى الإحساس بالذنب والكراهية

لنفسه .. لأنه فكر فى أن يعتدى على أخيه .. بينما كان المفروض منه أن يحبه .

وكان الأحسن أن يتحدث معه والده بما يعبر عن مشاعره نحو أخيه فيقول : أنت تتمنى لو أن أخاك غير موجود .. حتى تكون أنت ولدنا الوحيد .

أو يقول له :

– ألاحظ أنك غاضب على أخيك إلى درجة تدفعك إلى ضربه ، أنا لا أسمح لك بأن تؤلمه ، إذا لاحظت أننى اهتممت به أكثر منك ، تعال قل لى حتى أنتبه وأوزع اهتمامى بينك وبين أخيك .

والواقع أن أولادنا لا يحتاجون منا أن نعاملهم معاملة متساوية تمامًا ، وإنما أن نعامل كل واحد منهم معاملة متميزة خاصة تتناسب مع صفاته الشخصية ، فالآباء الذين يحاولون أن يكونوا مثاليين فى مساواتهم بين أبنائهم ، سينتهى الأمر بهم إلى التوتر والإحباط ، فالحياة تصبح غير محتملة إذا حاول الأب مثلاً أن يفعل لولده الأول ما يفعله بالضبط مع ولده الثانى ، سيشعر طفل العاشرة بالظلم إذا نام فى الوقت الذى ينام فيه أخوه البالغ من العمر أربع سنوات ، فهو قد كبر ويريد أن يبقى وقتًا أطول ، إذن ، لا يستطيع الآباء أن يحققوا المساواة الكاملة بين أبنائهم ، لكن يستطيع كل أب أن يعامل كل طفل من أطفاله بأسلوب يتناسب مع عمره الزمنى ومميزات شخصيته ، وهو ما يريده الأطفال من آبائهم ، ما يهمهم هو نوع الحب الذى نمنحهم إياه ، لا المساواة التامة بينهم ، كل ما علينا كآباء هو أن نوضح لهم أن كل سن لها مطالبها ، لذلك لن نكون عادلين لو أننا عاملناهم جميعًا وهم فى أعمار مختلفة معاملة متساوية ، كما أن علينا أن لا نغرق فى نقاش لا نهائى معهم عن العدل وعدم العدل فى قراراتنا .

إن أهم ما يجب أن يحرص عليه الأب والأم عندما يجلس أحدهما مع

طفله ، هو أن يمنحه فى الوقت المخصص له اهتمامًا كاملاً ، لا يدع أحدًا يقطع عليه خلوته معه حتى لو كانت مكالمة تلفونية ، وسيعبر الطفل فى هذه الجلسة الخاصة عن مشاعره وميوله ، وما يمر به خلال يومه ، وسيتبادلان الآراء كالأصدقاء ، كل ذلك سيشعر الطفل بأن له مكانة خاصة فى نفس والده أو والدته ، فتقل الغيرة بين الإخوة وما يتبعها من مشاجرات يومية للحصول على حب آبائهم .

ابتعد عن التدخل فى شجار الأبناء

يحتار الآباء ويتضايقون .. عندما يتشاجر أبناؤهم .. هل الأفضل أن يتدخلوا بينهم ليحلوا مشاكلهم .. أم يدعوهم وشأنهم .. يحلونها بأنفسهم ؟

خبراء تربية الطفل ينصحون الآباء بعدم التدخل فى هذه المشاجرات .. وإذا استدعى الأمر تدخلهم .. فإن عليهم عدم إصدار الأحكام على أبنائهم .. لأن ذلك يشعل الشجار أكثر بينهم .. فالأم التى تلوم ابنها لأنه تشاجر مع أخته قائلة : عليك أن تحبها ، لأنها أختك .

أو أن تقول له :

– أختك الصغيرة طيبة معك .. لماذا أنت شرس دائمًا معها ؟

فإنها هنا جعلت من نفسها حكمًا .. أى أنها لامت ابنها ووقفت إلى جانب ابنتها ، وساهمت بذلك فى إشعال المشاجرة بين الأخوين .

والآن سأستعرض مثالاً يوضح الأثر السلبى لتدخل الأم فى شجار ابنيها .

ركض أحمد البالغ من العمر ٩ سنوات إلى أمه شاكيًا اعتداء أخيه عليه قائلاً : أمى .. ضربنى سامى فى بطنى .

قالت الأم : ألا أترككما دقيقتين وحدكما حتى تبدءان فى الشجار .. من الذى بدأ هذه المرة ؟

أجاب أحمد : هو الذى جاء إلى غرفتى .

قالت الأم لسامى : لماذا لا تترك أخاك وشأنه .. حتى لا تسبب لنفسك المتاعب .

قال سامى لأخيه : ما أكثر ماتئن .. أنا أكرهك ..

رد أحمد غاضبًا : أنت الذى بدأت .

وتدخلت الأم مرة أخرى قائلة :

– ابتعدا عن بعضكما البعض ، إذا كنتما لا تستطيعان البقاء معا دون شجار .

قال سامى : أنا لم أفعل أى شيء .. أنت دائمًا تلومينني أنا .

أجابت الأم : سامى ، أنا أعرفك جيدًا ، ألا تقوم بأى عمل مفيد تشغل به وقتك، بدل أن تتشاجر مع أخيك .. لاأريدكما أن تلمسا بعضًا بعد اليوم .

لو عدنا إلى استعراض الموقف ، لوجدنا أن الأم أخطأت عندما سألت طفليها قائلة : من بدأ هذه المرة ؟

لأنها عندما تسأل مثل هذا السؤال ، كأنها تتطلع إلى من الغالب ، ومن المغلوب، أى لابد أن يكون أحدهما خطأ والثانى على صواب ، وعندما تحدد الأم موقفها من شجار أطفالها بهذه الطريقة ، فإنها تبدو وكأنها تدعو أبناءها أيضًا إلى الاستمرار فى الشجار، ومن سيكون مغلوبًا هذه المرة سيغلب فى المرة القادمة ، كما أخطأت الأم أيضا عندما هاجمت ابنها سامى قائلة :

– ألا تستطيع أن تقوم بأى عمل مفيد بدل أن تتشاجر مع أخيك .

لأنها أثارت غضبه أكثر بسبب لومها له وعدم لومها أحمد .. ثم أشعلت ثورته أيضًا على أخيه لأنه اشتكى إلى أمهما .. وهذا الشعور لا يجعله راغبًا فى تطوير سلوكه .. ولماذا يفعل ذلك إذا كانت أمه ستلومه دائمًا ولا تلوم أخاه ؟ لذلك كان على هذه الأم ألا تتدخل فى مشاجرة ولديها ، ولا تحكم على سلوكهما ..

ولكى تتضح لنا مدى إيجابية تصرف الوالدين عندما يبتعدان عن إصدار الحكم على سلوك أبنائهم ، سأورد هذا المثال .

وقفت الأم فى المطبخ ، تعد كيكة للعائلة .. وأقبل ولداها كمال البالغ من العمر خمس سنوات ، وحسام الذى لا يتجاوز الثالثة من عمره .

قال كمال : أنا الذى طلبت الأول أن أضع الطحين .

قال حسام : لا .. أنا الأول .

علقت الأم قائلة : حسنًا .. سنقوم معًا بعمل الكيكة .

قال حسام : أنا أريد أن أكسر البيض .

رد كمال : لا .. أنا سأكسر البيض .

وكانت الأم ماهرة فى تعليقها ، عندما قالت :

« إذا كنتما غير قادرين على تقرير من سيكسر البيض .. سأقوم أنا بذلك .

احتج الطفلان على والدتهما .

قالت الأم : إذن ، دعونا نرى ماذا بقى من الكيكة لم نقم به ؟ .. سنحتاج لشخص يقيس الماء ويصبه .

اختار كمال قياس الماء ، وأراد حسام أن يكسر البيض ، وحل الطفلان المشكلة بينهما دون أن تتدخل الأم كحكم بينهما .

إن أغلب أنواع الشجار بين الأبناء سببه شد انتباه هؤلاء الأبناء لآبائهم .. ليدركوا من خلال تدخلهم أيهما أقرب إلى نفس والديه ، فليحذر الآباء من السقوط فى هذه المصيدة ، وليجعلوا تدخلهم فى حدود المعقول ، ودون إصدار أحكام مسبقة على أحد الطفلين حتى لا يشعر بالظلم ، وبالتالى لا يرغب فى تطوير سلوكه .

أنواع الغيرة بين الأبناء

تعد الغيرة بين الأبناء أحد الأسباب الرئيسية التى تؤدى إلى نشوب المعارك بينهم.. فيتضايق الآباء من ضجيجهم.. خصوصًا عندما تتكرر تلك المشاجرات وتستنفد طاقاتهم فى حل مشاكل أبنائهم.. ليعود الهدوء إلى البيت.

قد تأخذ أم لعبة لطفلها الأول .. وتعطيها لطفلها الثانى على أساس أنه كبر عن اللعب بهذه اللعبة .. لكن الطفل الأول لا ينظر إلى هذا التصرف على أنه أمر طبيعي .. لقد استولت أمه على شيء عزيز على نفسه لتعطيه لأخيه .. فينتهز أقرب مناسبة لاستثارة غضب هذا الأخ وتبدأ المعركة .

إحدى الأمهات اكتشفت خطأها عندما فعلت ذلك وأعادت اللعبة إلى طفلها الأول مع رسالة تضمنت عبارات تعترف من خلالها بشعوره :

ابنى العزيز على .

لقد أدركت عندما أخذت لعبتك وأعطيتها لأخيك أنى أخطأت فى حقك .. لأننى لم أستأذنك فى ذلك .. ولم أكن أعلم أنها تعنى الكثير بالنسبة لك .. أنا آسفة سأعيد إليك لعبتك .

احتضن على فى اليوم التالى أمه قائلاً فى سرور :

- أشكرك يا أمى لأنك أعدت لى لعبتى .

المطلوب إذن من الآباء البقاء خارج المشاجرات .. ولا يتدخلون إلا إذا كان الشجار سيؤدى إلى الإضرار بأحد الأبناء جسديًّا .

إحدى الطرق التى تساعدنا على معرفة نوع المشاجرات وأوقات وقوعها لكى نعمل على تفاديها فى حياتنا العائلية لعدة أيام .. هو أن نحتفظ بدفتر نسجل فيه متى يتشاجر أبناؤنا لا لنحاكمهم وإنما لندرك أسباب إثارة هذه المشاجرات.. وكيف يمكنهم البقاء هادئين.. عندئذ سنخرج بنتائج مدهشة .

إحدى الأمهات قامت بهذه التجربة لمدة يومين مع طفليها البالغ سنهما ٦ و ٧ سنوات ، لاحظت هذه الأم أنهما يتشاجران عندما تكون متواجدة معهما ، ويعود الهدوء إلى علاقتهما عندما يكونان وحدهما ، كما أنها لاحظت أنهما يتعمدان بقصد أو عن غير قصد إشراكها فى المشاجرة التى تدور بينهما واجبارها على أن تقف إلى جانب أحد الطرفين .

أم أخرى استطاعت أن تتغلب على هذه المشكلة عندما لم تتدخل ولم تقف إلى جانب أحد طفليها ضد الآخر .. لقد أجبرت نفسها على أن تحتفظ بهدوئها .. وبعد عدة أيام من تسجيل ملاحظاتها حول أوقات شجارهما ولحظات هدوئهما .. لاحظت أن شجارهما أقل تكرارًا وأقصر طولاً عندما لا تتدخل بينهما .. وقد نهضت فى يوم على صوت نقاشهما فى الغرفة الأخرى .

قال أحدهما للآخر : لن أسمح لك أن تحضر عيد ميلادى .

رد عليه أخوه: سأحضر سواء أردت أن أحضر أم لا.. أى غصب عنك.

أجابه أخوه بحدة : إذا حضرت ، لن أعطيك هدية .. وإذا أرغمتنى أمى على أن أعطيك هدية فستكون خالية .

رد عليه أخوه بثورة : أكرهك ، أنت أحمق وأبله .

لم تتدخل الأم عندما سمعت هذا النقاش بينهما مثلما كانت تفعل من قبل .. وبعد دقيقتين كان ابناها يلعبان معًا ويضحكان .

وخرجت هذه الأم بنتيجة قوامها أن طفليها يتمتعان بمثل هذه المشاجرات ، لأنهما كانا يلعبان معًا فى اليوم التالى ، ويقول الواحد منهما للآخر : إنه أفضل صديق له ، لقد اكتشفت هذه الأم أن ابْنَيْهَا يتشاجران الساعة الثالثة ويتراضيان الساعة الخامسة .. ثم يتخاصمان الساعة السادسة ليتصالحا الساعة الثامنة ويصبحان أصدقاء فعلاً عندما لا تتدخل بينهما .

وسائل تخفيف المشاجرات بين الأبناء

يحتاج الأبناء أحيانا إلى أن يخصص الأب أو الأم لكل واحد منهم وقتًا قصيرًا ، يكون خلاله الابن مركز اهتمامها ، على أساس أنه شخص مستقل ذو صفات متميزة .. إلا أن الأخ الآخر لا يسمح لأخيه بهذا الحق .. فيقحم نفسه فى هذا الوقت الخاص .. هنا على الأب أو الأم أن يمنعا طفلهما من ذلك الاقتحام .. لأنه تعدى بذلك على وقت أخيه وعليه أن ينتظر حتى يأتى دوره .

إن إصرار الوالدين على تخصيص هذا الوقت لكل طفل على حدة .. سيقلل كثيرًا من خصام الأبناء الصغار مع بعضهم البعض للحصول على اهتمام آبائهم .

ومعنى أن يخصص أحد الوالدين وقتًا لطفله أن يقضى معه عشر دقائق كل يوم أو يومين .. يقرأ معه خلاله قصة أو أن يحادثه أو يلعب معه أو يسير معه ويتحدث عن أمور تهمه .. ويبلغ حرص بعض الآباء على تخصيص هذا الوقت لأبنائهم إلى درجة أنهم لا يستلمون مكالمات تلفونية أثناءه .. حتى ينسجم مع طفله ، وسنرى بالتدريج أن ذلك سوف يقلل من الخلافات الناتجة عن الغيرة بين الأبناء ، لأنه سيشعر الطفل بأن له مكانة خاصة فى نفس والديه .

ولنوضح مدى أهمية هذا الوقت بالنسبة للأبناء سنورد هذا المثال الواقعى .

هدى أم لطفلين توأمين فى السادسة من عمرهما .. قامت بتخصيص وقت محدد لكل واحد منهما .. تركز خلاله اهتمامها عليه .. فينطلق فى الحديث معبرًا عن مشاعره .

وفى يوم سألت ابنها : ما هى أكثر الأشياء قربًا من نفسك ؟

قال : عيد ميلادى .

قالت الأم : وما هى أكثر الأشياء كرهًا إلى نفسك ؟

قال الطفل : عندما يأخذ أخى اهتمامك .

قالت الأم : يبدو أنك تريد أن تأخذ اهتمامى كله ؟

أجاب الطفل : أتمنى لو أنى أستطيع أن أتخلص من أخى .. أو أدفعه خارج الغرفة .

سألته الأم : وهل تريد أن تبقى معى طوال الوقت ؟

رد ابنها : لا ، أريد أن أبقى بعض الوقت .

إذن ، تخصيص الأم لطفلها وقتا قصيرًا ، يعبر خلاله عن مشاعره ، سيشعره بمدى أهميته لدى أمه ، وبالطبع سيقلل ذلك الشعور من مشاجراته مع أخيه . إعادة كلام الطفل وهو يتشاجر مع أخيه وسيلة أخرى يستطيع بها الآباء معالجة المشاجرات التى تشب بين الأبناء .. ولكن يستطيع الآباء فهم هذه الطريقة وتطبيقها .

سأستعرض هذا المثال العملى :

فكر أب فى طريقة يعالج من خلالها مشاجرة بين ولديه .. فوجد أنه عندما أخذ يعيد كلام ابنه للابن الآخر دون أن يصدر حكما على أحدهما جاء بنتيجة إيجابية . اشتكى حسام البالغ من العمر ٣ سنوات لوالده ضرب أخيه الأكبر عادل له قائلاً :

– أبى ، عادل ضربنى .

قال الأب : عادل تعال هنا ، حسام يقول : إنك ضربته .

قال عادل : لا ، حسام يكذب ، أنا لم أضربه .

قال الأب لحسام : عادل يقول : إنه لم يضربك .

رد حسام : لا ، هو الذى يكذب ، أحلف أنه ضربنى .

أجاب الأب بحزم وهو يضع قاعدة على أبنائه الالتزام بها .

- حسنًا ، الضرب أمر غير مسموح به فى هذا البيت ، هل سمعتم ؟

عاد حسام يشد لعبة عادل ليأخذها .

قال عادل لأخيه : لا تلمس لعبتى .

أجاب حسام متحديا : بل سألمسها ، وآخذها منك .

قال عادل : هذه اللعبة ملكى .. لن تستطيع أن تأخذها

تدخل الأب قائلا : عادل ، حسام يريد أن يمسك لعبتك .

رد عادل : لا ، لا أريد أن أعطيه ، هذه لعبتى .

قال الأب : حسام ، عادل يقول : إنك لا تستطيع أن تأخذ لعبته .. هل يمكنكما أن تحلا مشكلتكما معًا ؟

واندهش الأب عندما رأى ابنه حساما يحاول أن يحل المشكلة قائلاً :

- عادل .. هل أستطيع أن آخذ لعبتك لدقيقة واحدة .

رد عادل : لا ، هذه اللعبة ملكى .

كرر الأب رفض عادل قائلاً : حسام ، يبدو أن عادل غير مستعد لإعطائك اللعبة .. إذا استعد ، سيعطيك إياها . نظر عادل إلى والده فى دهشة من رد فعله .. وبعد لحظات قدم اللعبة إلى حسام . إذن إعادة الأب لحديث أبنائه جعله يقف موقفًا محايدًا وشجع الأبناء على أن يحلوا مشكلتهما معًا دون أن يتطلعوا إلى أبيهم لفك مشاجرتهما .

تسجيل مشاجرات الأبناء

يتجه بعض الآباء إلى تسجيل مشاجرات أبنائهم .. لكى يخففوا من حدتها .. حيث يشعر أبناؤهم بالخجل من التلفظ بألفاظ نابية أو من علو أصواتهم الغاضبة عندما يسمعونها مسجلة .. فيعمدوا إلى تخفيفها .. فيقل عنف الشجار فيما بينهم .

وهناك أيضا وسيلة أخرى لمعالجة معارك الأبناء .. تقوم على تسجيل الأب أو الأم كتابيا ما يدور من شجار بينهم فتقول الأم مثلاً :

– دعونا نكتب هنا سبب شجاركم .. منى ، اكتبى ماذا فعل بك محمد .. وأنت يا محمد اكتب شكواك من منى .

ستلاحظ الأم عندئذ أن المعركة قد هدأت ولم يدفعها أحد أبنائها لكى تكون حكمًا بينهم طريقة أخرى تخفف الشجار ين الأخوة ، تتلخص فى أن تكتب الأخت الغاضبة مشاعرها نحو أخيها فى رسالة .

كتبت سعاد إلى أخيها أحمد قائلة :

عزيزى الأحمق أحمد :

كيف حالك .. أتمنى أن لا تكون بخير .. هل تعلم ماذا يفرحنى ؟ .. أن أضربك لكمة تجعل أنفك يسيل دمًا .. وأسنانك تتكسر .. ثم أرفسك لأشعر بالسعادة .

أختك التى لاتحبك

سعاد

وبالطبع لا ترسل سعاد هذه الرسالة إلى أخيها .. وإنما ستشعر أن غضبها قدر زال بعد أن أفرغت بهذه الوسيلة ما فى نفسها من غضب على أخيها .. وسنرى سعاد تلعب مع أخيها فى المساء وكأنه من أعز أصدقائها .

ويلجأ بعض الآباء إلى تشجيع أبنائهم لكى يفرغوا شحنة غضبهم على إخوتهم بطريقة أخرى لتخفيف المشاجرات ذكرتها إحدى الأمهات قائلة :

– اشتريت مخدة خاصة للضرب لابنى ، ليفرغ فيها شحنة غضبه على أخيه عندما يضايقه .. واستطعت بذلك أن أخفف مشاجرات أبنائى .

ورغم أن الآباء يكرهون شجار أبنائهم .. إلا أن له جوانب إيجابية قد لا يشعرون بها ، لكنها تفيد هؤلاء الأبناء ، فهم يتعلمون كيف يتعاملون مع الآخرين مستقبلا من خلال احتكاكهم ببعضهم البعض .

ورغم ما تحمله مشاجرات الأبناء من مشاعر متوترة.. إلا أن أكثرها وضوحًا الرغبة فى الجدال والشعور بالغيرة.. لأنهم يعبرون عنهابصوت مرتفع.

كما علينا أن لا ننسى ، بأن هذه المشاجرات تتيح لهم فرصة التعبير عن عواطفهم المختلفة ، التى قد تدهشنا فى بعض الأحيان بسبب تناقضها نحو بعضهم البعض ، حيث يلعن الأخ أخاه وبعد عدة دقائق نراه يلعب معه بسعادة .. لذلك يفضل خبراء التربية أن نكون محايدين .. حتى يتجاوز أبناؤنا صراعاتهم بشكل طبيعى ليستعيدوا علاقاتهم الحميمة فيما بينهم .. وسيدركون عندئذ أن فى علاقات الأبناء يتعايش الحب والغضب معًا .. كما لاحظت هذه الأم من خلال حوار دار بينها وبين ابنها البالغ خمس سنوات عندما سألها بسبب غيرته من أخته قائلاً :

– من تحبين أكثر .. أنا أم أختى ؟

ردت الأم : أحبكما معًا .

قال لها ابنها بإلحاح : لابد أن تحبى واحدا منا أكثر من الآخر .

سألته أمه : من تظن أنت ؟

رد عليها هامسا : أظن أنك تحبيننى أكثر .. لكن لا تدعى أختى تعلم بذلك .. حتى لا تجرحى شعورها . إذن ، على الآباء أن يساعدوا أبناءهم

على أن يدركوا بأن مشاعر الحب والغيرة هى مشاعر طبيعية ومقبولة .. وعندما يعود الآباء أبناءهم على إيجاد حلول لمشاكلهم بأنفسهم .. فإنهم يعدونهم بذلك للتعامل مع علاقاتهم المستقبلية وهم كبار .. كما أن على الآباء أن يدعموا المشاعر الإيجابية بين أبنائهم ، ويساعدوهم على التعامل بسهولة مع مشاعرهم السلبية ، مثلما فعلت هذه الأم التى لاحظت أن طفلها الأكبر ذهب ليأتى ببطانية أخيه المفضلة عندما طلبها .. فمدحته قائلة :

– أخوك محظوظ لأن لديه أخًا مثلك.. يفكر فيما يحتاجه ويأتى له به .

أى أنها رسخت بمديحها لطفلها مشاعره الإيجابية نحو أخيه .

وتذكر أحدى الأمهات فى إحدى ورش العمل التى تعقد للآباء فى أمريكا .. مهارة أمها فى التعامل مع مشاجراتها مع إخوتها قائلة :

– كنت فى الثامنة من عمرى ، وكان أخى فى سن الثالثة ، عندما أنجبت أمى طفلها الثالث .. كان واضحا لدينا أن هذا الأخ يغار كثيرًا من أختى الجديدة .

وفى يوم ، فوجئنا بصراخ أختى ينطلق عاليًا من غرفتها .. فركضنا أنا وأمى إليها لنجد سريرها المعلق مرميًا على الأرض وأختى بداخله تبكى ، وأخى بجانبها وقد بدا الخوف على وجهه .. إلا أن أمى لم تصرخ فى وجهه وتتهمه بالاعتداء على أخته .. وإنما أخذت الطفلة ووضعتها فى حضنه قائلة :

– انظر إليها .. كم تبدو صغيرة وضعيفة .. بينما أنت كبير وقوى. .. إن أختك بحاجة لك لكى تحميها لسنوات كثيرة قادمة ، وأنا واثقة بأنك ستكون معها لطيفًا جدا .

واستمع أخى إلى حديث أمى ولم يقل شيئًا .. لكنه اصبح صديقا حتى اليوم .

لقد كانت هذه الأم ذكية عندما تغلبت على غيرة ابنها من أخته .. فلم تشعره بالذنب لما فعله معها .. وجعلته يدرك أنه يستطيع أيضًا أن يحب أخته بقولها :

– أنت كبير وقوى .. وأختك بحاجة لك لكى تحميها .

عندئذ شعر الأخ بأن مشاعره الإيجابية نحو أخته ، بدأت تزهر فى نفسه .. وازدادت ازدهارا مع الأيام .

العدل والمساواة بين الأبناء

يعتقد بعض الآباء أن العدل والمساواة فى معاملة الأبناء ، سوف يضع حدًّا للنقاش والمشاجرة بينهم حول ما يريد أن يحصل عليه أحدهم أكثر من الآخر أو قبله .. وأيهم أفضل لدى آبائهم .. إلا أننا مهما بذلنا من جهد لكى نكون عادلين .. فإننا لن ننجح أبدًا .. وحتى لو صدقنا أننا حقا عادلون ، فإن أطفالنا لن يوافقونا على ذلك .. ومادمنا قد علمنا عدم نجاح أى من الآباء فى مسألة العدل والمساواة بين الأبناء فالأفضل إذن عدم تطبيقها .. لأن كل طفل يختلف بشخصيته عن الآخر .. كما أن كل سن تتطلب معاملة تتناسب مع العمر الزمنى والعقلى للطفل .

وسوف ندرك من خلال تجربة هذه الأم ، كيف فشلت فى تطبيق المساواة والعدل فى معاملتها لولديها رشاد ومحمد .

قال رشاد لأمه : هذا ليس بعدل ، كيف تسمحين لمحمد أن يذهب مرتين للتزحلق على الجليد ، وأنا لم أذهب إلا مرة واحدة .. دعينى أذهب عندما أشفى من مرضى .

أجابت والدته : لا تقل لى ماذا على أن أفعل .. هذه ليست غلطتى أن تصاب بالحصبة ، وعليك أن لا تلوم أحدًا ، كم مرة ذهبت أنت للتزحلق على الجليد فى الأسبوع الماضى ؟

أجاب رشاد : مرتين

قالت الأم : وكم مرة ذهب محمد ؟

قال الابن : مرتين .

ردت الأم وهى تؤكد عدلها بين ولديها :

– لا ، لم يذهب إلا مرة واحدة ، اترك الحماقة عنك .

رد رشاد : أنت غير عادلة ، ولا يهمك شعورى .

إذن ، مادامت هذه الأم قد قررت أن تعامل ولديها بطريقة متساوية .. فإنها لن تنتهى من محاولة الإثبات لهما بأنها عادلة ، لأنهم سيظلون يحسبون عليها عدد المرات التى سمحت لكل منهما القيام بما يريد ، وكيف حصل أحدهما أكثر من الآخر .. وسيحاول كل منهما أن يحصل على مثل ما حصل غيره دون أن يضع فى اعتباره فرق السن بينه وبين أخيه .

الحل إذن ، إذا اشترت الأم كتابًا أو لعبة لابن ولم تشتر للآخر فإن عليها أن تقول له : أنت تتمنى لو جئت لك أيضًا بلعبة .. فى المرة القادمة إذا رأيت شيئًا مناسبًا لك ، سأفاجئك به .

«جون ويس» أحد الخبراء فى مجال تربية الأطفال ذكر فى كتابه « ابنك الثانى » ما يؤكد عدم إمكانية تحقيق العدل الكامل بين الأبناء حيث قال :

– برغم أن الأطفال يذكرون أمام آبائهم أنهم يريدون العدل والمساواة ، إلا أنهم لا يقبلون به عند تطبيقه عليهم فى شئون حياتهم اليومية .. ومن الصعب على الوالدين أيضًا تطبيقه .. لقد أثبتت التجارب التربوية أن تحقيق كل شىء بشكل متساو ، بين الأبناء لا يمنع الشجار بينهم ، والسبب أن الإخوة لا يتعاركون بسبب ما يعطيه الوالدان لأحدهم دون الآخر ، وإنما من أجل التأكد من حصولهما على حبهم .. لذلك من الأفضل بدل أن نكون عادلين فى جلب الأشياء لأطفالنا .. هو أن نعامل كل طفل على حدة بما يتناسب مع شخصيته ، إذا جاء الأب بدراجة لابنه فى عيد ميلاده الرابع ليس من الضرورى أن يأتى لابنه الأصغر بدراجة فى عيد ميلاده .. إذ ربما يفضل هذا الابن الحصول على بيانو أو جيتار .. فالأطفال لا يتشابهون فى أذواقهم ، لذلك فهم لا يريدون أشياء متشابهة ، كل واحد منهم يريد هدية تتناسب مع ذوقه .. وسنرى أننا سنحاول الاستفادة من أخطائنا مع

الابن الأول بأن نتفاداها مع الابن الثانى ، وهكذا بالنسبة للطفل الثالث ، وقد يكون من السهل وقوع الوالدين فى مصيدة الحرص على معاملة الأبناء بالتساوى .. لكن ذلك غير ضرورى .. بل إنه مستحيل .

عبرت إحدى النساء عن شعورها نحو ما كانت أمها تقوم به من مساواتها بأختها قائلة :

- كان على أن أذهب دائمًا إلى النوم مع أختى رغم أنى أكبر منها ، وعندما أصبحت قادرة على أن أضع أحمر الشفايف ، سمحت أمى لأختى بنفس التصرف .. كنت أكره فى تلك اللحظات هذه الأخت ، وأكره مساواتها بى ، لأن لكل منا شخصيتها المختلفة عن الأخرى .. كما أن أعمارنا مختلفة فكيف تحصل أختى على ما أحصل عليه دائما ؟

وكان والد محمود ماهرًا فى تعليقه على احتجاج ابنه البالغ من العمر ٨ سنوات لبقاء أخيه البالغ من العمر ١٠ سنوات أكثر منه بساعة عندما قال له : أعتقد أنك تستطيع الانتظار حتى تبلغ العاشرة من عمرك لتبقى حتى الساعة التاسعة مثل أخيك .

بدل أن يقول له : أخوك فى العاشرة وأنت فى الثامنة .

لأنه عندما فعل ذلك جعل ابنه يتطلع بأمل للوصول إلى سن العاشرة دون أن يشعر بتقليل شأنه لأنه فى سن الثامنة .

وكانت ندى أم ذكية عندما أجابت ابنها الذى سألها أيهم أحب إليها من إخوته الثلاثة قائلة :

- أحبكم جميعا .. لأنكم مثل أصابعى كل واحد منكم يختلف عن الآخر .. لكننى أحتاج إليهم جميعًا لأقوم بعملى .

الفصل الخامس

كيفية تحكم الآباء فى غضبهم على أبنائهم

كيف نواجه غضبنا على أبنائنا ؟

عندما نغضب على أطفالنا ، نثور عليهم ، وقد نحقرهم بعباراتنا فنجرح مشاعرهم أو نعاقبهم ، لأنهم يدفعوننا بسوء سلوكهم وعنادهم إلى الشعور بالضعف وعدم القدرة على مواجهة الموقف الناتج عن تصرفهم السلبى .

إلا أن علينا ، لكى ينمو أطفالنا أصحاء نفسيًّا ، أن نقاوم مشاعر الانتقام ونحن غاضبون عليهم ، لأن هدفنا الرئيسى هو تطوير سلوكهم لا خلق صراع مؤلم بيننا وبينهم سنجد أنفسنا بعده أكثر قلقًا وضيقًا .

وقد نخاف من مشاعر غضبنا نحو أبنائنا ، لأنها صادرة منا نحو أعز الناس إلى قلوبنا ، بل ونلوم أنفسنا لأننا انسقنا وراء العبارات الجارحة ، التى وجهناها إليهم ونظن أن هناك خطأً ما فى نفوسنا يجعلنا ننفجر غاضبين هكذا .. لكن الواقع هو أن ما يحدث للآباء أمر طبيعى يواجهه كل والدين فى حالة اليأس وسط عناد الأطفال وأنينهم وانسياقهم وراء تصرفاتهم السلبية .

ولا يعلم بمدى ما يعانيه الآباء إلا من أنجب أبناء وأدرك خطورة المسئولية الملقاة على عاتقه ، الأمر الذى يدفعه إلى البحث عن الوسائل السليمة فى تربيتهم لكى ينشئوا أصحاء نفسيا .

ترى ، ما هى هذه الوسائل البديلة لذلك الغضب السلبى ؟

سنستعرض ثلاثة طرق بديلة ، مع عرض بعض النماذج العملية التى تساعدنا على تطبيقها مع أطفالنا .

الطريقة الأولى : تتلخص فى التعبير عن مشاعرنا لأطفالنا وقت الغضب بدلاً من توجيه اللوم إليهم ، وتتطلب هذه الطريقة من الآباء أن يستخدموا عبارات قوية ومختصرة فيقول الأب الغاضب لابنه مثلاً :

– أنا غاضب جدًّا من تصرفك ليلة البارحة عندما جئت متأخرًا .

ويستطيع الأب أن يضيف جملاً أخرى عما يتوقعه من ابنه فيقول له :

– كنت أتوقع منك أن تدرك الوقت المناسب للعودة إلى البيت مثلما حددته لك من قبل .

وعندما تذكر مشاعرك وما تتوقعه من ابنك ، لا تذكر أى شيء يتعلق بشخصيته مثلما يفعل بعض الآباء ، عندما يصرخ على ابنه غاضبًا .. « تعال يا دب » أو « لماذا تأخرت يا كلب » أو « أنت حمار لا تفهم » .

ولنستعرض مثالاً يوضح لنا مساوئ الأسلوب السلبى ، وكيفية معالجة نفس الموقف بالطريقة الإيجابية التى ذكرتها .

صرخت الأم فى وجه ابنتها ليلى :

– انظرى إلى الفوضى التى فى غرفتك .. إنها أشبه بحظيرة للخنازير .. إنك تزدادين فوضى وقذارة مع الوقت ، لماذا لا تعلقين ملابسك ، لن أشترى لك أى ثياب أخرى ، إذا كنت ستلقينها بإهمال حولك هكذا .

ردت ليلى مدافعة عن نفسها قائلة :

– لماذا لا تنتقدين أخى خالد ، إن غرفته أكثر فوضى من غرفتى ، أنت لئيمة ولا تحبيننى .

صفقت الأم الباب بغضب وهى خارجة من الغرفة .. مهددة ابنتها أنها لن تشترى لها أى ملابس أخرى .

ربما تكون الأم محقة فى غضبها ، لكن مواجهتها للموقف بهذه الثورة العارمة لا تعد طريقة إيجابية تساهم فى تطوير سلوك ابنتها ليلى مستقبلاً .. فهى أولاً هاجمتها قائلة :

– إن غرفتك أشبه بحظيرة للخنازير ، إنك تزدادين فوضى وقذارة مع الوقت .

ثم هددتها بأن قالت لها : إنها لن تشترى لها ثيابًا أخرى .. وانتقل غضبها إلى ابنتها ، فأصبحت هى الأخرى غاضبة ، ولم تسمع الرسالة التى كانت أمها تريد إيصالها لها وهى تنظيف غرفتها .. ولو اختارت والدة ليلى جملاً عبرت من خلالها عن شعورها إزاء غرفة ابنتها الغير مرتبة .. لكانت طريقتها أكثر إيجابية فى تحسين سلوكها ، إذ تقول مثلاً :

– أنا متضايقة من ملابسك المنثورة فى أنحاء الغرفة .

وحتى لو لم تضمن الأم تمامًا أن ابنتها ستنهض فورًا لتنظف غرفتها ، إلا أنها لن تدافع عن نفسها قائلة :

– لماذا لا تنتقدين أخى خالد .. إن غرفته أكثر فوضى من غرفتى .

وستفكر بعد خروج أمها فى وضع خطة تمكنها من جعل غرفتها أكثر نظامًا مما يجعلها تتفادى غضب والدتها مرة أخرى .

إننا بذلك الأسلوب نستخدم أكثر طاقتنا الغاضبة بطريقة إيجابية ، كما أننا من الأفضل أن نبدأ تعليقنا بكلمة « أنا » أو « دمى يفور عندما » بدل أن نستخدم كلمة « أنت » .. لأنه سيصبح وكأنه هجوم على شخصية الطفل .. وسيكون رد فعله قائما على إحساسه بأنه مجروح ومقهور وغير راغب فى حل المشكلة .. كما أن من الأحسن استخدام الجمل القصيرة بدل الطويلة لأنها أكثر تأثيرًا على الطفل .. إذ أنها توحى بالسلطة التى يمثلها الوالدان .

ابتعد عن طفلك وقت الغضب .. ثم ناقشه

ابتعد عن طفلك قليلاً .. إذا غضبت ، لكى تسترجع هدوء أعصابك .. فتتفادى تجريحه وإهانته ، وتستطيع توصيل رسالتك له بطريقة إيجابية .

ولنضرب مثالاً عمليًا .. لنتعرف على كيفية استخدام هذا الأسلوب التربوى . حياة فتاة فى العاشرة من عمرها .. نهضت من النوم .. ولم ترتب سريرها ، ثم أخرجت بعض ملابسها وتركتها مرمية على الكرسى .. تضايقت أمها من فوضويتها .. وأرادت أن تعودها على ترتيب غرفتها فقالت لها :

– حياة .. لماذا تتركين غرفتك فوضى هكذا ؟ .. هيا رتبى سريرك .. وعلقى ملابسك .

ردت الابنة : هذا عمل الخادمة .. نحن ندفع لها راتبًا لتقوم به .

أجابت الأم وقد أخذت تشعر بالثورة تسرى إلى نفسها :

– الخادمة تقوم بترتيب البيت مرة واحدة فى اليوم .. أما بقية اليوم ، فإن هذه غرفتك .. وأنت مسئولة عن ترتيبها .

وخرجت من الغرفة لكى لا تفقد أعصابها وتبدأ فى تجريح ابنتها .. وعندما هدأت عادت إليها ، وقالت :

– الآن أستطيع أن أناقش معك هذا الأمر ، أريدك أن تعلمى أمرًا وتطبقيه مستقبلاً ، ما دمنا نعيش فى هذا البيت .. فإن لكل واحد منا واجبًا يقوم به لكى نتعاون على أن يكون منزلنا مرتبًا ، إذا كنت لا تريدين ترتيب غرفتك .. فسأختار لك عملاً آخر تقومين به .. ماذا تختارين ؟ .

تراجعت الابنة قائلة :

– أختار ترتيب فراشى وغرفتى ، حتى تبدو مرتبة وجميلة .

أحيانًا يتعب الآباء من تكرار هذه المواقف الغاضبة مع أبنائهم عندما يقومون بتذكيرهم يوميًا بواجباتهم ، فماذا يفعلون ؟

قال أحد الآباء : تعودت أن أبتعد عن ابنى عندما أغضب عليه ، أدخل إلى الحمام لأستحم ، أو أفتح الراديو على أى موسيقى كلاسكية .. أفعل أى شىء يبعدنى عن جو الغضب .. ثم أعود له لأناقشه ، وأخرج معه دائمًا بنتيجة إيجابية .. تحسن سلوكه .

تقول إحدى الأمهات : عندما يزداد الضغط على نفسيتى .. أدخل إلى غرفتى وأبكى وحدى ، فأشعر بالراحة .. وأعود مرة أخرى إلى أبنائى لمتابعة أداء واجباتهم اليومية حسب المطلوب . أم أخرى قالت : إنها تدخل غرفة المكتب .. وتكتب عدة ملاحظات عن ابنها .. تعبر من خلالها عن كل ثورتها .. ثم تعود إليه لتناقشه بهدوء حول العمل الذى طلبت منه أن يقوم به وعاندها فى أدائه ، وتقول : إنها كانت فى كل مرة تخرج بطريقة إيجابية تساعدها على توطيد علاقتها بابنها ، بدل المشاحنات والكلام الجارح الذى كانت تنهال به عليه عندما يعاندها ويغضبها فتزداد ثورته ، ولا تصل معه إلى طريقة تساهم بها فى تطوير سلوكه .

إذن ، الابتعاد عن أطفالنا وقت الغضب يمنحنا فرصة لنعبر عن غضبنا بطرق لا نندم عليها فيما بعد .

وهذا مثال آخر نستعرضه ، يعلمنا كيفية استخدام هذا الأسلوب التربوى .

أصر محمد البالغ من العمر خمس سنوات ، أن يلبس قبعة اشتراها له والده للمدرسة .. كانت الأم تعلم أن قوانين مدرسة ابنها تمنع التلاميذ من ارتداء القبعة فى الفصل ، لكنه صمم على ارتدائها رغم معارضة والدته بقولها :

– أنت تعلم أن قوانين المدرسة لن تسمح لك بارتداء هذه القبعة .

رد عليها : أرجوك يا أمى ، أريد أن أرتدى قبعتى فى المدرسة .

أجابت الأم : لكن المدرسة سوف تمنعك ، أنت تعلم أن المدرسات يعاملن جميع الطلبة معاملة متساوية .

رد الابن غاضبًا : إذن لن أذهب إلى المدرسة .

أجابت الأم وهى غاضبة : الأفضل أن لا تذهب .

فرح محمد لرضاء أمه على عدم ذهابه إلى المدرسة فسألها :

- هل أستطيع أن ألعب فى حديقة البيت ؟

ردت عليه والدته بحزم :

- إذا لم تذهب إلى المدرسة ، فإنك سوف تبقى طوال اليوم فى غرفتك ، لن تلعب فى الحديقة ، أو تشاهد التلفزيون ، أو تلعب مع أصدقائك .

وعندما شعرت أن غضبها قد ازداد .. خرجت فورًا من الغرفة ، وبعد أن هدأت عادت إليه ، وبدأت معه حوارًا هادئًا :

قالت له : دعنا نتحدث عما دار بيننا منذ قليل .. هل تريد حقا ارتداء القبعة فى المدرسة حتى تبدو كالأبطال ؟

هز الابن رأسه بالإيجاب .

ردت الأم : أظن أن ما ستفعله سيشعرك بأنك قوى ، وأنك متميز بلبس قبعة غيرك لا يرتدى مثلها .

قال الابن : نعم .

قالت الأم : هل ارتديت جاكيت المدرسة لنذهب ؟

قال محمد : نعم .. هيا بنا .

لقد أحسنت الأم التصرف ، لأنها عندما شعرت بتزايد غضبها ، خرجت من الغرفة وسألت نفسها هذا السؤال :

– هل من المفروض أن أتحكم فى تصرفات ابنى فى المدرسة ، هذا ليس من واجبى وإنما هو واجب المعلمة ، وستقوم به على أفضل وجه ، لأنها ستمنعه من ارتداء القبعة فى الصف ، فلماذا إذن أغضب ؟

وهذا ما حدث بالفعل ، حيث منعت المدرسة محمدًا من ارتداء القبعة فى الفصل واستسلم لما أمرته به طائعًا .

لا تمس شخصية ابنك وأنت غاضب

نظرًا لأهمية مواجهة غضبنا على أبنائنا بالتعبير عنه بالكلام دون المساس بشخصية الطفل ، سأورد مثالاً آخر يوضح لنا كيفية استخدامه .

باسل طفل فى الثالثة من عمره ، دخل أحد المحلات مع والدته ، ألح عليها لكي تشترى له بعض الحلوى .. وكان الوقت قريبًا من وجبة الغذاء ، لذلك رفضت أمه شراء ما يريد .. لكنه أصر على طلبه ، وبدأ يئن ، فأخذ غضبها يتزايد ، لكنها كتمته ، وعالجت الموقف بمهارة فماذا فعلت ؟ .

قال باسل لأمه وهو غاضب :

– أنت لعينة وحمقاء ، إذا كنت لا تشترين لى هذه الحلوى ، أنا أكرهك .

واختارت أمه ردًا لا يجرح شخصيته ، حيث قالت :

– سأزعل جدًا .. إذا شتمتنى هكذا .

رد عليها ابنها : أنا لا يهمنى .. أنت كريهة وغبية .

أجابت أمه بطريقة حازمة :

– أنا لا أسمى بهذه الأسماء ، ولا أشعر حتى أننى أريد أن أستمع لشخص يحدثنى بهذه الطريقة .

قال باسل غاضبًا :

– وأنا لا أريد أن أكلمك أبدًا بعد الآن .

أجابت والدته : أنا أعلم أنك غاضب جدًا الآن ، ربما شعرت أنك تريد أن تتكلم معى فيما بعد .

وواصلت سيرها إلى مكان دفع النقود وباسل يتبعها .. وفى طريق العودة إلى البيت قال لها ابنها :

– ماما ، أنا آسف لأننى ناديتك بهذه الأسماء ، هل لازلت غاضبة منى .

نلاحظ فى هذا الموقف أن أم باسل لم تغضب عليه عندما أساء التصرف .. وإنما تجاوبت معه بأسلوب هادئ .. لكنها استطاعت به أن تطور سلوك ابنها .. وهو ما نهدف إليه عندما يثير أطفالنا غضبنا بتصرفاتهم السيئة ، فهى رغم غضبها الداخلى لما أطلقه عليها ابنها من أوصاف .. إلا أنها كتمت غضبها وردت عليه بإجابات قصيرة بما تشعر به قائلة :

– سأزعل كثيرًا .. إذا شتمتنى هكذا .

وكانت تستطيع عندما شتمها قائلاً : إنها كريهة وغبية بأن ترد عليه غاضبة :

– كيف تجرؤ وتطلق على هذه الأوصاف يا قليل الأدب .

إلا أنها اختارت أن تعبر عن شعورها نحو سلوكه السلبى معها بجمل قصيرة دون أن تجرح شخصيته ..ثم أحسنت القول عندما أشعرته بمشاركتها مشاعره .. عندما قالت له :

– أنا أعلم أنك غاضب جدًا الآن .. ربما شعرت أنك تريد أن تتكلم معى فيما بعد .

لقد تأكد ابنها أنه لن ينال ما يريد بهذه الألقاب السيئة التى يرميها فى وجهها ، وقد خجل من نفسه فى طريق العودة إلى البيت ، واعتذر لأمه وطلب رضاءها عنه والأبناء يريدون دائمًا رضاء آبائهم عليهم .

ولكن لنفترض أننا طلبنا من الطفل أن يعبر عن غضبه بالكلام بدلاً من الركل والضرب والأنين ، فعبر عنه بكلام وقح ضايقنا ، على الأم عندئذ أن لا تثور على ابنها ، وإنما توضح له أنها لا تحب أن تسمع مثل هذه الألفاظ لكى يبتعد عنها ، لأنها إذا عاقبته ، وهى التى طلبت منه التعبير عن غضبه ، لن يثق بها مرة أخرى ، ولن يعبر بالكلام عن ذلك الغضب ما دام سيعاقب عليه .

كما أن كثيرًا ما يقول الطفل لأمه أثناء غضبها :

- أنت لا تحبيننى .

وغالبًا ما ترد عليه الأم :

- بالطبع .. أحبك . بينما هى فى الحقيقة لا تشعر بهذا الحب بسبب شدة غضبها ، فيشعر ابنها بذلك ، ولا يستطيع أن يصدقها ، لذلك من الأفضل أن تقول له فى مثل ذلك الموقف :

- أنا أشعر حاليًا بالغضب من تصرفك .. ولا أريد أن أتكلم عن الحب وإنما عن الألعاب التى لم تضعها فى مكانها بعد أن انتهيت منها ، وضربك لإخوتك الذى يجب أن يتوقف .

وعندما يزول غضب الأم فيما بعد ، تستطيع أن تقول لطفلها : إنها لا تحب تصرفاته السيئة ، لكنها تحبه هو كثيرًا ، وهذا ما يريد ابنها أن يشعر به لتطمئن نفسه ، ويسعى إلى تطوير سلوكه .

كيف نقبل اعتذار أطفالنا أثناء الغضب ؟

مثلما يتقبل أطفالنا اعتذارنا عندما نخطىء فى حقهم .. علينا نحن أيضا أن نقبل باعتذارهم ، فهل يفعل كل الآباء ذلك ؟ لا أعتقد ، إذ لا يمنح الكثير منهم طفله فرصة للاعتذار ، حتى يقوم بتحسين سلوكه .. ووالدة عائشة من هذه الفئة من الآباء ، فماذا فعلت ؟

قالت الأم لابنتها : حان وقت ذهابك إلى الحمام .

أجابت عائشة : لكنى لا أريد أن أستحم الآن .

قالت الأم : حسنًا ، أمامك اختياران إما أن تستحمى فورًا ، أو تذهبى إلى الفراش .

وقفت عائشة دون أن تتحرك ، وكأنها تتحدى أمها :

قالت الأم : إذن ، اذهبى فورًا إلى غرفتك لتنامى .

ذهبت عائشة إلى غرفة نومها تبكى .. وبعد دقيقتين .. خرجت .. وقالت لأمها :

- هل يمكننى أن أستحم الآن ؟

ردت الأم بغضب : طلبك جاء متأخرًا .. أنا آسفة .. اذهبى إلى فراشك لتنامى دون استحمام .

لم تحسن الأم التصرف فى هذا الموقف .. لأنها لم تقبل اعتذار ابنتها .. فالطفل بحاجة إلى أن يمنحه والداه فرصة أخرى ليعمل على تطوير سلوكه .

والآباء عندما يفعلون ذلك .. إنما يعملون على دعم علاقة الحب بينهم وبين أطفالهم مثلما فعلت والدة على عندما مرت بتجربة سأستعرضها .. لتكون أمامنا كمثال عملى لتطبيق هذه الطريقة .

علي في الثالثة والنصف من عمره ، تعود أن يعض الأطفال فأصبحوا يخافونه .. إلا أنه ترك هذه العادة منذ عدة أشهر .

في إحدى الأيام ، وبينما كان علي مع والدته في الحضانة ، لمح طفلاً كان قد تعود أن يعضه من قبل ، لكنه هذه المرة ذهب له ليحتضنه ، وفجأة سمعت الأم ابنها يصرخ فقالت لوالدة علي :

– لقد عض ابنك ابني ، ألا يتوب هذا الولد عن هذه العادة ؟

شعرت والدة علي بالخجل .. فنادته غاضبة :

– علي ، تعال هنا .

لكن ابنها قال : لم أعضه يا أمي .. وإنما كنت أحتضنه لأقبله .

ردت عليه أمه : أنا لا أصدقك .. أنت كذاب .

وأمسكته من يديه وسط صراخه ، وخرجت ، والثورة تختلج في أعماقها .

وفي البيت قال علي مرة أخرى :

– لم أعضه يا أمي ، صدقيني .

قالت أمه ثائرة : إذا كان هذا سلوكك في الحضانة .. فأنا لن آخذك إلى أي مكان بعد الآن .

رد علي : لكني لم أفعل شيئًا له .

أمسكت به أمه غاضبة ، وأخذت تهزه بغضب وهي تقول :

– كنت أظن أنك قد توقفت عن العض ، وأنت مصر على أن تخجلني بتصرفاتك القبيحة هذه ، هل أنت حيوان أم طفل صغير ، اذهب إلى غرفتك ، لا أريد أن أرى وجهك .

وبعد أن استلقت أم علي على فراشها ، بدأ غضبها يخف تدريجيًا ،

وندمت على أنها تصرفت مع ابنها بهذه الطريقة العصبية ، لذلك قررت أن تقبل عذره ، لكى تمنحه فرصة يحسن بها سلوكه .

ذهبت إلى غرفته ، كان مستلقيا على الفراش بملابسه وحذائه ، حزينًا ، جلست بجواره ، وأخذت يدها بين يديه ، ثم مسحت على رأسه وقالت له وهى تنزع حذاءه :

- تمنيت لو لم أكن عصبية معك اليوم هكذا .

رد على : كنت أريد أن أحتضنه وأقبله .. لكنه لم يقبل .. فظن أنى أريد أن أعضه ، وصرخ .

وبدأ يبكى وهو يقول لأمه :

- سامحينى يا أمى .. لم أكن أقصد أن أعضه .

احتضنته أمه بحنان وقالت له :

- ماذا يمكننى أن أفعل لكى أساعدك ؟ .

قال لها على : كنت أريد أن أكون صديقًا له .. لكن لا أحد فى الحضانة طيب معى .. أحد الأولاد كان يلقبنى بأسماء قبيحة ويدفعنى .

أجابت أمه مبدية تعاطفها معه .. واعترافها بمشاعره :

- أعلم أن من الصعب عليك تكوين علاقات صداقة مع أصدقاء جدد .. لكنك لن تستطيع تكسبهم إذا انتقمت منهم بالعض .

رد على : لكنى كنت أريد ن أحتضنه وأقبله .. لم أكن أريد أن أعضه .

وكانت الأم حكيمة عندما قالت لابنها :

- عندما تشعر فى المرة القادمة ، أنك تريد أن تقبل أحدًا ، تعال قبلنى أنا .

وبعد عدة أيام ، ذهبت الأم مع ابنها إلى إحدى حفلات عيد ميلاد أحد

أصدقائه ، وكانت تتحدث مع إحدى الأمهات ، عندما أقبل ابنها عليها فجأة وقبلها ، وعندما سألته عن السبب قال ضاحكًا :

- شعرت أني أريد أن أقبلك يا أمي .

ضحكت أمه وقالت :

- هل لا زلت تذكر ؟

لقد منحت هذه الأم ابنها فرصة أخرى ليطور سلوكه ، وقد بدأ يحاول التخلص من عادة العض السيئة .

الاعتذار للطفل بعد الغضب

لماذا نغضب ونثور عندما يسىء أطفالنا التصرف ؟ قد يكون سبب ذلك إحساسنا باليأس لعدم قدرتنا على أن نتحكم فى سلوكهم السيئ ، مما يعطى الآخرين انطباعا بأننا آباء غير أكفاء ، أو ربما يكون سببه لوم الناس لنا عندما يرتكب أطفالنا تصرفات سيئة .. لأننا فى نظرهم لم نربيهم ونهذبهم بأسلوب صحيح .. مما يشعرنا بالخجل أمام الآخرين .. خصوصًا عندما ينصح الوالدان طفلهما لكنه يتجاهل نصائح والديه .. وقد يكون أيضًا سبب ذلك الغضب إننا نعتقد كآباء أن أطفالنا يتعمدون مضايقتنا بسلوكهم السيئ ، بينما هم لا يقصدون ذلك ، وإنما يرتكبوه على أساس أنه لعبة مسلية ، مثلما حدث لرشاد البالغ من العمر سنتين عندما أخذ يتعمد رمى الشوكة من فوق طاولة الطعام عدة مرات ، مما دفع والدته إلى أن تصرخ فى وجهه غاضبة :

– رشاد ، الشوكة موضوعة لتأكل بها ، لا لكى ترميها كل مرة على الأرض .

ولو فكرت الأم بمنطق عقل ابنها لوجدت أنه يفعل ذلك لأنه بالنسبة له لعبة يتسلى بها ، أو أنه أمر مدهش اكتشفه فجأة ، إذن لا يحتاج تصرف رشاد إلى أن تغضب أمه عليه .. وإذا حدث وأخطأت الأم فى حق ابنها غاضبة .. فإن من الضرورى أن تعتذر له أو تمدحه بطريقة عفوية ، لكى تمسح الجرح النفسى الذى سببته له .. ثم تجلس مع نفسها وتحاول أن تجد حلولاً تساعدها على الاحتفاظ بهدوئها عندما تتكرر مثل هذه المواقف .

ولنأت بمثال عملى لكى نتعلم كيف نقوم بتطبيق هذه الطريقة فى معاملة أبنائنا .

عادت والدة خالد من عملها تعبة ومرهقة .. جلست على طاولة الطعام مع ابنها البالغ من العمر أربع سنوات .. بعد أن وضعت صحن المكرونة بالدجاج عليه ، لكى تأكل معه وبدون أن يقصد أوقع صحن المكرونة على الأرض .. وتطايرت المكرونة على أرضية المطبخ .

صرخت الأم بغضب :

- ماذا فعلت يا حمار ؟ ألا تنتبه .. لقد اتسخت أرض المطبخ كلها .

أجاب خالد :

- أمى .. كل شخص يخطئ .. هل تذكرين عندما أسقطت علبة عصير البرتقال منذ أيام ؟ .

ردت الأم وقد تزايد غضبها وهى تمسح الأرض لترمى ما تجمعه فى القمامة :

- وتناقشنى أيضًا ، إننى لا أتحرك كالقرد على طاولة الطعام ، اجلس بهدوء وتناول طعامك ولا تتحرك حتى تنتهى منه ، ألا يمكننى أن أتمتع بغذاء هادئ ، وأنت تأكل معى .

جلس خالد وأكل بهدوء حتى يمر غضب والدته بسلام ، لقد أغضبها دون أن يقصد وأثار أعصابها وأفسد عليها وجبة غدائها .

لكن الأم عندما هدأت ، شعرت أنها أخطأت فى حق ابنها ، لأنها غضبت عليه كثيرًا دون داع بسبب إرهاقها ، لذلك أرادت أن تعتذر له ؟

دخلت غرفة نومه ، فوجدته مشغولاً بألعابه ، مسحت على رأسه قائلة :

- لقد شعرت بثورة غضب عندما كسرت الصحن ، لكننى تضايقت لأنى غضبت عليك كل هذا الغضب ، لأنك لم تفعل ذلك عن قصد .

رد خالد : إذن .. لماذا غضبت على هكذا .

أجابت الأم : لأنك كنت أقرب شخص أصب عليه غضبى .. لم يكن يوجد أحد غيرك .

ضحك خالد واحتضن أمه .

لقد كانت الأم تعبة عندما كسر ابنها الصحن ، لذلك ثارت فى وجهه ، إلا أنها أحسنت القول عندما قالت وهى تحاول الاعتذار له .

- لقد شعرت بثورة غضب .

إذ فهم الطفل من هذه الجملة ، أنها كانت تشعر بثورة غضب ، لا بالغضب عليه . وعندما سألها :

- إذن لماذا غضبت على هكذا ؟

ردت عليه بروح مرحة :

- لأنك أقرب شخص أصب عليه غضبى ، لم يكن يوجد أحد غيرك .

ولم يحمل قول الأم أى إحساس بالذنب ، لم تقل مثلاً :

- لقد أخطأت يا بنى فى حقك عندما ، غضبت عليك كل هذا الغضب .

كل ما كان خالد يريد معرفته كبقية الأطفال أن والدته فقدت السيطرة على أعصابها عندما غضبت .. وأن حبها وعلاقتها به لن يسببا له الألم دائمًا ، وعادة ما يغفر الأطفال عندما يعتذر لهم آباؤهم ، لأن محبتهم ضرورية ومهمة جدًا بالنسبة لهم .

كيف نخفف من غضبنا على أبنائنا ونستفيد منه ؟

نشعر بالضيق عندما نغضب على أبنائنا .. ونخاف عندما نثور عليهم بعنف ، بل نخجل من أنفسنا ونشعر بالذنب لما فعلنا بهم .. ونقرر أننا لن نعود إلى هذا الأسلوب العصبى فى معاملتهم .. لكننا سرعان ما نشعر بالغضب مرة أخرى ، عندما يثير هؤلاء الأبناء أعصابنا بسوء تصرفاتهم ، فنهجم عليهم مرة أخرى اتهامًا وضربًا في بعض الأحيان ، بينما نحن فى الواقع نشقى ونتعب ونكرس حياتنا وثرواتنا من أجل راحتهم ورفاهيتهم .

إذن ، كيف يمكننا التخفيف من هذا الغضب والاستفادة منه فى تطوير شخصيات أبنائنا ؟ ، علينا أولاً أن ندرك بأن الغضب أمر يتكرر فى حياتنا ، مثلما تتكرر نزلات البرد العادية ، وهذا يتطلب منا أن نتقبله كحقيقة من حقائق الحياة ، لا نخجل منه أو نشعر بالذنب عندما نغضب على أطفالنا .. بل واجب علينا أن نربيهم على أساس تقبل هذه الحقيقة ، وبدل أن نكتمه ، علينا أن نتعلم كيف نسيطر عليه ونوجهه وجهة إيجابية تفيد صحة الغاضب وتساعد على تطوير شخصية المغضوب عليه .

إن الخطأ الذى نقع فيه ونحن نربى أبناءنا ، هو محاولتنا أن نكتم غضبنا عليهم عندما يسيئون التصرف ، لأننا مهما حاولنا كتمان هذا الغضب ، لابد وأن يأتى يوم وننفجر .. إذ أن قدرة الإنسان على كتمان غضبه محدودة ، وهذا ما يجعل غضبنا على أطفالنا عنيفا وسلبيًّا ، نبدو خلاله وكأننا فقدنا عقولنا ، نقول ونفعل بهم أشياء نندم عليها فيما بعد .

والواقع أن البيوت الهادئة المريحة لا تصبح هكذا فجأة .. وإنما يمارس الآباء فيها طرقًا تمكنهم من التعامل مع التوتر والغضب عندما يحدث بينهم وبين أبنائهم بأسلوب ، يؤدى إلى تخفيفه قبل أن يصل إلى مرحلة الانفجار .

إلا أننا يجب أن نؤكد هنا أن لا يترك الآباء بعض أخطاء الأطفال تمر بسهولة .. لأنهم عندئذ سيفقدون احترام أطفالهم إذا لم يردعوهم فى الوقت المناسب ، مما يسىء إلى شخصية هؤلاء الأبناء .. والردع يجب أن لا يكون فى شكل ثورة عارمة لأنها تسىء أيضًا إلى نفسياتهم .. وإنما بأسلوب حازم يقول لهؤلاء الأبناء : إن هناك حدودًا لتسامح آبائهم معهم .

وبما أننا نستهلك أثناء الغضب بعض مشاعرنا .. فلماذا إذن لا نوظفها فى أمر إيجابى يؤدى إلى راحتنا كآباء ويمنح الطفل رؤية واضحة لما يجب عليه القيام به حتى يتفادى غضب والديه ؟

إلا أن علينا كآباء أن لا نغضب على أبنائنا أمام أصدقائهم .. لأننا سنجرح بهذه الطريقة كبرياءهم .. الأمر الذى يجعلهم يزدادون غضبًا ، بينما ما نريده هو أن تصل وجهة نظرنا فيما فعل أبناؤنا إليهم ليتبخر الغضب فى هدوء بيننا وبينهم نصل إذن ، إلى أن هناك ثلاث خطوات علينا أن ندركها ، جيدًا لكى نعد أنفسنا لحالات الغضب مع أبنائنا .

أولاً : أن نقبل بحقيقة هامة تتلخص فى أن الأطفال لابد وأن يثيروا غضبنا .

ثانيًا : أن نمنح أنفسنا الحق فى الغضب على أبنائنا دون أن نشعر بالذنب والخجل .

ثالثًا : أن نعطى لأنفسنا الحق فى التعبير عما نشعر به من غضب على أبنائنا دون أن نمس أو نهاجم شخصياتهم .

ترى ، كيف يعبر الآباء عن هذا الغضب مع أبنائهم ؟

يستطيع الأب الغاضب على ابنه فى الخطوة الأولى أن يعبر عن مشاعره الغاضبة بصوت عال وكأنه يعطى إنذارًا لهذا الابن لكى يعدل من سلوكه بأن يقول مثلاً :

- أشعر أنى منزعج من تصرفاتك يا بنى .

أو يقول : إذا لم تتوقف عن هذه الحركات ، فإنى سأنفجر فيك .

إذا كان تعليقه لم يمنحه الراحة .. فإن عليه عندئذ أن يخطو إلى الخطوة الثانية ، بأن يعبر عن غضبه المتزايد بقوله مثلاً :

- تصرفاتك تجعلنى أشعر بالغضب .

وإذا شعر أن غضبه يتزايد يستطيع أن يقول بصوت حازم يصر على حروف كلماته .

- أشعر أنى غاضب جدًّا .
- أشعر أنى غاضب جدًّا جدًّا .
- أشعر أنى سأنفجر غضبًا .

إذا صرح الأب عن غضبه بهذه الطريقة . ولم يتوقف طفله عن تصرفه السيئ .. عندئذٍ عليه أن يخطو إلى الخطوة الثالثة فى التعبير عن غضبه على ابنه ، بأن يتحدث خلالها عن سبب غضبه .. ويعلن عن ردود أفعاله الداخلية وأمنياته بقوله مثلاً :

- أشعر بالغضب يغلى فى داخلى عندما أرى هذه الأحذية والجوارب والقمصان والبدلات منثورة هكذا على الأرض ، بودى لو أفتح النافذة وأحذف منها كل هذه الأغراض المنثورة فى وسط الشارع .

أو يقول : ضربك لأخيك الصغير يثير غضبى .. أشعر أنى سأجن منك .. أنا لا أستطيع أن أدعك تؤذى أخاك .

عندما يعلق الأب بهذه الطريقة ، فإنه بذلك يعبر عن غضبه أو يصرف غضبه دون أن يؤذى ابنه أو نفسه .. ويمكنه بهذه الطريقة أن يضع أمام هذا الابن درسًا هامًّا حول القنوات المسموح بها أن يعبر هو أيضًا عن غضبه بأسلوب هادئ .. وكلنا نعلم أن الآباء قدوة لأبنائهم فى تصرفاتهم اليومية .

الفصل السادس

الأبناء وتحمل المسئولية

المسئولية .. ماذا تعنى ؟
وكيف يتعلمها الأبناء ؟

نتطلع كآباء إلى أن يتعلم أبناؤنا الإحساس بالمسئولية .. ونعتقد بأننا نستطيع أن نحقق ذلك من خلال ما نفرضه عليهم من واجبات يومية ، قد يطلب الأب من ابنه القيام بمسئولية رمى القمامة يوميًا ، أو قص حشيش الحديقة مرة فى الأسبوع .. أو ترتيب غرفته عندما ينهض من النوم لكى يتعلم تحمل المسئولية .. وقد تطلب الأم من ابنتها أن ترتب سريرها كل يوم .. أو أن تحتفظ بغرفتها نظيفة لكى تزرع فى نفسها الإحساس بالمسئولية .

إلا أن خبراء التربية يؤكدون أن هذا الإحساس لا ينمو فى نفوس الأبناء من خلال ما نفرضه عليهم من أعمال روتينية ، بل بالعكس إذ قد ينتج عنه صراع بينهم وبين آبائهم يسىء إلى علاقتهم بهم ، لما يستثيره من مشاعر الغضب والاستياء فى نفوس هؤلاء الأبناء .. كما أن إصرار الأب على أن يقوم ابنه بواجب يومى ، سيجعله مرغمًا على طاعته .. لا راغبًا فى أداء ذلك العمل .. والطاعة الناتجة عن غير اقتناع لا تجعل الطفل راغبًا فى تحمل المسئولية لأن هذه الرغبة لا تنمو بالفرض ، وإنما بشكل طبيعى من خلال ما يمتصه هذا الطفل من قيم أخلاقية واجتماعية إيجابية فى البيت والمجتمع المحيط به أثناء نمو شخصيته ، وهى التى تزرع فى نفسه الإحساس بالمسئولية نحو أسرته ومجتمعه .

والمؤسف هنا أن معظم الآباء لا يدركون أو يتجاهلون حقيقة كونهم قدوة لأبنائهم ، فيتصرفون بأسلوب لا يحمل روح المسئولية نحو أسرهم ومجتمعاتهم ، ثم يتطلبون من أبنائهم أن يشعروا بأهمية هذا الإحساس ، بينما لن يتعلم هؤلاء الأبناء الإحساس بالمسئولية .. مثلما ذكرت من قبل

إلا من خلال امتصاصهم لما تحمله تصرفات آبائهم اليومية من قيم أخلاقية .. سوف تنغرس فى نفوسهم وتشكل أحكامهم الخاصة فكيف نريد لهؤلاء الأبناء الإحساس بالمسئولية .. وهى غير متواجدة فى نفوس آبائهم ؟

كما تؤكد لنا وقائع الحياة أن الطفل المؤدب الملتزم بأداء واجبات حياته اليومية .. قد لا يكون قادرا على أن يتخذ قرارات مسئولة تتعلق بحياته أو مستقبله ، لأن والديه لا يتركان له الفرصة ليعبر من خلالها عن رأيه .. وإنما عليه أن يطيع ما يصدر إليه من أوامر ، بينما يحتاج كل طفل إلى مساحة من حرية الاختيار لكى يتعلم كيف يختار ويصدر أحكامه ، ومن خلال ذلك سينمو الإحساس بالمسئولية فى أعماقه .

والخطأ الذى يرتكبه أكثر الآباء يتمثل فى عدم إعداد أبنائهم لكى يتعاملوا مع مشاعرهم السلبية ، والسبب فى ذلك يعود إلى أن الآباء أنفسهم ، لم يعلمهم آباؤهم أن يفعلوا ذلك .

فنرى مثلا كيف ينكر الأب مشاعر الكراهية التى يبديها ابنه لأخيه قائلاً له :

– أنت بالتأكيد لا تعنى ما تقول .. أنت تعلم أنك تحب أخاك الصغير .

أو يستنكر على ابنه أن يشعر بذلك الشعور فيقول له :

– لست أنت بالتأكيد الذى تكره أخاك .. وإنما هو الشيطان فى داخلك .

أو يهدد الأب ابنه قائلاً :

– إذا سمعتك مرة أخرى تذكر أمامى أنك تكره أخاك .. سأضربك .. الأطفال الطيبون يجب أن لا يشعروا بالكراهية لأحد .

أو يحاول تجميل مشاعر ابنه ، بأن يقول له :

– من المؤكد أنك لا تكره أخاك ، وإنما لا ترتاح إليه ، عليك أن تترفع عن هذه المشاعر إذن ، ماذا فعل الأب من خلال هذه التعليقات ؟

لقد أنكر ، وهو يتعامل مع ابنه حقيقة هامة ، تتلخص فى أن المشاعر مثل الأنهار لا يمكن إيقافها .. وإنما يمكن تحويلها إلى مكان آخر ، والمشاعر القوية أو الغاضبة مثل المياه الفائضة فى النهر لا يمكن إنكارها أو تجاهلها ، لأننا عندما نفعل ذلك ، فإننا بذلك نعد أنفسنا لكارثة قادمة .. لذلك كان على هذا الأب أن يدرك مدى قوة مشاعر ابنه السلبية وحقه فى التعبير عنها ، أو يحاول تحويلها عن مسارها بمهارة ، ولكى يخلق جوًّا من التفاهم والحب بينه وبين أبنائه .

ترى ما هى الطرق التى علينا أن نتبعها لكى نجعل من معاملتنا اليومية لأبنائنا قادرة على زرع الإحساس بالمسئولية وغيرها من الصفات الإيجابية فى شخصياتهم .

طرق تعليم الأبناء تحمل المسئولية ؟

يتحمل الكثير من الآباء مسئولية إنجاز واجبات أبنائهم اليومية وكأنها واجباتهم ، فتتكرر المواقف المتوترة بينهم ، الآباء يلحون ، والأبناء يتكاسلون غير مبالين بنتائج إهمالهم لواجباتهم .. بينما من الأفضل تربويًا ونفسيًا ونحن نبنى شخصية أطفالنا .. أن يتعودوا تحمل مسئولياتهم فى سن مبكرة ، تبدأ فى سن الثامنة على الأقل ، فالأبناء يجب أن يتحملوا مسئولية تنفيذ ما عليهم من واجبات دون تذكير أو إلحاح من آبائهم ، عليهم أن يدركوا أن مسئولية تلك الواجبات واقعة على أكتافهم .. وعليهم تحمل نتائج إهمالهم القيام بها فيالوقت المناسب ، ليصبحوا بذلك أعمق إحساسا بمسئولياتهم نحو أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم مستقبلاً .

إذن ، كيف يمكن للآباء تعويد أطفالهم على تحمل تلك المسئوليات ؟

لنصل إلى الإجابة .. سنطرح مثالاً بسيطًا يحدث فى كثير من البيوت يوميا عندما يستعد الأبناء صباحًا للذهاب إلى المدرسة .. تدخل الأم غرفة ابنها لتوقظه من النوم حتى يرتدى ملابسه ، ثم تتركه فترة من الوقت لتعود إليه ، وتفاجأ به أنه لا يزال يغط فى نوم عميق ، فتثور أعصابها وتوقظه مرة ثانية ، ثم تتركه للحظات وتعود إليه لتراه لا يزال نائمًا ، فتوقظه مرة ثالثة ، وتظل هكذا كل صباح تلهث وراءه لكى يرتدى ملابسه ويتناول إفطاره ، ليذهب إلى المدرسة قبل أن يقرع الجرس .. والمؤسف أن بعض هؤلاء الأطفال قد تجاوز سن الثامنة من عمره ولازال يعتمد على أمه فى تحمل هذه المسئولية .

فهل من مسئولية الأم ذهاب ابنها إلى المدرسة فى الوقت المناسب ؟

بالطبع لا ، المسئولية هنا تقع على عاتق الطفل ، وهذا شأن من شئونه

اليومية التى يجب عليه القيام بها دون تذكير من أحد ، وعليه وحده أن يتحمل نتيجة إهماله إذا وصل متأخرًا إلى المدرسة ، واجب الأم هنا يقتصر على إيقاظ ابنها من النوم مرة واحدة وإعداد طعام الإفطار له ، أما نتائج هذا الإهمال فتحدده المدرسة والوالدان ، واجب المدرسة عقاب الطفل على تأخره إذا قامت بإنذاره من قبل .. وعلى الأم فى البيت أن تضع الحدود الحمراء لذلك الإهمال ، بأن تحرمه من ممارسة بعض النشاطات التى يحبها إذا كرر ذلك التقصير .

لو واصلت الأم عقابها بثبات لمدة ثلاثة أيام ، سيرتدع ابنها ، وستراه ينهض فورًا ليرتدى ملابسه بنفسه .. ويذهب إلى المدرسة فى الوقت المناسب ، لأنه تحمل نتائج إهماله .

والأفضل أن أضرب مثالاً آخر .. من واقع الحياة .. يوضح لنا كيف نعود الطفل على تحمل مسئولية ذهابه إلى المدرسة .. فالأساليب مختلفة .. ولكل والدين أسلوب خاص للوصول إلى ذلك الهدف الهام .

كانت سعاد تتحمل كل يوم مسئولية ذهاب ابنتها إلى المدرسة .. تلح عليها لتنهض من النوم ، لتعود إليه مرة أخرى ، ويتكرر ذلك الموقف كل يوم بينها وبين ابنتها مع ما يصاحبه من توتر وشد أعصاب .

وفى يوم ، قرأت فى كتاب للتربية وسيلة تحقق بها هدفها ، فى أن تجعل ابنتها راغبة فى تحمل مسئولية ذهابها إلى المدرسة .. ونفذتها فورًا فى اليوم التالى .. فماذا فعلت ؟

أهدت هذه الأم ابنتها ساعة مزودة بمنبه ، ووجدت الابنة رسالة من أمها فى الهدية مكتوب عليها .

ابنتى العزيزة هدى .

أعلم أنك لا تريدين أن يوقظك أحد بصورة مبكرة ، صباح كل يوم ، لتذهبى إلى المدرسة .. لذلك ستكونين بهذه الساعة ، المزودة بمنبه ، سيدة نفسك منذ الغد .

أمك المحبة

سعاد

سعدت الابنة بهذه الهدية ، وقالت لأمها وهى مندهشة :

– كيف علمت يا أمى أننى لا أحب أن يوقظنى أحد صباحًا ؟

أجابتها أمها وهى تبتسم :

– شعرت بذلك .

وعندما رنت الساعة فى صباح اليوم التالى .. نهضت هدى فورًا من سريرها .. وعندما سألتها أمها :

– لماذا تنهضين مبكرة هكذا ؟ فى إمكانك أن تنامى قليلاً .

أجابتها ابنتها بحماس :

– لا .. ربما أتأخر عن المدرسة ..

وفى مدة زمنية قصيرة ، وجدت الأم ابنتها جاهزة قبل الوقت المحدد كل يوم .

يؤكد العالم النفسانى الدكتور « جينو » فى كتابه المعروف « بين الآباء والأبناء » على أهمية عدم إطلاق الآباء أوصافًا قبيحة على أبنائهم إذا تكاسلوا عن النهوض من النوم صباحًا للذهاب إلى المدرسة .. بل بالعكس عليهم أن يعلقوا بجمل تشعر أطفالهم بمشاركة آبائهم لمشاعرهم .. لأنهم بهذا الأسلوب يشجعون هؤلاء الأبناء على تحمل مسئولياتهم من خلال حبهم وتعاطفهم مع تلك المشاعر .

أى بدل أن تقول الأم لابنها عندما يتكاسل فى النهوض من النوم .

– انهض يا كسول .. كيف ستصل إلى المدرسة قبل أن يقرع الجرس .

أو تقول : أريدك أن تنهض هذه الدقيقة .. هل فهمت ؟

– عليها أن تعلق بلطف قائلة :

– هل تجد صعوبة فى النهوض هذا الصباح ؟

أو تقول له : من الممتع حقًّا .. أن يستلقى المرء فى سريره ويحلم .

أو تقول له : خذ خمس دقائق أخرى .

– وبالطبع تكون هى قد وضعت المنبه على موعد متقدم .. عشر دقائق على موعد نهوضه .

إلا أن الدكتور « جينو » يحذرنا أيضًا من أن نوحى للطفل بأنه إذا لم ينهض صباحًا فى وقته المحدد ، بأنه مريض .

أى أن لا نقول له مثلاً :

– لماذا لم تنهض حتى الآن .. هل أنت مريض ؟ هل يؤلمك شىء ؟

فالطفل حينئذ سيشعر بأن عليه أن يتظاهر بالمرض . لكى يحصل على اهتمام والديه كما يطلب هذا الطبيب والخبير التربوى منا كآباء ، أن لا نستعجل أبناءنا عندما يتباطئون ، لأنهم كما يعتقد ، لا يفعلون ذلك إلا متعمدين ، ليقاوموا أوامر الكبار لهم بالإسراع فى أداء واجباتهم .

إذن ، علينا بدل أن نستعجلهم ، أن نضع لهم وقتًا محددًا يكونون جاهزين خلاله ، فيشعرون هم بمسئولية استعدادهم للذهاب إلى المدرسة خلال ذلك الوقت ، ونستطيع نحن أن نعلق ببعض العبارات ، فنقول مثلاً :

– السيارة ستتحرك خلال عشر دقائق للذهاب إلى المدرسة .

أو نقول : السيارة ستتحرك الساعة السابعة والربع .. الساعة الآن السابعة .

إن الهدف من تلك التعليقات هو ، إشعار أطفالنا أننا نتوقع وواثقين بأنهم سوف يقومون بعملهم فى الوقت المحدد .. مما يجعلهم متحمسين فى أدائها .. لأنهم يريدون أن يكسبوا ثقتنا وحبنا كآباء .

كما يطلب منا الدكتور « جينو » عدم ربط تنمية الإحساس بالمسئولية فى نفوس أبنائنا بمظهرهم الخارجى خلال يومهم .. أى علينا أن لا نركز على أهمية بقاء ملابس الطفل نظيفة خلال تواجده فى المدرسة أو خارجها ، لأننا حسب اعتقاده نحرم أطفالنا بهذا الأسلوب من حرية الطفولة وعفويتها فى الجرى والقفز واللعب .. أما الاهتمام بالمظهر الخارجى ، فإن الأطفال سوف يدركونه وهم يكبرون .. وسيطبقونه بأنفسهم .

إذن .. كيف تتصرف الأم عندما يعود طفلها وقميصه متسخ من المدرسة ؟

يطلب الدكتور « جينو » من الأم ألا تلوم ابنها على توسيخه لملابسه ، وإنما تقول له :

– يبدو وكأن نهارك كان حافلاً بالنشاط .. إذا كنت تريد تغيير قميصك .. افتح خزانتك واختر غيره .

إن مثل ذلك التعليق يوطد علاقة الطفل بوالديه أكثر من قول الأم لطفلها :

– كم أنا تعبة من وساختك .. ألا تكون حذرًا فى المرة القادمة .. حتى توفر علينا تعب غسل ملابسك وتنظيفها عدة مرات فى اليوم .

إن صحة الطفل النفسية تتطلب أن يسعد بحرية طفولته .. لا أن يبقى نظيف الملابس دائمًا .. وتستطيع الأم شراء ملابس رخيصة وعملية لطفلها ، تتيح له حرية الحركة والتمتع بيومه .. بدل أن تشترى له ملابس ثمينة تخاف إفسادها بسبب كثرة الغسيل .. وسيتعلم الطفل مع نموه ، كيف يعتنى بمظهره .

كيف يمكن أن نزرع الإحساس بالمسئولية فى نفس الطفل من خلال تناوله لوجباته الغذائية يوميًا ؟

ما يحدث عادة هو أن تنادى الأم أطفالها ليتناولوا طعامهم ، وهم يتهربون ، وتعود إلى نداءاتهم ، ولا يهتم أحد منهم فى الحضور وتناول وجبته ، فيعلو صوت الأم متوترًا منفعلاً معبرًا عن فقدها لصبرها .

فهل من مسئولية الأم أن يتناول أبناؤها طعامهم ؟

كلا .. إن مسئوليتها تنحصر فقط فى أن تناديهم مرة واحدة .. فإذا لم يأتوا فهذا من شأنهم ، وعليهم تحمل نتيجة إهمالهم الحضور فى الوقت المناسب ، المتمثل فى حرمانهم من وجبتهم الساخنة ، واضطرارهم إلى أكلها باردة .. أو الانتظار إلى الوجبة الثانية .

لو جرب الآباء هذا العقاب على أبنائهم بثبات ، دون أن يضعفوا أمام توسلاتهم وهم يطلبون تسخين طعامهم ، سيجدونهم حاضرين مع أول نداء لهم لتناول وجباتهم الغذائية .

وينطبق ذلك أيضًا عندما يتأخر الطفل فى درجاته الدراسية أو يهمل فى أداء واجباته للمدرسة .. حيث يحرم من ممارسة النشاطات التى يحبها ..بعد أن يجلس معه أحد والديه ليوضح له أنه ما عوقب إلا لكى يدرك أهمية دراسته التى تقع مسئوليتها على عاتقه ، وعندما يعد الطفل بالاجتهاد .. فإن واجب الأب أن يعبر له عن ثقته به ورغبته فى إتاحة فرصة جديدة له ، وعندما يهمل الطفل مرة أخرى يزداد عدد الأيام التى يحرم فيها من ممارسة النشاط الذى يحبه .. ويبدى الأب استياءه لعدم وفائه بعهده ، عندئذ ، سيلاحظ الأب أن ابنه أصبح أكثر اهتمامًا فى تحمل مسئولية دراسته .

إن كل ما فعله الوالدان هنا هو توضيح الخطوط الخضراء والحمراء ..

وعلى الطفل أن يتحمل النتائج الطبيعية لإهماله ، وسنرى أنه سيتعلم أهمية تحمله لمسئولياته .. التى ستصبح فيما بعد جزءًا من معالم شخصيته .

وأخيرًا ، كل ما يتطلبه زرع روح المسئولية فى نفوس الأبناء .. هو الحب والحزم والصبر والثبات على مبدأ العقاب بسبب الإهمال .. لكى تأتى بثمارها المشرقة التى سيسعد بها الآباء والأبناء معًا .

كيف ننمى الإحساس بالمسئولية فى نفوس أطفالنا ؟

ما هى الخطوات العملية المطلوب منا كآباء تنفيذها ، لكى نزرع الإحساس بالمسئولية فى نفوس أبنائنا ؟ الإجابة على هذا السؤال ، تكمن فى وضع خطة تربوية تتطلب منا أن نراعى خلال تنفيذها أهمية أن تكون تصرفاتنا اليومية معهم منسجمة مع ما نريدهم أن يتمتعوا به من صفات حسنة .. كما أننا يجب أن نضع فى اعتبارنا .. أن الذى يحدد مدى تقبل أطفالنا لما نريد أن نعلمهم إياه ، يقوم على أساس نوع علاقتنا بهم .. خصوصًا عندما نعلم أن هؤلاء الأبناء لا يتعلمون أو يكتسبون القيم من خلال أحاديث آبائهم معهم .. وإنما من خلال ما يمارسونه معهم من سلوك يومى يمتصه هؤلاء الأبناء .. ويصبح إلى حد ما جزءًا من معتقداتهم وقيمهم الأخلاقية .

إذن ، أول خطوة علينا أن نخطوها فى تطبيق الخطة من أجل زرع الإحساس بالمسئولية فى نفوس أطفالنا ، هى أن نصمم بأن نهتم بكل ما يفكرون فيه وما يشعرون به داخليا لا ما يرتكبونه من تصرفات ظاهرية سواء كانت حسنة أو سيئة .. أما كيف ندرك تلك الافكار والمشاعر ؟ فإننا نستطيع ذلك عن طريق ما يمنحنا إياه أبناؤنا من أدلة عليها تظهر من خلال إبدائهم لمشاعرهم ، ما نحتاجه كآباء هو ، أذن تسمع ، وعين ترى ، وقلب يشعر ، علينا أن نشعرهم أننا نهتم بما يدور فى نفوسهم من مشاعر .. من خلال جمل تعبر عن هذه المشاركة .. ولا تحمل روح الانتقاد أو اللوم .

لنفترض أن أحد أطفالنا عاد من المدرسة هادئا وصامتًا .. يبدو من خطوته أن يومه فى المدرسة لم يكن على ما يرام ..عندئذ علينا أن لا نبدأ حديثنا معه بكلمات تحمل روح الانتقاد بأن نقول مثلاً :

- ما هذا الوجه العابس ؟ ماذا حدث لك اليوم فى المدرسة ؟ .

أو

- ماذا فعلت هذه المرة ؟ هل فقدت أعز أصدقائك ؟ .

وإنما نبدى تفهمًا لمشاعره بأن نحاول أن ندرك ما يشعر به .. ونعكسه أمامه بأن نقول مثلاً :

- يبدو أن يومك فى المدرسة كان صعبًا .

أو

- هل ضايقك أحد فى المدرسة ؟ .

نلاحظ هنا أن ما قلناه هنا قد حمل روح المشاركة بإبداء الاهتمام والشفقة ..بينما تعليقنا السابق كان يحمل روح الفضول والاتهام .

ونصل أخيرًا إلى أهمية أن نعترف بحقيقة هامة قوامها أن الطفل الذى يعيش بين والدين ينتقدانه دائمًا ، لن يتعلم حمل المسئولية ، سيتعلم فقط ، كيف يحكم ويدين من حوله ، أو يحاول اكتشاف أخطاء الآخرين وانتقادهم ، وسيتعلم أيضًا كيف يشك فى أحكامه الخاصة وقدراته .. ولا يثق باهتمام الآخرين به ، كما سيجعله ذلك الانتقاد ، يتوقع الإهانة والاحباط من والديه خلال يومه .. وكل هذه الأحاسيس سلبية ، لا تبنى الإحساس بالمسئولية فى نفسه .

كما أن من الأفضل للآباء أن يعلموا أنهم لن يربحوا معاركهم مع أبنائهم لكى يتحملوا مسئولية أعمالهم اليومية ، فالأطفال لديهم طاقة ووقت أكثر مما نتصور لكى يقاومونا حتى لا يخضعوا لنا ، وحتى لو استطعنا أن نفرض إرادتنا عليهم فإنهم سيحققون إرادتهم بإبداء التخاذل وعدم الحماس أو التمرد .

إلا أن هناك طريقة حديثة وضعها العالم الدكتور « جينو » يستطيع الوالدان أن يتبعاها لكى يفوزا فى هذه المعركة ..وحتى لو بدا أن تحقيق هذا الأمر صعب أو مستحيل في بعض الأحيان .. إلا أن هذا الطبيب النفسانى يؤمن .. أننا نمتلك القدرة كآباء من أجل الوصول إلى ما نريد .. حتى لو لم تتواجد بيننا وبين أبنائنا فى الوقت الحاضر علاقة قائمة على الصداقة .. إلا أنها بفضل هذه الطريقة ستتكون فى المستقبل القريب .

إن (الخطوة الأولى) لتطبيق هذه الخطة تتلخص فى أن نصغى إلى أطفالنا باهتمام وإحساس إذ لا يهتم الكثير من الآباء بإبداء أى اهتمام بما يشعر به أبناؤهم أو يفكرون به .. بينما يسبب ذلك التجاهل قهرًا وإحباطًا فى نفوس هؤلاء الأبناء .. ولا يقف الأمر عند ذلك الحد .. وإنما يستنتجون منه أن أفكارهم سخيفة ، ولا تستحق أى انتباه .. وأنهم أيضًا غير محبوبين .. بينما يحدث العكس عندما يصغى الأب لابنه باهتمام لأنه يوحى بأن أفكاره ذات قيمة .. وأنه شخص محترم .. والاحترام يمنح الطفل الإحساس بأهميته .. وبالتالى يجعله ذلك الإحساس يتجاوب بطريقة إيجابية ومؤثرة مع العالم من حوله مستقبلاً .

وترتكز (الخطوة الثانية) على أساس أن يتفادى الآباء توجيه أى كلمة أو تعليق لأبنائهم .. قد يخلق جوا من الكراهية والإحساس بالقهر فى نفوس هؤلاء الأبناء ، فلا يقول الأب مثلاً لابنه معاتبًا :

– أنا خجل منك فى المدرسة .

أو

– أنا لا أفتخر بأنك ابنى .

أو

يرمى عليه ألقابًا قبيحة وهو غاضب بأن يقول له مثلاً :

- أنت غبى .

أو

- اسكت يا أبله .

أو

- تعال هنا يا كلب .

كما أن على الأم والأب الابتعاد عن التعليقات التى تنبئ بمستقبل مظلم لابنهم .. فلا يقول أحدهم له مثلاً :

- أنا أعلم أنك ستنتهى إلى السجن .. بسبب تصرفاتك المشينة هذه .

علينا أيضًا كآباء أن نبتعد عن الاتهامات التى تحمل ظلمًا لأحد أبنائنا فى بعض الأحيان فلا نقول لأحدهم مثلاً :

- أنت دائما البادئ بالاعتداء على أخيك .

إذ قد لا يكون هو البادئ بالاعتداء فى المرة التى اتهمه خلالها والده .. وسيدفعه إحساسه بالظلم إلى الانتقام من أخيه أو والديه .. وبالتالى يتدهور سلوكه .

إلا إن الطفل يكره أيضا أن يشعره والده أنه رئيسه .. ويتطلع دائمًا إلى احترامه لشخصه .. فلا يقبل مثلاً أن يقول له :

- اسكت .. دعنى أقول لك ماذا تفعل .

أما (الخطوة الثالثة) التى يجب أن يتبعها الآباء لتنمية الإحساس بالمسئولية فى نفوس أبنائهم ، فإنها تتمثل فى أن يعبر الآباء عن أفكارهم ومشاعرهم نحو تصرفات أبنائهم السيئة ، ويوضحوا ما يريدونه منهم دون أن يهاجموا شخصياتهم .. لأنهم بهذا الأسلوب يشعرون أطفالهم بتعاطفهم معهم وشفقتهم عليهم وعدلهم ، فيدفع ذلك الشعور الأبناء إلى الاقتراب من آبائهم .. ولن يحدث ذلك التطور بالطبع فى ليلة واحدةٍ .. لكن الجهود

التربوية التى يبذلها الآباء ستثمر علاقة حميمة ، ستنمو تدريجيًّا بينهم وبين أبنائهم .. سيتعلمون خلالها أهمية الإحساس بالمسئولية فى تطوير شخصياتهم ، إلا أن ذلك لا يكفى ، لأن الطفل لن يتعلم هذا الإحساس من خلال صداقته لوالديه واقتدائه بهما فقط .. وإنما من خلال تجاربه الخاصة ، التى ستركز هذه المشاعر فى ملامح شخصيته لتصبح جزءًا منها .. ولن يحدث ذلك إلا إذا قمنا بتوكيل بعض المسئوليات المحددة ليقوم بها أبناؤنا .. حسب مستويات أعمارهم المختلفة .. إلا أننا يجب أن ندرك قبل القيام بهذه المهمة .. أن أبناءنا لا يولدون بإحساس فطرى يشعرهم بالمسئولية .. ولا يحصلون عليه بصورة تلقائية فى سن معينة .. وإنما يحصلون عليه بصورة مكتسبة وقائمة على الإرادة والتمرين اليومى .. مثلما يتعلم الإنسان العزف على أية آلة موسيقية ، أو أى هواية أخرى .

إذن ، يتطلب ذلك تمرينًا يوميًّا للطفل حول كيف يصدر أحكامه .. ويختار ما يناسب سنه وقدرته العقلية .. كما أن تعليم الطفل المسئولية يمكن أن يبدأ فى سن مبكرة .. إذ يتشرب بها عندما يسمح له والداه بأن يكون له رأى .. خصوصًا فى الأمور التى تؤثر فيه .. لكننا يجب أن نفرق هنا بين الرأى والاختيار ، إذ توجد مسائل تخص الطفل لها تأثير على خيره وسلامته .. وهذه تدخل فى نطاق مسئولياتنا الكاملة كآباء .. نستطيع خلالها أن نسمح لأطفالنا بالتعبير عن آرائهم .. لكننا لا نترك لهم حرية الاختيار .. وإنما نساعدهم على تقبل الأمر الواقع .. لكن هناك بعض المسائل التى يكون للطفل فيها حق الاختيار حسب مشيئته .

والمطلوب هنا أن نوضح الفرق بين هذه المسائل من خلال طرح بعض النماذج بالنسبة لأداء الواجبات اليومية .. التى يحدث أثناء أدائها الصراع بين الآباء وأبنائهم بصورة يومية مألوفة ، مثل تناول وجبات الطعام واختيار

الملابس ، وأداء الواجبات الدراسية وممارسة الهوايات ، ومنح المعاش الأسبوعى ، وعلاقات الأبناء بأصدقائهم أو اهتمامهم بالحيوانات .

ويعتقد الدكتور « جينو » العالم فى مجال الطب النفسى للطفل .. أن معظم ما يكتسبه الأبناء من قدرة على اتخاذ القرار وتحمل المسئولية .. يمر عبر خبراتهم الشخصية ، لذلك إذا أردنا أن ننمى هذه المقدرة فى نفوسهم .. فإن ذلك يتطلب أن يكون ذلك من خلال تعاملنا معهم وهم يمارسون واجبات حياتهم اليومية .

ولنأخذ الواجبات الواحدة بعد الأخرى .. لتتضح الصورة العملية فى تطبيق هذه النظرية حتى يستفيد من تطبيقها الآباء فى تنمية هذا الإحساس الهام فى بناء شخصيات أبنائهم لكى يتمتعوا بنفسيات متوازنة وقادرة على تحمل مسئولياتها نحو ما سيواجهها من واجبات خلال مراحل حياتهم المختلفة .

تناول الوجبات اليومية .. واجب مفروض على الطفل كل يوم .. فكيف نتعامل معه لننمى لديه القدرة على اتخاذ القرار ؟

نستطيع أن نفعل ذلك عندما ندعه يختار نوع الطعام الذى يرغب فى تناوله .. لكن علينا هنا أن نوضح الخطوط التى تحدد مسئولية الآباء ومسئولية الأبناء . إن مسئولية الآباء بالنسبة لهذا الواجب تتلخص فى توفير الطعام مع الحب والعطف لأبنائهم .. أما اختيار نوع الطعام فإنه يدخل ضمن مسئولية الأبناء .

إن فى استطاعة الأم أن تطبق ذلك حتى على ابنها البالغ من العمر سنتين عندما تسأله :

– هل تريد كأسًا من الحليب أو نصف كأس ؟ .

أو عندما تدع الأم ابنها البالغ من العمر أربع سنوات أن يختار بين أن يأكل برتقالة أو تفاحة .. أو يكون البيض الذى ستناوله ناضجًا أو نصف ناضج .. لكننا يجب أن لا نعرض على الأطفال عدة مواقف ليختاروا بينها ، فالأفضل أن نختار نحن المواقف .. وعليهم هم أن يختاروا واحدًا منها .

مثال على ذلك أن لا تسأل الأم ابنها ماذا يريد أن يأكل فى وجبة الغداء ، لكنها تستطيع أن تسأله فقط كيف يريد أن يطبخ طعامه مشويًّا أو مقليًّا ، أو مسلوقًا .

وبهذا الأسلوب لا يستقبل الطفل قرار والديه فى كيفية تناول وجباته .. وإنما يشارك فى اتخاذ هذا القرار من خلال اختياره لنوع الطعام الذى يفضله .

إن أكثر مشاكل الأمهات وهم يتعاملون مع تناول أبنائهم لوجباتهم تنبع من رغبة الأم الشخصية فى فرض نوع الطعام الذى يتناوله طفلها ليكون فى صحة جيدة .. بينما الأحسن هنا أن توفر لابنها طعامًا شهيًّا .. وأن تثق بمقدرته على اختيار ما يناسبه وسيأكل الطفل حسب شهيته .. ولن يتعارض هذا الأمر مع تمتعه بالصحة الجيدة .

إن تناول الطفل لكمية طعامه .. يجب أن يدخل ضمن حدود مسئوليته لا مسئولية والديه ولننتقل الآن إلى شراء الآباء لملابس أبنائهم .. إن مسئوليتنا هنا أن نحدد ماذا يحتاج أبناؤنا من ملابس .. وما هى الميزانية المخصصة للإنفاق على شرائها .. وعلينا بعد ذلك أن نختار لهم عدة نماذج تتناسب مع ميزانيتنا والذوق العام .. وثم تبدأ مسئولية الأبناء فى اختيار ما يفضلون ارتداءه منها .. ونستطيع أن نطبق ذلك حتى على الطفل البالغ من العمر السادسة أو السابعة .. عندما ندعه يختار جواربه وقمصانه من المجموعة

التى قمنا باختيارها .. وسيتعلم أبناؤنا المسئولية بهذه الطريقة كيف يتحملون المسئولية .

اختيار ملابسهم :

ماذا عن تنمية الإحساس بالمسئولية فى نفس الطفل بالنسبة إلى واجباته الدراسية ؟

علينا كآباء أن نوضح لأبنائنا منذ السنوات الأولى من الدراسة .. أن الواجب المدرسى يقع ضمن نطاق مسئوليتهم ومسئولية مدرسيهم .. لذلك علينا أن نبتعد عن ملاحقتهم لكى يؤدوا تلك الواجبات .. كما أننا يجب أن لا نفحص شنطهم المدرسية .. وواجباتهم الدراسية بعد الانتهاء منها إلا إذا طلبوا منا ذلك .. لأننا إذا تحملنا نحن مسئولية واجبات أبنائنا المدرسية فإنهم سيرحبون بذلك .. ولن نتحرر كآباء من عبء هذه المسئولية .. رغم أنها فى الواقع يجب أن تقع على أكتافهم لا أكتافنا .. إن الهدف من الواجب المدرسى هو منح التلميذ خبرة العمل بمفرده .. ولكى يتحقق هذا الهدف ، فإن على المدرسة إعطاء الطفل واجبًا مدرسيًّا يتناسب مع قدرته على الفهم حتى يتمكن من العمل وحده .. إلى جانب قليل من المساعدة من الآخرين عندما يطلبها .. فالخطأ فى المساعدة المباشرة أنها توحى للطفل أنه غير قادر على العمل وحده .. وتتمثل المساعدة الغير مباشرة للطفل ، فى أن يوفر الأب مثلاً لابنه مكانًا هادئًا للدراسة .. ولا يتدخل فى عاداته وهو يمارس دراسته ، لأنه قد يضايقه فيقل تركيزه الدراسى .. أو أن يدعه يختار الوقت المناسب بالنسبة له ليدرس دروسه .. على أساس أن يستطيع الانتهاء منها قبل موعد نومه المحدد .

إن واجبنا كآباء أن نوفر لأبنائنا الراحة والتأييد .. أكثر من التعليمات أو المساعدة أو التأنيب .. هم بحاجة إلى مساعدتنا عندما يحتاجون إلينا ..

وعلينا أن نقدمها بأسلوب يحمل روح الشفقة والتعاطف لا التأنيب والتجريح .. أن نصغى لهم لا أن نلقى عليهم محاضرات .. كما أن علينا أن لا نضغط عليهم لكى يتفوقوا فى الدراسة لأن ذلك قد يدفعهم إلى التمرد ليحققوا استقلاليتهم .. والأفضل هنا أن يقتنع الطفل أن التفوق هو مسئوليته لينجح فى حياته مستقبلاً .

إذن ، ما علينا كآباء هو أن ندل أبناءنا على الطريق الصحيح .. ونتوقع منهم أن يصلوا إلى ما يريدون بقدراتهم الخاصة .. ومن هنا ستنمو لديهم المقدرة على تحمل المسئولية .ولازال هناك العديد من الواجبات اليومية .. التى يستطيع الآباء من خلالها تنمية هذا الإحساس فى نفوس أبنائهم .

إن معظم ما يكتسبه الطفل من قدرة على اتخاذ القرار وتحمل المسئولية كما علمنا من قبل .. يمر عبر خبراته الخاصة ، وهو يمارس واجبات حياته اليومية وقد ذكرت بعض تلك الخبرات .. وسأكمل الحديث عن البقية لتكتمل بذلك الخطة العملية التى وضعها الخبير التربوى المعروف الدكتور « هيم . ج . جينو » لزرع هذا لإحساس الهام فى نفس الطفل .

دروس الموسيقى التى يتلقاها أطفالنا ..تعد واحدة من تلك الخبرات التى يمكننا أن نحقق هذا الهدف من خلالها .

واجبنا كآباء أن ندرك أن ما يدخل ضمن مسئولية أبنائنا .. هو السماح لهم بأن يختاروا نوع الآلة الموسيقية التى يرغبون فى تعلم العزف عليها ..لا أن نقوم نحن بهذا الاختيار ..ثم علينا أن نترك لهم حرية تحديد الوقت الذى يناسبهم لأداء تمارينهم .. لا أن نرغمهم على أوقات محددة قد لا يكونون راغبين خلالها فى العزف .. أما مسئولية الآباء فإنها تنحصر فى قرار السماح لابنهم بأخذ دروس الموسيقى .. واختيار المدرس المناسب .. ودفع رسوم

الدراسة .. ومتابعة تطوره فى العزف الموسيقى .. لكن عليهم أن لا يذكروا أبناءهم بالتمرين على دروس الموسيقى .. ولا يلحوا عليهم لكى يفعلوا ذلك .. كما تخطئ الأم عندما تمدح موهبة ابنها لكى تشجعه على التمرين لأنها تضعه بذلك تحت الاختبار .. فيخاف أن يفشل فى تحقيق ما تأمل والدته فى موهبته .

إن ما يشجع الطفل حقًّا على تطوير قدرته الموسيقية .. هو إحساسه بإدراك والديه للمصاعب التى تواجهه بفهم وعطف وتقدير ، لما يقوم به من مجهود بدلاً من نصحه وطرح الحلول عليه .. وبهذا الأسلوب فى المعاملة سينمو لدى الطفل الإحساس بالمسئولية من خلال خبراته الخاصة .

والواقع ، أن إرغام الآباء لأبنائهم على أن يمارسوا تمارينهم فى أوقات محددة لا تناسب رغباتهم .. قد تدفعهم إلى النفور من دراسة الموسيقى ..وبالتالى لن تتطور موهبتهم فى هذا المجال ، بل قد يسبب ذلك الإرغام توتر علاقة هؤلاء الأبناء بآبائهم . بينما الهدف الرئيسى من تعليم الطفل العزف ، هو توفير المنفذ النفسى الأفضل لانطلاق مشاعره من خلال ما يشعر به من ضيق وحزن أو بهجة وفرح .

إذن ، لكى لا تقع أى مشاكل بالنسبة لتحديد مسئولية الطفل .. فإن من الأفضل أن يجلس الوالدان مع طفلهما .. ليناقشوا ويوافقوا على عدة أمور رئيسية هى :

١ – عدم السماح للطالب أن يلقى درسه الموسيقى ، إلا قبل موعده بيوم على الأقل .

٢ – إذا قرر الطالب إلقاء الدرس .. فإن عليه أن يتصل بنفسه بمدرس الموسيقى .

٣ – فى إمكان الطالب اختيار الوقت المناسب له ولأفراد أسرته .

إن هذه القواعد تنمى لدى الطفل قدرته على اتخاذ القرار وتحمل المسئولية .. كما أنها تمنحه إحساسًا بأننا مع اهتمامنا بالموسيقى ..فإننا نهتم أيضًا بأفكاره ومشاعره **كيف يمكن للآباء أن ينموا الإحساس بالمسئولية فى نفوس أبنائهم عن طريق منحهم المعاش الشهرى ؟ .**

لا يعنى إعطاء الأب لابنه معاشه الشهرى أنه يكافئه وإنما لكى يدرك به قيمة المال وكيفية استخدامه من خلال ما يختاره وما يتحمله من مسئوليات كل ما هو مطلوب من الأب أن يوضح لابنه النفقات التى سيشملها ذلك المعاش .. وكلما كبر الطفل ازداد راتبه ومسئولياته التى عليه أن يغطيها به .

قد يحدث أن ينفق الطفل كل ما منحه والداه من معاش فى فترة قصيرة .. لأنه لم يخطط لنفسه ميزانية جيدة .. عندئذ عليهما أن يناقشاه فى ذلك الموضوع بأسلوب جاد ، لكى يصلوا إلى حلول عملية ترضى جميع الأطراف .. أما إذا كرر الابن سوء إدارته لماله الخاص .. فإن على والديه أن يقسم راتبه إلى ثلاث مرات فى الأسبوع .

لكننا يجب ألا نربط بين منحنا المعاش للطفل .. ومدى رضائنا أو غضبنا عليه .. كما أنه يجب أن يكون متناسبًا مع ميزانيتنا .. بغض النظر عن المستوى المعيشى لجيراننا .. أما إذا احتج الطفل فإن فى إمكان الأب أن يقول لابنه بنبرة مخلصة متعاطفة :

– تمنيت لو أستطيع منحك معاشًا أكبر .. لكن ميزانيتى محدودة .

ومن الأفضل أن نبدأ بمنح الطفل معاشًا صغيرًا منذ بداية دخوله المدرسة ..ثم يزداد تدريجيًا مع تقدمه فى السن ..ونمو قدرته على تحمل المسئولية وبالطبع فإن ما يزيد عن المعاش فإنه من حق الطفل لا الوالدين .

كيف نعلم أبناءنا الإحساس بالمسئولية من خلال صداقاتهم ؟

الواقع أن تأثير الأصدقاء فى معظم الأحيان قد يكون مفيدًا وصحيًّا على بعضهم البعض .. فالطفل بحاجة إلى أن تتاح له الفرص لكى يتعامل مع أشخاص مختلفين عنه فى شخصياتهم .. فمثلاً ، يحتاج الطفل الانطوائى إلى أصدقاء مرحين منطلقين .. والطفل الخائف بحاجة إلى أصدقاء يتصفون بالشجاعة .. والطفل الخيالى يجب أن يصادق طفلاً واقعيًّا .. والطفل العدائى يختار له صديق قوى لكنه غير عدائى .. لكن علينا أن نبعد أبناءنا عن الأطفال المتصفين بالإجرام لما لهم من تأثير سيئ على شخصياتهم .

إذن ، مسئولية الطفل أن يختار أصدقاءه .. ومسئوليتنا نحن التأكد من سلامة اختياره فقط .. أما كيف يتعلم الطفل تحمل المسئولية من خلال اهتمامه بالحيوانات ؟ فإن كل ما علينا القيام به ..هو أن نوضح للطفل أنه مسئول عن سلامة الحيوان الذى يرعاه مع والديه .

وإلى هنا أصل إلى نهاية الخطة العملية التى وضعها الدكتور « جينو » بعد أن حاولت أن ألخصها وأعرضها بأسلوب بسيط لكى يستفيد منها الآباء فى تنمية الإحساس بالمسئولية فى نفوس أبنائهم .

المراجـع

١ – « بين الآباء والأبناء » للعالم النفسانى للدكتور « هيم . ج . جينو » .

٢ – « عندما يدفعك طفلك إلى الجنون » للخبيرة التربوية « ايدا ليشان » .

٣ – « كيف تكون حازمًا بالحب » للعالم النفسانى الدكتور « فيتزوف ديدسون » .

٤ – « حبك لابنك لا يكفى » للخبيرة التربوية « نانسى سمالن » .

٥ – « السلوك السيئ » للدكتور « جون بيرس » .

٦ – « كيف تسعد أبناءك » للكاتب الإسلامى « محمد الكاتب » .

٧ – مواقف تربوية واقعية من البحرين .

فهرس الكتاب

الموضوع الصفحة

الفصل الثالث :

رقم الإيداع		١٩٩٥ / ٢٣٦٩
الترقيم الدولى	977 - 02 - 4895 - 9	ISBN

١ / ٩٤ / ١١١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



كتاب مهم ، يضيف إلى المكتبة العربية الكثير .. مؤلفته سلوى المؤيد .. صحفية وباحثة عربية تفجر قضايا تربوية بالغة الجرأة :

- كيف نتوجه بالنقد إلى الطفل بدون أن نجرح كبرياءه ؟
- كيف نصل إلى عقل الطفل وقلبه لنحصل على تجاوبه ؟
- كيف نُوَجِّه غرائزه ؟
- كيف نَعْدِلُ بين أطفالنا ، ونخفف من حدة التنافس والغيرة والشِّجار ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها يجيب عنها هذا الكتاب الذى يهم كل أسرة عربية .



دار المعارف


حصريات
مجلة
الابتسامة